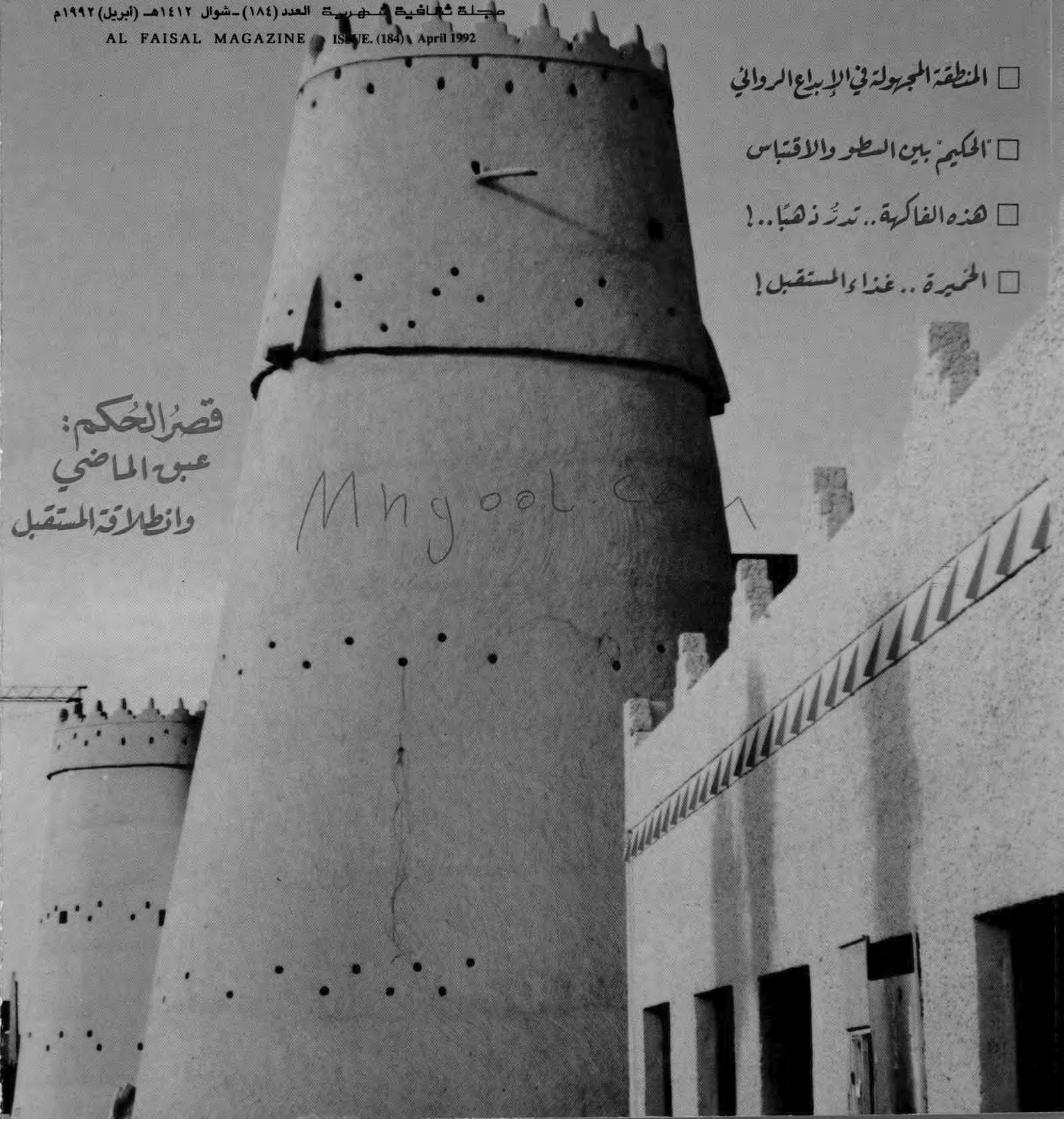
الفيصل

مجلة ثقافية شهرية العدد (١٨٤) -شوال ١٤١٢هـ- (أبريل) ١٩٩٢م
AL FAISAL MAGAZINE ISSUE. (184) April 1992

قصرُ الحُكم: عبق الماضي وانطلاقة المستقبل



وان كان الكلام فيه طويلا فان المحصل يشتوق الى ذلك ولا التفات الى كراهة اهل البطالة انتهى واختلافات في العدد ولم يخلو في تسمية على انه لكل طائفتين دليلا فانه قول بلا دليل بخلاف الاختلاف كذا في جامع الرموز وفي بعض شروح العقايد النسفية الفرق بين الاختلاف والخلاف ان الاختلاف يجري فيما يكون طريق وصولها متفاوتا ولكن المقصد متحدا كمن يذهب الى بغداد ومكة شرفها الله تعالى لزيارة الكعبة المكرمة ومن يذهب من الشام الى زيارة المكة المشرفة فيكون طريق وصولها مختلفا ولكن المقصود متحد وهو زيارة الكعبة ولهذا قيل اختلاف امتي رحمة الله والخلاف هو ان يكون بين الشيئين ان يجعل كل واحد منهما خلاف الآخر كرجلين احدهما يذهب الى المشرق والآخر الى المغرب فيكون الطريق مختلفا والمقصد مختلفا ايضا انتهى وقال الاكمل في الوجيز الخلاف ما يجري مخالفا للدليل القطعي انتهى في اختيار المشايخ بالياء فانه جمع المشيخة بفتح الميم والشين المعجمة مكسورة مع سكون الياء او ساكنة مع فتحها وهو كم جمع جمعا من الاشياخ والشيوخ جمع الشيخ بمعنى الواحد وجمعي او واحد مشيخي وقد يعبر به عما يكثر علمه لكثرة تجاربه ومعارفه والمراد المتأخرون من علماء مشايخ الحنفية من الائمة وتلامذته كذا في جامع الرموز وتصحيح اكثرها اي كما في الخلاف مختلفات فاردت ان اصنف رسالة محتوية اي جامعة لما اي لجميع الذي صح حاوية بالحاء المهملة اي مشتملة على ذكر خلاف وقد سبق بيانه ولعل الخلاف هاهنا بمعنى الاختلاف كما يدل عليه السياق والوفق به مسألة غريبة عظيمة قليل ذكرها وهو اي وجه الفهم اللازم وهي ...

الفصالة والاقتصار عبارة عن حذف لا يكون فيه قرينة تدل على خصوص المحذوف والاختصار عبارة عن الحذف مع قرينة تدل عليه على الاقوى في الاصح والمختار للفتوى هو الجواب عما الكلام من الاحكام كما في المفردات كذا في جامع الرموز مشتملة الضبط والفهم على صيغة اسم الفاعل من التسهيل وهي صفة لرسالة ايضا رجاء منصوب على انه مفعول له اي مستفاد بكون لي ذخرا بضم الذال وسكون الخاء المعجمة الذخيرة في العقبى اي في الآخرة في ايام الآن ناظر اليها اي الى الرسالة بالله العظيم الباء للقسم وجوابه قوله لا تعجل الى وهو من قبيل ما ذكر في الدرر ولو قال لرجل لغيره بحق الله او بالقرآن لتفعلن كذا لا يجب عليه ان يأتي به شرعا وان كان الاولى ان يأتي به محذوف دل عليه ما بعده تقديره لا اظنك وفي حق هذه الرسالة التي تقع في التهلكة وصفه تعالى بالعظمة للاشعار بانه المستحق للعظمة فحسب نحو نسبها الى نفسه استحق اعظم العقوبات كذا في تفسير ابي السعود و نكتة ذكره هاهنا لا يخفى ان تعجل في المخطئة وفيه ايماء ان المخطئة جائزة والمذموم عجلته وكما ان شاهدا على ذلك تخطئة علي كرم الله وجهه في مسألة ما ذكره في المطولات وبهذا ان عليا كرم الله تعالى وجهه بمحضر جماعة فقال له رجل قائل في المسألة بكلم القائل سائلا في المسألة فلم يقبل فاذن بل قال الله تعالى ردا لكلامه على تخطئة ايماء وصبر له على ذلك على انه كان يجب ان تقول ان المنسوب بالمقدم المفعول الذي يجب وثبات فيما في هذه الرسالة المخالفة لمذهب على انه مفعول الرد المفهوم لبعض الكتب المشهورة فهو جواب الرد ان تخطئ ابن اخت

إطلالة

عالم بلا حروب ..!

السلام الذي تُقَـر به أعين البشر؛ ويسود به الأمن وتعم الطمأنينـة؛ لماذا هو غائب عن أغلب مناطق عالمنا بهذه الدرجة المفزعة التي تجعلنا دؤوبي البحث عن إنسانية الإنسان فينا؛ حتى نوقف هـذه المجازر البشعـة التي توالت وتعـددت وتراكمت وأصبحت تشكل تـاريخًا دمويـا في سجلّ البشرية منذ أول جريمة على وجه الدنيا عندما قتل «قابيل» أخاه «هابيل»!!

مع أن «السلام» من أسماء الله الحسنى: ﴿هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام﴾ [الحشر/ ٢٣]. .

وهـو ــ السـلام ــ تحيـة أهل الجنـة: ﴿خـالـدين فيهـا بإذن ربهم تحيتهم فيهـا سـلام﴾ [إبراهيم/ ٢٣]. .

والله ـ سبحانه وتعالى ـ طالب المؤمنين بإشـاعته بينهم: ﴿يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة﴾[البقرة/ ٢٠٨]. .

إلا أن ما يحدث في عـالمنا بعيـد كل البعد عن الفطرة التي فطر الله الناس عليهـا وعن سماحة الدين وعـن حسابات العقل الـراشد أو المنطق السليم، فـالصراعات المسلحـة ـ في العـالم الثالث وحده ـ منـذ انتهاء الحرب العالمية الثانية أدت إلى مصرع أكثـر من ١٧ مليون قتيل بفعل الأسلحة التقليدية وحدها؛ بالإضافة إلى ما صـاحب ذلك من مآس اجتماعية واقتصادية وبيئية، وما ترتب عليها من فقر وتوتر في مناطق متعددة من أنحاء الدنيا. .

أما الصراعـات الداخليـة في دول متعددة ـ أيضًـا ـ فكـوارثها لا تقل خطـورة عن الصراعات الدولية. .

لبنان ـ على سبيل المثال ـ عانى معاناة شـديدة من الفتن الداخلية على مدى ستة عشر عاما؛ والنتيجة:

١٤٤٢٤٠ قتيلاً/ ١٨٤٠٥١ جريحًا/ ١٧٤١٥ مفقودًا/ ١٣٩٦٨ مخطوفًا

ولم تخمد هذه الفتنة إلا بعد المساعي الحميدة التي توجت بمؤتمر الطائف الذي أعاد إلى لبنان وحدته واستقراره وكيانه الدولي. .

والصومال ـ أيضا ـ تطحنه حـرب القبائل بعد أن دخل لعبة الصراع المحلي مما أدى إلى تدخل الأمم المتحدة وأطراف إقليمية أخرى لوقف القتال ووضع حد للفوضى داخل البلاد. .

ويوغسـلافيا طـالتها شرارة الحرب نتيجـة الصراع الطائفي والعـرقي ويتجدد القتـال بين أيام وأخرى على أرضها. .

حتى دول الكومونولث (وريثة الاتحاد السـوفييتي رسميا بعد مؤتمر ألما آتا في الخامس عشر من جمادى الآخرة المنصرم) تعـاني تناحـرا فيما بينها بالإضـافة إلى قلق العالم ممـا تملكه هـذه الدول على أراضيها من ترسانة نووية مرعبة. . و. . و. . و. .

ألا يدعونا هذا كله إلى البحث عن إنسانية الإنسان داخلنا ليعيش العالم لحظات صفاء؟!!

نقطة ضوء:

□ جـائزة الملك فيصل العالميـة التي تم توزيعهـا منذ أيـام سجلت للبلاد المقـدسة استمـرار تواصلها وحضـورها العالمي، بتكريمها العلم وتشجيعها العلماء وإحـاطتهم بكل تبجيل وتقدير دون تحيز أو عصبيـة أو عرقيـة، وإسهامهـا بشكل بارز في تأصيل المثـل والقيم الإسلاميـة وإثراء الفكر الإنساني. .

د. زيد بن عبدالمحسن الحسين

بسم الله الرحمن الرحيم

الفيصل

AL-FAISAL MAGAZINE

مجلة ثقافية شهرية

تصدر عن

دار الفيصل الثقافية

MONTHLY CULTURAL MAGAZINE

PUBLISHED BY

AL-FAISAL CULTURAL HOUSE

رئيس التحرير

د. زيد بن عبدالمحسن الحسين

مجلة الفيصل العدد (١٨٤) — شوال ١٤١٢هـ — السنة (١٦) — نيسان (إبريل) ١٩٩٢م

ملاحظات عامة

□ أن يتسم الموضوع المقدم للنشر بالجدّة والأصالة والموضوعية، مع توثيق المراجع إذا اقتضى الأمر ذلك.

□ ألا يكون الموضـوع منشوراً من قبـل، أو مرسـلاً إلى أي جهة أخرى ناشرة.

□ أن يكون مطبـوعًا أو مكتـوبًا بخط واضح، وبلغـة صحيحة وأسلوب سليم.

□ حين تردّ المجلـة على كاتب مـا بأن موضوعه «غير منـاسب للنشر» فإن هـذا لا يعني أنه «غير صالح للنشر» في غيرها، وإنما يعني عدم مناسبته لسياسة النشر فيها.

□ أن يـرفق الكاتب (الـذي لم يسبق لـه الكتـابة في المجلـة) مع موضوعه الاسم والمؤهلات العلميـة والإنتاج الفكري - إن وجد ـ وعنوان المراسلة، في ورقة مستقلة.

□ تسلسل نشر الموضوعات تحكمه اعتبارات فنية.

□ الموضوعـات المنشورة في هذه المجلّة تعبّر عن آراء أصحابها، ولا تعبّر بالضرورة عن رأي المجلة.

□ يجوز الاقتباس من موضوعات المجلة أو إعادة النشر دون إذن مسبق على أن تُذكر كمصـدر.

□ ترحب المجلة بتعليقات القراء ومناقشـاتهم لما يُنشر فيها.

الفيصل

● المراسلات
مجلـــة «الفيصـل» ص. ب: (٣) الريـاض: ١١٤١١ ـ المملكة العربية السعودية.
هـــــاتف: ٤٦٥٣٠٢٦ ـ ٤٦٥٣٠٢٧ ـ تلـكـس: ٤٠٢٦٠٠ DRFATHSJ ـــ فــــاكسملي: ٤٦٤٧٨٥١.

● أسعار بيع النسخ في البلاد العربية:
المملكة العربية السعودية ٨ ريالات ـ الكويت ٦٠٠ فلس ـ الإمارات العربية المتحدة ٧ دراهم ـ قطر ٧ ريالات ـ البحرين ٦٠٠ فلس ـ سلطنة عمان ٦٠٠ بيسة ـ الأردن ٤٠٠ فلس ـ الجمهورية اليمنية ٦ ريالات ـ مصر ١٠٠ قرش ـ السودان ١٠٠ قرش ـ المغرب ٥ دراهم ـ تونس ٥٠٠ مليم ـ الجزائر ١٠ دنانير ـ العراق ٤٠٠ فلس ـ سورية ١٠ ليرات ـ ليبيا ٨٠٠ درهم.

● أسعار الاشتراكات السنوية:
للأفراد ١٥٠ ريالاً سعوديًا لغير الأفراد ٢٥٠ ريـالاً سعـوديًـا تـرسل قيمـة الاشتراكات باسم مجلة «الفيصل»

● الإعلانات يتم الاتفاق عليها مع إدارة المجلة

● ALL CORRESPONDENCE TO:

AL-FAISAL MAGASINE P.O. BOX (3) RIYADH 11411 - SAUDIA

Tel. 4653026 - 4653027, Telex: 402600 DRFATH SJ, Telefax: 4647851.

● EUROPE - AMERICA - ASIA:

Norway NKR30 - Pakistan RS15 - Portugal ESQ100 - Spain PTS150- Sweden SKR30 - Switzerland SF6 - United Kingdom £ 2 - U.S.A. $5 - Belgium BF200 - Denmark DKR30 - Finland FMK30 - France FF15 - F.R.G. DM10 - Greece DR200 - Italy L4000 - Netherlands DFL10

● ANNUAL SUBSCRIPTION RATES:

Personal Subscription S.R. 150
Others S.R. 250

Payable to AL-FAISAL MAGAZINE

في هذا العدد



ص ١١٨ تسليم جائزة الملك فيصل العالمية.. إسهام بارز في خدمة الإنسانية..



ص ٥ مسجد صوفيا شاهد على تمسك المسلمين بدينهم رغم محاولات إبعادهم عنه



ص ٣٢ العقاد يدلي بشهادته في اقتباسات توفيق الحكيم



ص ٧٤ الخميرة: هل يمكن أن تختصر المائدة وتصبح غذاء المستقبل؟!!

موضوع خاص

مسجد صوفيا شاهد على التاريخ

على مدى الاثني عشر شهرًا الأخيرة شيّد المسلمون ورمّموا في بلغاريا أكثر من ٤٠ مسجدًا، في مقدمتها مسجد صوفيا الذي يعدونه شاهد تاريخ وحضارة ومد إسلامي هناك، بالإضافة إلى تأسيس أربع مدارس ومعهد إسلامي عال، وطبعوا أكثر من مليون نسخة لعشرين كتابًا في الحضارة وعلوم الدين الحنيف . .

والصحوة الإسلامية في تلك البلاد خلفها تاريخ طويل من القهر والمحاولات المتكررة لزحزحة المسلمين عن دين الله . .

ففي الشهر السابع من عام ١٩٧٠م أصدر الحزب الشيوعي البلغاري قراره السرّي القاضي ببلغرة المسلمين وطمس هويّة الأقليّات التركيّة المسلمة .

وأصدر مجلس الشعب البلغاري في الشهر الثالث من العام ١٩٩٠م قراره العلني بإقرار حقوق المسلمين في أداء الشعائر الدينيّة، والتسمّي بالأسماء الإسلاميّة، وإجراء الختان .

مسجد صوفيا . . صمود يتحدى القرون



وبين القرار الأوّل والقرار الثاني قصّةٌ كتبت بالدماء والدموع، وأكفٌّ كانت ترتفع في جوف الليل، خفيفةً، إلى السماء . . تجدّد العهد، وتطلب المدد .

بين القرارين، أكثر من ألف بيت من [**بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها أسمه**] عبثت بها أيدي القرار الأوّل لتحوّلها إلى متاحف أو كنائس . ولطفت بها يد الله . . مع صدور القرار الثاني .

بين القرارين مسجد صوفيا . . الذي نجول فيه فوق هذه الصفحات عبر أحرف تقطر منها مرارة الاضطهاد الذي عانى منه المسلمون في هذا البلد عبر عقود من الزمن . وفرحة ارتفاع صوت الحق من فوق أكثر من ألف مئذنة أخيراً .

مسلمون ولكن

تقول بعض التقادير أن عدد المسلمين في بلغاريا . . يبلغ مليوناً ونصف مليون مسلم .

بينما يؤكد الدكتور **الفاتح علي حسنين «نائب رئيس لجنة التضامن مع مسلمي بلغاريا»** أن تعدادهم يربو على أربعة ملايين وخمسمائة ألف نسمة من بين الملايين التسعة الذين يشكلون سكان بلغاريا .

وليس من المستغرب أن تتباين - إلى هذا الحد - الأرقام القادمة من خلف تلك الستائر الحديدية التي كانت تقيمها الدول الشيوعية، ولكن المؤكد أن لسان حال جميع هؤلاء المسلمين سواء كانوا مليوناً

أو أربعة ملايين يقول مع الشاعر البلغاري المسلم «راأيت ريجوف» [حرمنا أسماءنا وديننا . . . ولغتنا أيتماترانا
جراحٌ عميقةٌ دائمةٌ فينا
ودموعٌ ذارفةٌ جارفةٌ شهيّة] .

في العام ١٩٨٦ كان في سجون بلغاريا أكثر من خمسة عشر ألف معتقل مسلم قتل منهم ألف وثلاثمائة شخص . وفي نيسان من نفس العام صور تقرير عن منظمة العفو الدولية يتناول هذه الممارسات ويصفها بأنها :

من أكثر الأعمال إثارة للخجل والشعور المزري بالعار، في أوروبا كلها] .

عانى مسلمو بلغاريا من أصناف اضطهاد قالت عنها بعض الصحف بأنها [عنصرية جديدة . . لم يشهد التاريخ لها مثيلا] . سوف نصوّر جزءاً منها أثناء الصفحات القادمة . . تأريخاً وعبرة .

ولكن قبل ذلك . . ما هي بلغاريا؟

بلغاريا

بلغاريا هي إحدى دول البلقان التي خضعت للحكم التركي العثماني المسلم منذ عام ١٣٩٦م ولمدّة أكثر من خمسة قرون ونصف القرن . تشرف ـ جغرافياً ـ على البحر الأسود شرقا . . وتشترك حدودها الغربية مع يوغوسلافيا ولها حدود مع تركيا واليونان ورومانيا .

عاصمتها صوفيا تحتل موقعا بارزاً شمالي السهل الذي يحمل اسمها . حيث تمتد لتصل إلى سفوح جبل «فيتوش» أو إن شئت الدقّة فقل تحيط بها سبعة جبال أبرزها جبل فيتوش . وقبل قرن من الزمان لم تكن صوفيا تحتل إلاّ ٢,٥ كم٢، ولا يقطنها سوى ٢١٠٠ نسمة أمّا اليوم فهي تمتد إلى ٩٠كم٢، ويبلغ عدد سكانها حوالي ١,٢ مليون نسمة .

مسلمون قبل عام ٣١٠ هجرية

يقول حسين علي الداتوفي في كتابه «دولة البلغار المسلمين في حوض الفولغا» إنه من الممكن أن يكون قسم من البلغار قد دخلوا الإسلام قبل العام ٣١٠هـ . ويبني هذا الرأي على ما ورد في دائرة المعارف البريطانية (الطبعة الجديدة)، ورأي الأستاذ (بوزورث) من أن البلغار اهتدوا إلى الإسلام في مطلع القرن الرابع (العاشر الميلادي)

وكذلك قول ياقوت الحموي «وكان ملكها وأهلها قد أسلموا في أيام المقتدر بالله، وأرسلوا إلى بغداد رسولاً يعرفون المقتدر بذلك، ويسألونه إنفاذ من يعلمهم الصلوات والشرائع . لكني لم أقف على السبب في إسلامهم» .

وممّا لا شك فيه ، أن الصلات الوثيقة بين التُجّار البلغار مع الخوارزميين وغيرهم، أو مع التُجّار المسلمين في منطقة السامانيين عملت على نشر الإسلام بينهم، هذا، مع العلم أن الخوارزميين سبق لهم أن كوّنوا مستوطنات في بلاد البلغار .

«عندما دخلت بلغاريا حوزة الحضارة الإسلامية تقدمت كثيرًا..»

تكبيرة ارتجت لها الأرض

وبدأ عدد المسلمين يزداد عام ٩٠٠م حين اعتنق «خان» البلغار «المش» الإسلام فراجع الخليفة العباسي المقتدر بالله .

يقول البكري القرطبي «وملكها الآن مسلم أسلم بعد العشرة والثلاثمائة وبرؤيا رآها أيام المقتدر! ! فبعث الخليفة وفدًا وصل إلى بلاد البلغار ـ ويدعوهم خطأ بالصقالبة ـ أسلموا قبل ذهابه إلى بلادهم . ويقول ما نصّه «وأخرجت كتاب الخليفة، . . . وبدأت فقرأت صدر الكتاب، ولم يزل الترجمان يترجم لنا حرفًا حرفًا فلما استتممنا قراءته كبّروا تكبيرةً ارتجت لها الأرض .

في موضع آخر ما نصّهُ : « وكان يخطب لملك البلغار قبل قدومي «اللهم وأصلح الملك بلطوار ملك البلغار»

كان يقول الملك بلطوار :

«إن أبي كان كافرًا ولا أحب أن أذكر اسمه على المنبر، وأنا أيضًا فما أحب أن يذكر اسمي، إذ كان الذي سماني به كافرًا» .

إذن دخلت بلغاريا إلى حوزة الحضارة الإسلامية في مطلع القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) . . وجعل الإسلام من البلغار في تلك الفترة أكثر شعوب أوربا الشرقية حضارة، وزادت صلات البلغار بالعالم الإسلامي، وغدت بلغاريا ممثلة الإسلام في شرقي أوربا فأنشئت المساجد، وتأسس القضاء، وأخذت الكلمات العربية تنتشر انتشارًا واسعًا .

يسارعون إلى الخيرات

وكان البلغار بعد إسلامهم يسارعون إلى أداء الفرائض الإسلامية، ومن ذلك فريضة الحج .

ففي عام ٤٣٣هـ/ ١٠٤١م، وصلت جماعة منهم إلى بغداد يريدون الحج ، فأعدت لهم أماكن واسعة أقاموا بها وسألهم سائل من أي الأمم أنتم؟ وما البلغار؟ فقالوا . . قومٌ متولدون من الترك





أحد مداخل مسجد صوفيا

والصقالبة . . وبلدهُم أقصى الترك وكانوا كفارًا فأسلموا من قريب ، وهم على مذهب أبي حنيفة ومنهم من هو على مذهب الشافعي . . وفيها جوامع لكل قوم وكان لهم أثر حاسم في إسلام القبائل التركية الرحالة مثل **الباشقر والقومان** .

٥١٥ سنة !!

وفي أثناء الحكم العثماني كانت بلغاريا تحت نفوذ الدولة الإسلامية **٥٤٥ سنة** في جنوبها **و٥١٥ سنة في شمالها** . ذلك إلى أن سيطر **الشيوعيون** على الحكم عام **١٩٤٦م** . وقاموا بتفريق المسلمين بعضهم عن بعض على أساس **قومي عرقي** ، وفي إطار ذلك فُصِلَ **الأتراك والبوماتسيون والغجر** بعضهم عن بعض ، وأُحْدِثَتْ دار إفتاء خاص لكل قومية ، ومن ثمّ السيطرة على **دار الإفتاء المركزية في العاصمة صوفيا** . . وما تلا ذلك من إغلاق المساجد ومنع طبع الكتب الإسلامية ، وصحف المسلمين ، وقاموا بعملية التهجير الواسعة . . ومنع المسلمين من أداء فريضة الحج ، ومراقبة **العلماء** وعزلهم عن الجماهير وإرغامهم على قبول بعض **القوانين** والقرارات **غير الإسلامية وهدم المقابر** وإقامة المباني عليها وعدم صرف رواتب الموظفين المسلمين وتقاعد العجزة **والأرامل إلاّ بعد تغيير الأسماء الإسلامية** .

وعشرات . بل مئات من صنوف الأذى والاضطهاد .

القفز على الحقائق

والتاريخ يمكن أن يزوَّر . ولكن إلى أجَل . . ولا يمكن أن يُطمس أبداً .

شعار مدينة صوفيا الموجود في كلّ زاوية بها تمّ تصميمه عام ١٩٠٠م بمناسبة مشاركة **بلغاريا في** معرض **باريس** العالمي ويتألف من أربعة أقسام لدرع ، يحمل القسم الأوّل من اليسار حفراً بارزاً لراعية المدنية ، وإلى يمينه **النبيلة صوفيا** التي تستمد المدينة اسمها منها ، وفي القسم الأسفل إلى اليسار تبدو قمّة **جبل فيتوش** شامخة وفي القسم الأخير معبدٌ أثري ، ويربط هذه الأقسام **الأسد البلغاري** ، رمزاً للقوة والشجاعة ، ويتوّج الدرع أعلى جزء في قلعة ، رمزاً لصمود المدينة واستقرارها ، وفي أسفل الدرع شعار المدينة «**دائمة النمو ، لا تشيخ أبداً**» .

وهكذا ـ حتى على صعيد الرمز ـ يتمّ تجاهل الحدث الأكبر في تاريخ بلغاريا وهو انضمامها إلى ديار الإسلام عام ١٣٥٢م ، حيث فتحت الجيوش الإسلامية التركية **شبه جزيرة البلقان** وأصبحت في أيدي أبناء الإسلام البررة **تيزنونجراد** عام ١٣٨٣م وتبعتها **مملكة فيدين عام** ١٣٩٦م وهكذا رفرفت راية التوحيد على كامل أراضي بلغاريا ، لتواصل هذه الراية انطلاقتها نحو أراضي أوروبا حتى **مشارف فيينا** .

يريدون أن يطفئوا نور الله . .

الشيوعيون شيّدوا سوقا بجوار المسجد لقطع الطريق إليه



والله متمّ نوره . . ولو كره الكـافرون . . عندما تستمع اليوم الى حديث فضيلة **الشيخ نديم حافظ جنجيف** المفتي العام لمسلمي بلغـاريا لا تملك إلاّ أن تكرر «**الحمد لله**» حيث يؤكد فضيلته أن الأزمة السوداء التي عاشها المسلمون في بلغاريا قد انتهت إلى غير رجعة . ويشرح صدور المسلمين بقوله : **إن هناك مـا يزيـد على ألف مسجد تـمّ فتحها ليمارس فيها المسلمـون حريّة العبـادة بعد أن كـانت مغلقة بحكم السلطات الشيوعية السابقة في بلغاريا .**

كان الدين الإسلامي يتعـرض لحملات مركزة من الحزب لدرجة منع دخول المصاحف ، والكتب الـدينيـة إلى البــلاد . وإجبـار المسلمين على تغيير أسمائهم . . ومنعهم من الهجـرة هـروبـاً بـدينهم ، وإرغـامهم على السكن في أمـاكن شبـه معـزولـة ، ومحاولـة تذويبهم بـالقوّة في المجتمع البلغـاري . . ومضـايقتهم في معايشهم . لقـد تعرض المسلمـون **البلغار** فوق ذلك إلى حروب إبادة جماعية ، تقودها القوات المسلحة . بأسلحتها ودبـاباتها من خلال حصــار القـرى والمدن التـي يسكنهـا المسلمــون لإجبـارهم على تغيير أسمائهم بأسماء سـلافيّة بقـوة السلاح . ولم يقتصر هذا التغيير على اسم الشخص نفسه بل تعداه إلى اسم أبيه وأمّه المتوفيين ! !

وإن نسينـا فلا ننسى احتـلال قـوات الجيش البلغاري عام ١٩٨٩ لست قرى مسلمة لمنع أهلها من الهجرة . .

ومن القيود المفـروضة على المسلمين آنذاك . . حبس الأم المسلمــة لمدّة ستـة أشهــر إذا ضبطت متلبسة بختان ابنها .

عويل المآذن

وإلى جـوار هذا الاضطهـاد الطويل والشـامل للمسلمين حـرصـت السلطـات **البلغـاريـة على طمس وهدم وتدمير المعالم الإسلامية .**

ووفقاً لـلإحصاءات الـرسمية فقـد انحصرت **مساجد بلغاريا** أثناء فترة الحكم الشيوعي **في مائتي مسجد فقط بينما يـؤكد مسلمو بلغـاريا أنـه كانت هنـاك عشرة أضعـاف هذا العـدد من المسـاجـد .** ولكن **السلطـات البلغاريـة** عمـدت إلى مصـادرة وهدم وإزالة العديد من هذه المساجد ، ومنع ترميم القديم منها ، وحظر بناء أي مسجدٍ جديد .



المسجد في لوحة تاريخية قديمة

وهم يضربون مثلاً صارخاً لذلك ، **وهو الجامع الكبير** الواقع في جادة **الكسندر ستامبولسكي** في قلب العاصمة **صوفيا** ، والذي كان يطلق عليه ، بالتركية «**بويوك جامع**» أي الجامع الكبير ، وقد بدأ تشييده في عهـد **السلطان محمـد الثاني** (١٤٥١ ـ ١٤٨٧) **وانتهى العمل في إنشائه عام ١٤٩٤ ، وقد حوّلته السلطات إلى متحف يضـم الآثار البلغارية منـذ العصر البـاليوليتي حتى عصر النهضـة ، ومـا لبث أن ألحق بأكاديمية العلوم البلغارية .** والغريب العجيب أنـه من بين أكثـر من مـائتي ألف قطعـة أثرية يضمها المتحف لا يكاد المرء يجد شيئا من آثار الخمسمائة عام التي حكم المسلمون فيهـا بلغاريا ، باستثنـاء المبنى نفسه الذي أعملت فيـه يد التغيير والتحوير لطمس هويته .

سـواء أكـان المرء زائراً رسميـاً ، أو ضمن وفـد سياحي ، أو صحـافياً أو زائراً عاديـاً ، فإنه يجد من بين بـرامج رحلته في بلغـاريا ، على سبيل المثـال ، زيارة **دير ديلا** الأثري الواقع في جبل **ديلا** السامق ، غير بعيد عن **صوفيا أو كنيسـة الكسندر نيفسكي** التـذكاريـة . ولكنـه لن يجد أبـداً في بـرنامجه زيـارة المسجـد الـوحيـد المتكـامل بحـالتـه الأصليـة في صــوفيـا . . الــذي أنقـذتـه معجـزة من بطش السلطات ، فبقي كما كان ـ على وجه التقريب ـ في أزمنةالشموخ .



المئذنة تطرح علامة استفهام تنتظر من يرد عليها

« برعاية خادم الحرمين الشريفين تمت عملية الترميم الكبيرة للمسجد »

مسجد . . صوفيا

ومسجد **صوفيا** كما يسمّيه مسلمو بلغاريا أو مسجد **باباشي** كما تصرّ السلطات على تسميته وتعني هذه الكلمات حرفياً **«الحمامات الكبرى»** - في إشارة إلى الينابيع والحمامات التي كانت موجودة في المنطقة قديماً، ويقع عند تقاطع جادة **جورجي ديمتروف** مع شارع **جدانوف** . .

بني المسجد عام ١٥٧٦م على يد المعماري التركي البارز **الحاج معمر سوناه** الذي قام كذلك ببناء مسجد **السلطان سليم** الذائع الصيت في **أودنة** . والداخل إلى المسجد يصل إليه عبر عدّة مداخل، أهمها المقنطر . وهو عبارة عن أعمدة مقنطرة، تكسوها رقائق من الرصاص . وفي الأعالي تشمخ منارة المسجد النادرة، مواصلة تحدي المباني التي تزحف حولها، محاولة التقليل من بهائها .

والخبراء يشيرون إلى ما قيل على لسان الرحالة **إيفليا تشيليبي** في القرن السابع عشر، عن هذه المنارة من أنها **لا مثيل لها في صوفيا بأسرها** .

أما الملاحظة التي سوف ترصدها على الفور فهي عبقرية المعماري التركي، فهو يجمع في المسجد بين ملامح المعمار التركي، وأبرزها دقة واستدارة المنارة، والحرص على صمود كتلة المسجد بأسرها في وجه عاديات الزمن .

وحين يُقَدّر لك دخول المسجد، ـ وهذا لم يكن بالأمر الهيّن حين كان موصداً بأمر السلطات . . ولا يفتح إلاّ يوم الجمعة وفي العيدين ! ــ فإن أوّل ما يلفت نظرك ذلك النطاق النادر من الزخارف الرائعة التي تحف بداخل المسجد، والتي يتوّجها شريط من الآيات القرآنية المكتوبة باقتدارٍ فذ .

ومن الصعب التواصل أو التفاهم مع المصلين من أبناء البلاد فهم لا يتقنون إلاّ **البلغارية أو التركية** حتى إذا أتقن أحدهم لغة أجنبية فإنها غالباً ما تكون **الرومية، أو الألمانية، واللغة الانجليزية** تكاد تكون شيئاً لا وجود له في صوفيا، باستثناء الفنادق التي تتعامل مع السيّاح . لكنك قد تكون محظوظاً، فتصادف أحد المسلمين من أبناء بلغاريا ممّن درسوا في **الجامعة الإسلامية بالمدينة المنوّرة أو الجامع الأزهر. أو تفقهوا في اللغة العربية للتبحر في أسرار القرآن الكريم في تركيا**، وعندئذ قد تتاح لك الفرصة للإلمام بجانب ممّا تعرض له المسلمون من ضغوظ واضطهاد .

ويلفت النظر كذلك أن المسجد قد قيض الله له من أبناء الإسلام البررة من قام بعملية ترميمه، وتكفل بإنقاذه من عملية انهيار حقيقي أوشك أن يتعرض له، وتمت عملية الترميم باستخدام **الصخور الحجرية**، المقتلعة من الجبال القريبة، وهي نفسها التي استخدمت في بناء المسجد أصلاً، كما جلبت مجموعات من الخبراء والاختصاصيين في معمار المساجد قامت بتنفيذ عملية الترميم وإعادة البناء والزخرفة وصولاً إلى أدق التفاصيل .

خادم الحرمين أنقذ المسجد

وقد حرصنا، مع الكثير من الصحافيين العرب على السؤال عمن كان وراء ترميم المسجد، بما في



مسيرة إسلامية احتجاجا على الاضطهاد في بلغاريا

« يقف المسجد أثراً إسلامياً شامخاً مثل مسلمي بلغاريا الصامدين! »



الآثار الرومانية تحظى بالاهتمام

ذلك **الضغط** على **السلطات البلغارية** للسماح بعملية الترميم، وذلك من خلال قنوات دبلوماسية عديدة، فلم نصل إلى إجابة شافية في البدء، غير أنه لما كانت الأعمال الجلية لا تخفى، فقد علمنا من خلال متابعة السؤال من مصادر **دبلوماسية عربية** أن من كان وراء عملية الترميم تلك، **لمسجد صوفيا**، التي أنقذته من التداعي المحقق، هو نفسه من كان وراء بناء مسجد **روما وبناء مسجد مادريد** ووضع الخطط حالياً لتشق طريقها إلى تنفيذ بناء **المسجد الأول في طوكيو**. إنه **خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز يحفظه الله**.

ومن العجيب أن مسجد صوفيا أحيط بمجموعة من المباني الضخمة كلها أحدث منه كثيراً، ومعظمها يعود للقرن الحالي، بنيت كما لو كان قد قصد بها **حجب المسجد عن الناظر، والتقليل من شأنه كحضور معماري له أبعاده الروحية**، فعلى سبيل المثال من المستحيل تصوير المسجد وقد قمنا بتصويره من جميع زواياه من جهة الأعمدة المقنطرة ـ دون أن تبدو بوضوح **كنيسة سانت نداليا**.

كذلك بني عام ١٩١٠ معبد **صوفيا اليهودي** غير بعيد عن المسجد.

وفي الفترة نفسها، وبالتحديد بين عامي ١٩٠٩م ـ ١٩١١م بني إلى يسار المسجد ما يسمى بقاعة **سوق المدينة المركزي** وهو مبنى ضخم شيّد على مساحة ٣٢٢ ألف متر مربع، أعيد بناؤه عام ١٩٧٤م على نحو يستهدف في المقام الأول تقزيم **مسجد صوفيا**.

وغير بعيد عن المسجد وفي عام ١٩١٣ شيدت **حمامات صوفيا المعدنية** و يحتل المبنى كذلك مساحة ٣٤٤٥ متراً، ويتألف من مبنى رئيسي وجناحين فرعيين.

مجسم لعمليات قهر المسلمين

ويمكننا اعتبار **مسجد صوفيا مجسماً** معنوياً وعملياً لما تعرض له مسلمو بلغاريا من صور الأذى والقهر بعد وصول الشيوعيين إلى السلطة في **صوفيا** في التاسع من أيلول (سبتمبر) ١٩٤٥م.

لقد عرفنا أنه أغلق في وجه المصلين عدا يوم الجمعة ويومي العيدين.

ولكننا نجده يقف صامداً شامخاً.. مثل **مسلمي بلغاريا الصامدين**.. أمام العبث الذي مورس في هويتهم ولغتهم. ومنعهم من ممارسة عقائدهم وعاداتهم وتقاليدهم الإسلامية. في **الجنازات والزفاف** وغيرها من الأحداث الأساسية في الحياة.

بالإضافة إلى **مصادرة أراضيهم**، وتحويلهم من ملاك عقار إلى **أجراء**. هم أوّل من يتعرض للبطالة وآخر من يحصل على عمل.

و إضفاء الطابع **البلغاري العلماني** على حياة المسلمين بأسرها.

وكما شمخ **المسلم في بلغاريا**.. وشاهد بأم عينيه هذا السقوط المروّع لقوى الشرّ المتمثّل في أغلال الشيوعيّة فقد صمدت مئذنة **صوفيا**.. لتشاهد من علوّها سقوط القلاع الجائرة، والستائر الحديدية من حولها. ولتبقى شاهداً على أن **[كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا هي السفلى]**.

المصادر والمراجع

(1) Bulgaria: A guide - Dimiter mihailoa and Pancho smo lenou - Sofia PRESS - 1986

(2) Sofia : A Guide - Dimilen Mihailoa and pan cha smo lenou - Sofia PRESS - 1986.

(3) The Tragedy of the muslim turkish minahitg in bulgaria - The solidarity and cultural association of the Balkan Turks.

الإطار الاجتماعي والثقافي لنشأة الرواية العربية ونقدها:

المنطقة المجهولة في الإبداع الروائي

بقلم: د. علي شلش (لندن)

من المعروف أن التعليم ازدهر في مصر والشام ابتداء من عشرينيات القرن التاسع عشر، وأن ازدهاره صاحبه ـ بالتدريج ـ انتشار الوعي بالعصر ومقتضيات التقدم. وكان لظهور الطباعة في مصر خلال عشرينيات ذلك القرن، وما تلاها من نزول الطباعة في سورية ولبنان من الأديرة وأغراضها الدينية إلى ميدان الأغراض المدنية، دور ملحوظ في تطور العملية التعليمية من ناحية، وظهور الصحف والمجلات من ناحية أخرى. ومع أن التعليم العام (الابتدائي والثانوي) لم يرتق إلى المستوى العالي إلا في النصف الأخير من القرن، فقد حرصت بعض مدارس الشام على تعليم اللغات الأجنبية، ولا سيما الفرنسية والإنجليزية. وأدى هذا الحرص إلى ازدياد الاحتكاك الثقافي بأوربا على امتداد النصف الأخير من ذلك القرن، ولا سيما بعد انتشار ظاهرة الهجرة الشامية، واحتلال الإنجليز مصر عام ١٨٨٢.

وإذا كان الشام سبق مصر في إصدار الصحف الخاصة، غير الرسمية، منذ عام ١٨٥٨م الذي صدرت فيه جريدة «حديقة الأخبار» في بيروت، فقد كانت مصر أكثر حظا في حرية التعبير منذ سبعينيات القرن. بل كانت أكثر طلبا لجهود الشاميين في مجالات الخدمة العامة منذ عهد محمد علي (١٨٠٥ ـ ١٨٤٨م).

لم تكن الصلة بين مصر والشام ضعيفة في ذلك العهد على أي حال، لا لأن محمد علي فتح الشام، وهدد السيادة العثمانية له، وإنما لأنه **حرص ـ هو وخلفاؤه ـ على الصلات الثقافية العريقة بين الإقليمين.** فقد استعان بالشاميين في أعمال الترجمة والتحرير والطباعة. وزود ابنه إبراهيم مدارس الشام بالكتب العلمية والثقافية التي كانت تخرجها مطبعة بولاق[١]. ولما تولى ابنه الآخر سعيد الحكم عام ١٨٥٤م «شخص إلى الشام سنة ١٨٥٩، وأقام في بيروت ثلاثة أيام، فاحتفل به وجهاؤها. وكان إذا مشى في الطرقات نثر الذهب على الناس، فأحبوه، ورغبوا في بلده»[٢]. ولما تولى إسماعيل بن إبراهيم الحكم بعده ـ عام ١٨٦٣ ـ طوّر تلك الصلات إلى حد كبير، وفتح أبواب مصر لمثقفي الشام الذين هددتهم الحرب الأهلية عام ١٨٦٠م، ووجدوا في تشجيعه لهم عزاء عما لحق بهم، فأنشؤوا العديد من الصحف والمطابع والمؤلفات والمترجمات في عهده. وبعد سقوطه، وتولية ابنه توفيق عام ١٨٧٩م وفدت على مصر ـ في عهد الاحتلال البريطاني ـ موجات أخرى من المثقفين الشاميين، وانتقلت إليها من بيروت مجلة «المقتطف» في أواخر عام ١٨٨٤م، حيث صدرت بها ابتداء من العام التالي.

رفاعة رافع الطهطاوي



فجر الرواية

وفي مصر أسس المهاجرون الشاميون عشرات الصحف والمجلات والمطابع التي لا يزال بعضها قائما إلى اليوم، مثل: الأهرام، الهلال، المعارف. وخلال الربع الأخير من القرن الماضي، والعقد الأول من القرن الحالي، تجاوز عدد الصحف والمجلات التي أصدروها في مصر ٧٠ صحيفة ومجلة، أي أكثر من ضعف عدد نظائرها مما أسسه المصريون بالبلاد[٣].

كان من بين المجلات الكثيرة التي أصدرها هؤلاء المهاجرون ما يزيد على ١٢ مجلة وسلسلة قصصية تدل عليها أسماؤها، مثل:

١ ـ الراوي لخليل زينية: ١٨٨٨

٢ ـ سلسلة الفكاهات في أطايب الروايات لنخلة قلفاط: ١٨٨٤ في بيروت ثم ١٨٩٣م في القاهرة.

٣ ـ منتخبات الروايات لإسكندر كركور: ١٨٩٤

المنطقة المجهولة في الإبداع الروائي

٤ ـ سلسلة الروايات لبشير الحلبي : ١٨٩٩م

٥ ـ الروايات الشهرية لطانيوس عبده : ١٩٠٢م

٦ ـ مسامرات الجيب لخليل صادق : ١٩٠٥.

٧ ـ الفكاهات العصرية لغزالة الحلبي : ١٩٠٨م

٨ ـ سلسلة الروايات العثمانية لجورج سعادة : ١٩٠٨م

٩ ـ الروايات الجديدة لنقولا رزق الله : ١٩١٠م

١٠ ـ مسامرات الملوك لنقولا رزق الله : ١٩١٢م

وكان أصحاب هذه المجلات من أنشط مؤلفي الروايات ومترجميها في تلك الفترة. ومع ذلك لم **تهاجر من بيروت ـ** على سبيل المثال ـ **مجلة «الجنان» التي كانت مهد الرواية العربية المؤلفة.** ولم يتوقف ظهور المجلات والسلاسل المعنية بالقصص هناك، مثل: **الفكاهات في أطايب الروايات (١٨٨٤م)، اللطائف الأهلية (١٩١٠م). ولكن انتقال المثقفين من الشام إلى مصر جعل الأخيرة مركز الحركة الروائية العربية، ومهّد للنقد الروائي العربي.** فمن الحقائق اللافتة للانتباه في ببليوجرافيا الروايات الصادرة في مصر خلال تلك الفترة أن ٩٠٪ على الأقل من المؤلفين والمترجمين كانوا من أبناء الشام المهاجرين، وأن نسبة كبيرة من هؤلاء كانت للصحافيين وأصحاب المطابع، وأن منهم عشر نساء شاركن في التأليف والترجمة. ولكن لم يكن هناك إحصاء دقيق لهؤلاء المهاجرين. ففي تعداد عام ١٨٩٧م بلغ عدد مواليد الجهات العثمانية غير مصر (٤٠) ألف نسمة، من غير الأوربيين(٤). ولا يقل الشاميون عن ٣٠ ألفا، معظمهم من نخبة المتعلمين والمثقفين في بلادهم.

أتاح ازدهار التعليم في مصر والشام ـ إذن ـ جمهورا عريضا ـ نسبيا ـ للقراءة. **كما أتاح انتشار المطابع والصحف وسيلة مهمة لظهور القصص والروايات وتطورها،** لا فيما يتعلق بالترجمة والاقتباس والتأليف وحسب، وإنما فيما يتعلق أيضا بالتراث القصصيّ العربيّ الرسميّ والشعبيّ الذي دفعته المطابع إلى الجمهور، فأحيت الرسميّ منه، مثل المقامات، وسجلت الشعبيّ منه، مثل: ألف ليلة وليلة، وسيرتي الظاهر بيبرس وعنترة، وقصص علي الزيبق والأميرة ذات الهمة. وبعد أن ظل هذا التراث الشعبيّ حبيس المخطوطات والحوافظ قرونًا عديدة وجد في الكلمة المطبوعة ملجأ ساحرا يقيه الضياع والتحريف والتبديل من راوٍ إلى آخر.

ولكن انتشار التعليم والمطابع والصحف في تلك الفترة لم يكن وقفًا على المدن الكبيرة، مثل القاهرة والإسكندرية وبيروت ودمشق، على وجه

> ”مثقفون عرب تفاوتت أسباب غربتهم في أوروبا“



الشدياق

الخصوص(٥) بل تم في إطار سياسيّ واجتماعيّ واقتصاديّ معين، فقد كان طموح حكام مصر من أسرة محمد علي أن ينشئوا لأنفسهم دولة عصرية مستقلة تأتمر بأمرهم، في الوقت الذي كانت فيه الدول العصرية المستقلة في أوربا ـ التي تمثلوا بها ـ تأتمر بأمر ممثليها الشرعيين في المجالس النيابية، منذ الثورة الفرنسية ـ عام ١٧٨٩ ـ على الأقل. وكان طموح حكام الشام أن يحافظوا على ولائه للعثمانيين، وأن يحققوا لأنفسهم ما أمكن من مكاسب شخصية. وفي الوقت الذي أرهق فيه حكام مصر البلاد بالديون، واستخدموا السياط في الحصول على الضرائب من الفلاحين، كان حكام الشام لا يقلون قسوة وفظاظة في جمع الضرائب وتكميم الأفواه. ولم يدرك هؤلاء، ولا أولئك، أن بناء الدولة العصرية لا يتم بالنوايا الحسنة، والتبذير في المال العام.

أسباب متعددة

هذا التناقض الذي وقع فيه محمد علي وأسرته في مصر، والولاة العثمانيون ـ وسلاطينهم ـ في الشام انعكس على حياة المجتمع وثقافته على السواء في مصر والشام معا، فلم يكن المجتمع بقطاعاته العريضة ـ الريفية أساسا ـ يدرك جدوى ما يدور حوله، وما يدفع ثمنه، . أما مثقفوه ـ وهم قلة ـ فكانوا حائرين بين إرضاء الوالي وإرضاء ضمائرهم المتحرقة إلى الحرية والعدل، حتى وهم مغتربون في أوربا كما حدث مع **رفاعة الطهطاوي وأحمد فارس الشدياق ومحمد عبده. ومع أن هؤلاء المثقفين الثلاثة** ـ بالذات ـ تفاوتت أسباب غربتهم في أوربا بين الدراسة والنفي، فقد **كانوا يبغضون الظلم والاستبداد،** ويحلمون بأدنى حدود الحياة الكريمة لأنفسهم ولمواطنيهم، ومع ذلك، تعرضوا ـ مع غيرهم من المثقفين ـ لكثير من صنوف الاضطهاد والتشريد كما هو معروف. وكان عليهم جميعا أن يوفقوا بين أحلامهم وواقعهم. **وبمقدار ما كانوا واعين عصرهم ومتطلبات التقدم** كانوا أيضا شديدي الحساسية إزاء انحطاط بلادهم وتخلفها نتيجة ما يسودها من ظلم واستبداد، بل **إزاء ما يمكن أخذه من أوربا بحيث لا يتعارض مع المعتقدات الدينية والقيم الاجتماعية.**

وبسبب هذه الحساسية الثقافية مال المثقفون في تلك الفترة إلى المحافظة والاحتياط والحذر في التعامل مع المنتجات الأدبية الوافدة، وعلى رأسها المسرحية والقصة بأنواعها، ولم يكن من السهل أن يفاجئوا مجتمعاتهم التقليدية المحافظة بما يخدش

بواكير الرواية العربية التزمت القيم العربية الإسلامية ولم تخرج عن هذا الإطار.

معتقداتها وقيمها. ولذلك كانوا انتقائيين في الأخذ والاقتباس، حريصين - حرصا لاشعوريا - على عدم المساس بموروثهم الأدبي، حتى في أشكاله الشعبية مثل «ألف ليلة وليلة»، والسِّيَر والمغازي، **قاصدين - في النهاية - أن يكون فيما يأخذونه منفعة مباشرة لمجتمعاتهم المتدينة المحدودة التعليم**. وهذا ما يظهر بوضوح في تفسيراتهم وتعليلاتهم لمحاولاتهم القصصية والروائية الأولى. لقد ذكر **رفاعة الطهطاوي** أنه ترجم رواية أو سيرة «**تليماك**» لما اشتملت عليه من المعاني الحسنة، مما هو نصائح للحكام، ومواعظ لتحسين سلوك عامة الناس.»(٦).

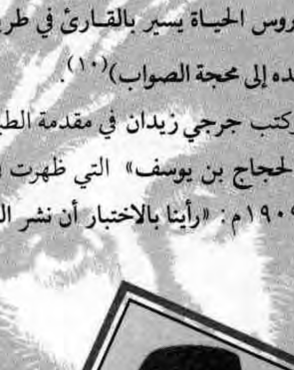
وكتب **سليم البستاني** في روايته «**الهيام في جنان الشام**» التي ظهرت بمجلته «الجنان» عام ١٨٧٠م إنه «كم من فائدة تاريخية يحصل الإنسان عليها بواسطة الروايات، فيكون قاصدا الوقوف على خبر المتحابين فيعثر بحقيقة تاريخية أو نتيجة حِكَميَّة أو إصلاح أو تنكيت يلزمه أكثر من غيره. فالضجر من الكلام عن هذه الأمور في بلاد ظروفها كظروف بلادنا خطأ عظيم»(٧).

وكتب **علي مبارك** في مقدمته لرواية «**علم الدين**» التي ظهرت في القاهرة عام ١٨٨١م أنه ألّفها ابتغاء نفع الوطن، وتعليم أبنائه، «وبث المعارف والفنون النافعة فيهم»، واتخذ فيها أسلوب الحكاية لأنه رأى «النفوس كثيرا ما تميل إلى السير والقصص ومُلح الكلام»(٨).

وذكر **نعمان القساطلي** في خاتمة روايته «**أنيسة**» التي ظهرت في العام ذاته بمجلة «**الجنان**»: «وقف هنا القلم، وانتهى ما رأيت لزوما لإثباته في هذه الرواية المخترعة من المواضيع الأدبية، والنكات الحكمية، والحوادث الحبية، والنوادر الصدفية، وجعلتها خدمة لشبان وشابات وطني العزيز، بها يميزون الجيد من القبيح»(٩).

وكتب **محمود خيرت** في مقدمة روايته «**الفتاة الريفية**» التي ظهرت في القاهرة عام ١٩٠٥م: **«على أن الرواية لا تكون قيّمة حتى ترمي إلى غرض شريف أو فائدة حِكَميَّة. وربما كانت ألزم لردع النفوس الشريرة عن السير في طريق المفاسد والشرور، وأدعى إلى انفتاح القلوب الضالة إلى الفضيلة ومحاسن الأخلاق. فتكون الروايات درسا من دروس الحياة يسير بالقارئ في طريق الهداية ويرشده إلى محجة الصواب»(١٠).**

وكتب **جرجي زيدان** في مقدمة الطبعة «الثانية من «**الحجاج بن يوسف**» التي ظهرت في القاهرة عام ١٩٠٩م: **«رأينا بالاختبار أن نشر التاريخ على**


علي مبارك


جرجي زيدان

أسلوب الرواية أفضل وسيلة لترغيب الناس في مطالعته والاستزادة منه... فالعمدة في رواياتنا على التاريخ. وإنما نأتي بحوادث الرواية تشويقا للمطالعين»(١١).

في هذه التفسيرات والتعليلات، وكثير غيرها مما درج عليه كتاب الروايات في تلك الفترة، يطالعنا الوعي الشديد للرسالة الاجتماعية والأخلاقية والتعليمية للرواية، وهو وعي يندرج تحت مصطلح «الالتزام» الذي استخدمه الأوربيون بعد أكثر من نصف قرن. **ومعنى هذا أن الرواية العربية، وفنون القصة الحديثة بوجه عام، ولدت ولادة ملتزمة اجتماعيا وأخلاقيا**، على عكس ما حدث في أوربا. وهذا الالتزام المبكر يفسر، بدوره، مالاحظه مؤرخو نشأة القصة والرواية العربيتين من ميل المحاولات الأولى إلى التعليمية، والتقريرية، والخطابية الوعظية، والنزعة الإصلاحية، فضلا عن الخلط بين القصة والمقامة والمقالة. وترتب على ذلك أن التيار الذي غلب على هذه المحاولات «لم يتأثر بالروايات الأجنبية، وذلك لأنه لم يقصد إلى تقديم رواية بالمعنى الكامل، وإنما قصد إلى التعليم أو إلى النقد الاجتماعي. ولم يكن أصحاب هذا الاتجاه ينظرون إلى الرواية كفن مستقل جدير بالاهتمام»(١٢).

فنية وجمالية

ومما يلفت الانتباه أن هذا التصور للرواية كمنصة للخطابة أو منبر للتعليم والإصلاح لم يشمل التأليف وحده، ولكنه امتد فشمل الترجمة أيضا. ولعلنا لاحظنا تحمس **الطهطاوي** لترجمة «**وقائع تليماك**» لسبب خارج على كونها شكلاً أو جنسًا أدبيا ذا قيمة فنية وجمالية خاصة، بغض النظر عن مضمونه ومعناه. وإذا كان طابع هذه الرواية الفرنسية التعليمية وافق التصور العام للرواية في بلادنا فلم يكن من اليسير العثور دائما على نماذج أخرى مماثلة. ولذلك بدأ تصرف المترجمين في الترجمة، **وظهر مصطلح «التعريب» بمعنى التحرر من قيد الأمانة في النقل، وتكييف النصوص مع الذوق العام للأدب والقراءة.**

في عام ١٨٨٤م ظهرت في بيروت رواية بعنوان «**ناجية**» **لخليل زينية**. وجاء في مقدمة صاحبها ما يلي:

«عندما رأيت رواج سوق الروايات في هذا العصر، وإقبال الفضلاء على المطالعات الفكاهية والأدبية، وافتقار لغتنا إلى ما جعله الإفرنج سببلا

المنطقة المجهولة في الإبداع الروائي

إلى المدنيـة ومعـراجـا إلى الآداب، رأيت أن أتحف خلاّني برواية غراميـة الموضوع، أدبية المغزى، كنت قـد طـالعتهـا في اللغة الفـرنسـاويـة تحت عنـوان (خريستين) وهي لا تـزيد على العشر صفحـات، فبسطتهـا مـا احتملــه المقـام، وزدت في نكـاتها، وغيرت ما لم أجـده موافقا لـذوق العصر، وخالفت المؤلف في روايتهـا، فنفيت التنجيم بعد أن أثبتـه. فلست أعرف ماذا أسميها، أتعريبا أم تأليفا. على أنني أرى أن اسم التأليف أليـق بها من التعـريب، فإن من تصفح أصلها بعد مطـالعتها يرى ما بينهما من الفرق الواضح والبعد الشاسع»[١٣].

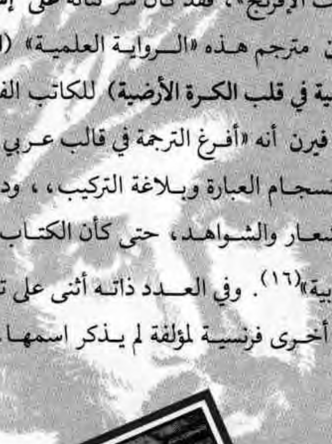
وبغض النظـر عن حيرة الكـاتب المذكـور، ومحاولتـه الظهور بمظهـر المؤلف لذلك الاقتبـاس الصريح، فقد ساد منهجه بعد ذلك، وأصبح من النـادر أن نرى نصـا غير عربيّ منقـولاً إلى العربيـة بأمـانـة، حتى عنـد الذين شجعـوا الترجمة ودعـوا إليها. وأبرز مَثَلٍ لهؤلاء **يعقوب صروف**. ففي عام ١٩٠٠م قدم لقـراء مجلته **«المقتطف»** ترجمة لرواية **«تنكرد» Tancred** للسياسي والأديب الإنجليزي **دزرائلي**. وذكر في تمهيده للترجمة:

«سنبـذل الجهـد في التعبير عن معـاني المؤلف بألفـاظ معروفـة وتراكيب مـوصوفـة لكي لا تضيع الفائدة على أحـد، ولو كـان من عامـة القراء. ولا نهمل منها إلاّ بعض فصول هزلية أو انتقادية أدمجها المؤلف في روايته لتفكيه القراء وانتقاد بعض خصومه في السياسة، مما يتعذر فهمها لو نقلت إلى العربية، لارتباطها بأحوال غير مألوفة عندنا وأناس قلما يُعلم شيء من أمرهم»[١٤].

تهذيب وتكييف

وفي العام التالي قدم **صروف** ترجمة لرواية أخرى بعنوان **«أمينة»** لأميرة لم يذكر اسمها. وكان مما ذكره في تمهيده للترجمة أنـه لن يتقيد «بما كتبتـه المؤلفة»، وإنما سيتصرف فيه «حسب مقتضى الحال»[١٥].

لم يكن مـوقف **صروف** هذا جـديدا، فقـد استجـاب فيه للـذوق العـام من ناحيـة، والآداب العامـة من ناحيـة أخرى. بل سبق لـه أن أثنى في مجلتـه على هذا المنهج في الترجمة، الـذي يمكن أن نسميه منهج التهذيب والتكييف. ففي عام ١٨٨٥ أثنى على تـرجمة مبكرة لإحـدى روايـات ما نسميـه اليوم باسم **«الخيال العلمي»**. ومع أنه عدّ الترجمة مهمـة بـوجـه عـام «إلى أن نقـوى على الابتكـار والتصنيف»، على حد قوله، وأضاف إن «نجاحنا في هـذا البـاب مـوقـوف على اختيـارنـا المفيـد من مؤلفات الإفرنج»، فقد كان سر ثنائه على **إسكندر عمون** مترجم هـذه «الـروايـة العلميـة» **(الرحلة العلمية في قلب الكـرة الأرضية)** للكاتب الفرنسي **جول فيرن** أنه «أفـرغ الترجمة في قالب عـربي جامع بين انسجـام العبارة وبـلاغة التركيب، ، ودبّجهـا بـالأشعـار والشـواهـد، حتى كأن الكتـاب وضع بالعربية»[١٦]. وفي العـــدد ذاتـه أثنى على تــرجمة رواية أخـرى فرنسيـة لمؤلفة لم يـذكر اسمهـا، لأنها



يعقوب صروف

جاءت «مهذبة اللفظ والمعنى»[١٧] كما أثنـى على ترجمة **«ديوان الفكاهة»**، وهو سلسلـة شهريـة من الروايـات الأدبية، قام بترجمة القسم الفـرنسي منها **شاكر شقير**، وأضاف أنـه يرحب «بكـل ما آل إلى فائدة القـارئ وتهذيب أخلاقـه كديوان الفكـاهة» قـال: «ونـذم مـا آل إلى إفسـاد الـذوق والآداب، كبعض الـروايـات التي يخشى عـرضهـا على ذوي الألباب»[١٨].

وإذا كانت الرواية نشـأت نشأة ملتزمة اجتماعيا وأخلاقيا على هذا النحو، فلم يمنع ذلك من ظهور تيار آخر يشترك مع هذا التيار الجاد الغالب في عزل الروايـة عن رسالتهـا الفنية والجمالية، والنظـر إليها كوسيلة لشيء آخـر غير الفن والمتعة الجمالية، **وهو ما سماه مـؤرخو تلك النشأة بتيار التسليـة والترفيه،** وهو تيار عام عرفته الرواية في أوربا، وما زال نشطًا فيها حتى اليوم. **ولكنه وجد ـ منذ ظهوره في الشام ومصر ـ مقـاومـة مـن أصحـاب التيـار التعليمي الإصـلاحي وأنصـاره، وكذلك من رجـال الـدين وأنصـار الثقـافـة الجادة، والنقـاد، على السـواء،** وأدخل بعض هـؤلاء القصص والسير الشعبيـة في إطـار التسليـة، مثلما أدخل فيـه الجميع القصص العاطفية وروايات الغرام التي لا تطمح إلى تصوير ما يبعد عن الحب بمعناه الرخيص.

في عام ١٨٨١م نشر محمـد عبده مقـالاً بعنوان «الكتب العلمية وغيرها» بجريدة «الوقائع المصرية» الرسمية التي كـان محررا لها، **وفيه تنـاول الكتب المتـداولة في أيـدي المصريين،** وقسمها إلى خمسـة أقسام «متفـاوتة بتفاوت أميال المطـالعين» على حد تعبيره[١٩]، **ويمكن إجمالها في:**

١ ـ الكتب النقلية الدينية.

٢ ـ الكتب العقلية الحكمية.

٣ ـ الكتب الأدبية.

٤ ـ كتـب الأكاذيب الصـرف، مـثل السير والقصص الشعبية.

٥ ـ كتب الخرافـات، مثـل السحـر والتنجيم والكيمياء الكاذبة.

ويستـوقفنا في هـذا التقسيم القسمان الثـالث والرابع، فقد عرّف الكتب الأدبيـة بقوله: «هي ما يبحث فيها عن تنوير الأفكار، وتهذيب الأخلاق. ومن هـذا القبيل كتب التـاريخ، وكتب الأخـلاق العقلية، وكتب الرومانيات، وهي المخترعة لمقصد جليل كتعليم الأدب وبيـان أحوال الأمم، والحث على الفضائل، والتنفير من الرذائل، ككتاب كليلة ودمنـة، وفـاكهـة الخلفـا، والمرزبـان، والتليماك، والقصة التي تترجم في جريـدة الأهرام، وغيرها من بقية المؤلفـات. وهذا القسـم كثير التداول في المدن والثغور، ويكثر في أبناء وطننـا وجود البارعين فيه، المشتغلين بدراسته، العاكفين على مطالعته» وعرّف

الشيخ محمد عبده يصنّف الرواية الشعبية في دائرة «الأكاذيب الصرف»

كتب الأكاذيب الصرف بأنها «ما يذكر فيها تاريخ أقوام على غير الواقع، وتارة تكون بعبارة سخيفة مخلة بقوانين اللغة. ومن هذا القبيل كتب أبو زيد، وعنتر عبس، وإبراهيم بن حسن، والظاهر بيبرس. والمشتغلون بهذا القسم أكثر من الكثير. وقد طبعت كتبه عندنا مئات مرات، ونفق سوقها، ولم يكن بين الطبعة والثانية إلا زمن قليل»[٢٠].

ميّز محمد عبده في هذا التقسيم الطريف بين النوعين التقليديين للأدب، أو ما نسميه: الأدب الرسمي والأدب الشعبي. وبغض النظر عن تحيزه الصريح للأدب الرسمي، أي غير المنافي للواقع وقوانين اللغة في رأيه، فقد أدرج تحته الروايات «الرومانيات على حد تعبيره، من كلمة «رومان» الفرنسية Roman بمعنى رواية». ولكنه اشترط أن تكون هذه الروايات من النوع الملتزم، أي المؤلفة (المخترعة) «لمقصد جليل كتعليم الأدب وبيان أحوال الأمم، والحث على الفضائل، والتنفير من الرذائل». أما الروايات والسير والملاحم الشعبية التي راجت سوقها في ذلك الوقت فقد عدّها من «كتب الأكاذيب الصرف»، وأخرجها من عالم الأدب الحق، على عادة مثقفي عصره الذين لم يروا في الأدب الشعبيّ ـ ومنه ألف ليلة وليلة ـ إلاّ الضرر الأخلاقي واللغويّ.

رقابة على المطبوعات

ولكن تقسيم **محمد عبده** للكتب المتداولة في عصره لم يكن إلا تمهيدًا للحديث عن تدخل الدولة. فقد أوضح أن جميع كتب الأقسام الخمسة السابقة كانت ـ إلى عهد قريب كما يقول ـ تطبع من دون استئذان ولا تقييد. **ثم قررت الحكومة في ذلك العام (١٨٨١م) ألا يطبع كتاب دون الحصول على رخصة تجيز الطبع، مع الحَجْرِ على ما يخلّ بالدين أو السياسة، وكذلك «الحجر على طبع الكتب المضرة بالعقول، المخلة بالآداب، وهي كتب القسمين الأخيرين»[٢١].** وعلق على هذا القانون الجديد بقوله: «فعلى الذين يميلون إلى مطالعة مثل هذه الكتب لتسلية النفس وترويح الخاطر أن يستعيضوها بغيرها من الكتب المفيدة الصحيحة.



الشيخ محمد عبده

فمن كانت رغبته متجهة إلى كتب (أبو زيد) وما معها من الكتب كعنتر عبس وغيرها أن يستبدل بها كتب التاريخ الصحيحة، كتاريخ المسعودي، وتاريخ (إظهار أنوار الجليل) لحضرة رفاعة بك، وتاريخ الكامل لابن الأثير، وتاريخ الدولة العلية، وكتب القصص الأدبية المترجمة في أعداد «الأهرام»، والقصة التي طبعت في مطبعة العصر الجديد، وهي المعنونة بالانتقام[٢٢]، وغيرها من بقية الرومانيات العربية الأصل ككتاب (كليلة ودمنة) وما ماثلها من الكتب التي جعلت على ألسنة الطيور والحيوانات»[٢٣] ثم اختتم المقال بشجب كتب القسم الخامس وبيان أضرار الخرافات.

لم يستمر العمل طويلا بقانون المطبوعات هذا، فسرعان ما أهمله الإنجليز حين احتلوا مصر في العام التالي، فانتشر طبع كتب القسمين الرابع والخامس في عهد الاحتلال، بالرغم من إنكار المثقفين ورجال الدين لها، ولكن كتب القسم الرابع، التي سماها محمد عبده» كتب الأكاذيب الصرف»، ظلت مستهجنة من جانب أنصار الأدب الرسمي إلا إذا خضعت للتهذيب. ففي عام ١٨٨٥م كتب **يعقوب صروف** مرحبا بقصة **فيروز شاه في «المقتطف»**. وعلق عليها بقوله:

«هي قصة مشهورة اشتهار ألف ليلة وليلة، وما زالت تتناقلها الألسن، وتتلاعب فيها بين زيادة ونقصان، حتى جمعها وهذبها جناب الأديب نخلة أفندي قلفاط... ولا يخفى أن الروايات أقدر على تهذيب اللسان والأخلاق من كل الكتب، لأنها أكثرها تداولاً بين الخاصة والعامة. ولذلك نترحب (!) بهذه الرواية إذ جمعت بين تهذيب العبارة وصحة المبادئ»[٢٤] ومع ذلك ظل رأي صروف في نشر هذا القصص الشعبي دون تهذيب مثل رأي محمد عبده. ففي عام ١٨٩١م وجّه إليه قارئ من مدينة طنطا (يدعى جرجي عنحوري) هذا السؤال: «هل من فائدة من قراءة القصص كقصة ألف ليلة وليلة وأبي زيد؟» وكان جواب صروف: «في قراءتها شيء من التسلية، ولكن فيها مضارَّ كثيرة، لأنها مشحونة بالأوهام والخرافات وحوادث الحب والغرام»[٢٥].

ومن الواضح أن **صروف** تسمَّح ـ إلى حدما ـ مع الأدب الشعبيّ، شريطة أن يطبع منقحا مهذبا. ومع ذلك لم يتسمّح مع قصص الغرام. فقد كتب **عام ١٨٨٢م كلمة بعنوان «ضرر الروايات والأشعار الحُبِّية»**، استهلها بقوله: «لو استقرَيْنا قلق الشبان والشابات لوجدنا أكثره مسببا عن الحب الباكر الناتج من قراءة الروايات والأشعار الحبية. فإن الشاب إذا قرأ رواية حبية جعل يستغنم كل فرصة لقراءة ما شاكلها من الروايات، فيضيع وقته سدى، ويفسد ذوقه، ويهمل واجباته. وقد يتعلق بحبال الحب الباكر. وليس له من نفسه رادع يردعه، فيصرف شبابه في ما يوقعه في الندم أخيرا. وما قيل في الشبان يقال في الشابات. ولذلك **يجب على كل الذين يعتنون بتربية الأولاد أن لا يسلموهم إلا الكتب التي تربي عقولهم وآدابهم خير تربية»[٢٦].**

كتب **صروف** هذا الكلام ونشره في **بيروت**، قبل أن يهاجر بمجلته إلى القاهرة عام ١٨٨٥م.

ومع أنه هو نفسه كتب ونشر ـ في القاهرة ـ روايات حُبِّية كما سماها، فقد كان الحب فيها ثانويا

المنطقة المجهولة في الإبداع الروائي

بالقياس إلى التعليم والمعلومات. ولكن رأيه هذا ظل رأي الأكثرية من المثقفين طوال الفترة، لا فرق في ذلك بين مسلم ومسيحي أو علماني وغير علماني(٢٧).

وقد سبق أن أشار **سليم البستاني** إلى احترامه لهذا الرأي منذ عام ١٨٧٢م، مما يعني أنه كان مطروحا في ساحة الأدب قبلها. ففي ذلك العام ظهرت بمجلة **«الجنان»** رواية **«بُدُور» للبستاني** التي أكد في مقدمتها ذلك الرأي بقوله: «وفي هذه الروايات (يعني التي درج على نشرها بالمجلة) كتابة موافقة لمشرب الشبان مع المحافظة على الآداب، ومجانبة كل ما يهيج الأميال الفسّادة، والتحريض على ما يحملهم إلى طلب الغرام الطاهر»(٢٨).

نستطيع ـ بعد هذا كله ـ أن نخلص إلى أن الإطار الاجتماعي والثقافي الذي تحركت فيه الرواية وفنون القصة المختلفة كان مواتيا بشكل عام، ولكنه فرض عليها شروطه، وأخضعها ـ منذ البداية ـ لالتزام هذه الشروط، من حيث المضمون، واللغة، ومواضعات البيئة المتدينة المحافظة.

استجابة نقدية

في داخل هذا الإطار الاجتماعي الثقافي تحرك النقد على أيّ حال، ولكنه لم يكن نشيطا مثل الإبداع، ولا سيما فيما يتعلق بالأشكال والأجناس الأدبية التي عرفها الأدب العربي الحديث بعد أن طورتها أوربا، وهي: الرواية والقصة القصيرة والمسرحية والمقالة.

وباستثناء الشعر ـ وهو جنس أدبي عريق وراسخ في أدب العرب كما هو معروف ـ لم يكن للأجناس الأخرى ذات الصلة ـ غير المتطورة ـ بالأدب القديم نقد منتظم، ولا نقاد متفرغون أو متخصصون. وليس من الغريب، بالطبع، أن تكون ترجمة الروايات واقتباسها والتأليف فيها أسبق في الظهور من نقدها. **ولكن من الملاحظ أن ثمار هذا النقد كانت ـ في أغلبها ـ من عمل محرّري المجلات الثقافية التي رافقت نشأة الرواية في مصر والشام**، ولا سيما: المقتطف (١٨٧٦م)، الهلال (١٨٩٢م)، البيان (١٨٩٧م)، الضياء (١٨٩٨م)، المنار (١٨٩٨م). وكان هؤلاء المحررون ـ أصحاب المجلات المذكورة في الوقت ذاته ـ من أبناء الشام، أو من لبنان بالمعنى المعاصر للكلمة، وهم على التوالي: يعقوب صروف، جرجي زيدان، إبراهيم اليازجي، محمد رشيد رضا. وإذا استثنينا اليازجي ورشيد رضا فإن للاثنين الآخرين مساهمات في كتابة الرواية، أو ترجمتها، أو الاثنين معا. ومع ذلك كان على الساحة الأدبية بعض المجلات الأخرى ذات الطابع الثقافي العام، مثل «المشرق» (١٨٩٨م) في بيروت، «العرفان» (١٩١٠م) في صيدا، «المقتبس» (١٩٠٦م) و«البيان» (١٩١١) في القاهرة. والأخيرة هي غير «البيان» التي أصدرها اليازجي وتوقفت بعد عام، وكان يحررها عبد الرحمن البرقوقي. أما «المشرق» فكان يحررها الأب لويس شيخو اليسوعي. وأما «العرفان» فكان يحررها أحمد عارف الزين، في حين كان محمد كرد علي يحرر «المقتبس». وجميعهم من أبناء الشام باستثناء البرقوقي، فهو من أبناء مصر، فضلاً عن أنهم لم يكونوا من ذوي الطموحات الروائية أو القصصية، ولكنهم أجازوا الرواية والقصة، بالشروط التي بيناها، وساهموا في نشرها بمجلاتهم.



محمد كرد علي

من الصعب أن نغفل جهود هذه المجلات الشهرية ونصف الشهرية جميعا، فيما يتعلق بالاستجابة النقدية للرواية نظريا وتطبيقيا. فهي تشكل في مجموعها المصدر الأساسي لهذه الاستجابة بفرعيها النظري والتطبيقيّ. أما المقدمات التي درج معظم كتاب الفترة على تصدير رواياتهم بها فلا تضم ـ في الحقيقة ـ ما يغني أو يشبع في هذا المجال، لأنها درجت أيضا على تناول الظروف العامة الاجتماعية والثقافية، دون الغوص التأملي في التجربة الإبداعية، وإن كنا نجد فيها ـ أحيانا ـ بعض التأملات المتناثرة، مثل قول **سليم البستاني** في مقدمة روايته **«الهيام في جنان الشام»** إن «حسن الرواية إنما يكون بكيفية نهايتها»(٢٩)، أو قول **أمين ناصر الدين** في روايته **«غادة بصرى»**، التي ظهرت في بيروت عام ١٩١١م، إن «أفضل الروايات ما امتزجت فيه فائدة الحقيقة بفكاهة الخيال، وأدعاها إلى استحسان القراء ما كان متنوع الحوادث متعدد النواحي»(٣٠). فهذه، وغيرها أقوال متناثرة عابرة، لا تصنع بنية نظرية متكاملة كما تصنعها المقالات النظرية والتطبيقية التي ظهرت في المجلات المذكورة بأقلام روائيين أو مطلعين على الفن الروائي، فضلا عن أن ما ظهر في هذه المجلات يشكل منطقة بحثية مجهولة، آن الأوان لارتيادها.

ومع أن هذه المجلات حرصت ـ بشكل عام ـ على متابعة الكتب الجديدة بالتنويه أحيانا، والعرض أحيانا أخرى، فقد كان النقد ـ من حيث هو مناقشة للأفكار وطريقة صياغتها ـ أقل أنواع هذه الاستجابات. وكانت «المقتطف» ـ بصفة خاصة ـ تطلق على التنويه بالكتب اسم «التقريظ»، في حين تطلق على النقد اسم «الانتقاد». وبالرغم مما قد يحمله هذا المصطلح من معاني التسقط للأخطاء، فقد جارتها في استخدامه بقية المجلات. ولكن من الملاحظ ـ بوجه عام ـ أن ما قدمته في هذا الباب ـ مع سواها ـ لا يشكل كمّا كبيرا أو مدهشا، فضلاً عن أنه كان كمًّا متقطع الظهور، يظهر ـ من وقت إلى آخر ـ على استحياء واضح. وقد روى صروف نفسه في مقال عن «الانتقاد»، نشره عام ١٨٨٧م، كيف أنه تعرض مرة لإحدى الروايات بالنقد فهاجمته إحدى الجرائد «على وجه يثير الشحناء»، مما ثبّط عزيمته،

روّاد الكتابة القصصية يخشون النقد.. والجمهور يرحب به!

وجعله يقلل من جهوده النقدية، تجنبا لحساسية المؤلفين إزاء النقد، ودفعا لشبهة التطفل[٣١].

غير أنه من الملاحظ أيضا أن التأمل في الرواية، والنظر في أمورها، ظهر قبل تطبيق هذه التأملات والنظرات على روايات بعينها. إذ يرجع أقدم تأمل نظريّ على صفحات المجلات الثقافية التي ذكرناها إلى عام ١٨٨٢م، حين أشار محرر «المقتطف» ـ في بيروت كما مرّ بنا ـ إلى خطر الروايات الغرامية. **أما النقد التطبيقي فكان أول ظهوره في «المقتطف» أيضا عام ١٨٨٧م، ولكن هذا الظهور كان من باب ما سماه صروف باسم «التقريظ»، أو التنويه بمعنى آخر، وهو تغطية خبرية موجزة للكتب الحديثة الظهور، مع بعض الملاحظات العامة أحيانا. وأما النقد التفصيلي المتأني الذي سماه صروف باسم «النقد الممحص» فلم يظهر في «المقتطف» قبل عام ١٨٩٢.**

ولعل مما يجدر ذكره في هذا المجال أن مصطلح **«النقد»** كما نعرفه اليوم، وكما عرفه أجدادنا، لم يكن شائعا في تلك الفترة، وإنما شاع **مصطلح «الانتقاد»**. ويرجع أقدم استخدام له إلى عام ١٨٧٦م، حين **ورد في عنوان كتاب صغير، هو «ارتياد السعر في انتقاد الشعر» لمحمد سعيد، ظهر منجما بمجلة «روضة المدارس» في القاهرة عام ١٨٧٦م**[٣٢]. ويبدو أن له صلة بالمصطلح الفرنسي Critique أو الإنجليزي Criticism، وكلاهما يحمل معنى الانتقاد. وقد ظل هذا المصطلح شائعا في المجلات والصحف إلى نهاية الفترة.

إطار ثقافي

وإذا كان الإطار الاجتماعي والثقافي ـ الذي نشأت فيه الرواية العربية الحديثة ـ فقيرًا، متدينا، محافظا، ملتزما بمعتقداته وقيمه، حذرا في الأخذ والاقتباس، محدود التعليم والخبرات بوجه عام، فقد كان هو ذاته الإطار الذي نشأ فيه نقد الرواية. ولذلك **كان نقاد الرواية ـ نظريا وتطبيقيا ـ أكثر التزاما من سائر المثقفين. فإذا كان الالتزام الأساسيّ لجمهور المثقفين اجتماعيا وأخلاقيا، فقد أضاف النقاد إلى هذين البعدين بعدين آخرين، أحدهما أدبيّ يسعى إلى الحكم على النص الروائيّ من حيث قيمته الأدبية الجمالية، والآخر لغويّ يسعى إلى الحكم على النص الروائي من حيث سلامته اللغوية وجودة سبكه.** ولم تكن الاستجابة، النظرية أو التطبيقية، للرواية تخرج عن هذا الإطار الرّباعي الأبعاد، كما سنرى.

ولكن، إذا كان ذلك هو الإطار الاجتماعيّ والثقافيّ العام الذي نشأ فيه نقد الرواية، فكيف كان الإطار الاجتماعي والثقافيّ الخاص الذي نشأ فيه النقادأنفسهم؟

كان أبرز هؤلاء النقاد، وأكثرهم متابعة للرواية، أربعة، هم بترتيب مولدهم: **إبراهيم اليازجي (١٨٤٧ ـ ١٩٠٦م)، يعقوب صروف (١٨٥٢ ـ ١٩٢٧م)، جرجي زيدان (١٨٦١ ـ ١٩١٤م)، محمد رشيد رضا (١٨٦٥ ـ ١٩٣٥م)** وقد ولد الأربعة بلبنان في أسر فقيرة عموما.



محمد رشيد رضا

والثلاثة الأولون مسيحيون مختلفو المذهب، والأخير مسلم سني. وبينما درس **صروف** العلوم التطبيقية بالجامعة الأمريكية، وتخرج فيها عام ١٨٧٠م اختلف الثلاثة الباقون في تعليمهم العالي. بل إن **اليازجي** تعلم على أبيه الأديب اللغويّ، ولكنه تعلّم بنفسه الفرنسية والعبرية. ودرس رضا علوم الفقه والشريعة وتاريخ الثقافة الإسلامية، في حين شارك زيدان صَرّوف في الأخذ من الثقافة الإنجليزية، بحكم دراستهما بالجامعة الأمريكية، وإن كان زيدان لم يكمل دراسته بها.

ومع أن الأربعة بدؤوا حياتهم بالتعليم أو الترجمة فسرعان ما تفرغوا للكتابة والصحافة، وهاجروا إلى مصر، ابتداء من عام ١٨٨٥م الذي نقل فيه صروف «المقتطف» إلى القاهرة. وفي مصر مارسوا الكتابة والصحافة والتأليف إلى آخر حياتهم. وانفرد اليازجي بينهم بكتابة الشعر وتحقيق التراث والبحث في اللغة، في حين جرب صروف وزيدان كتابة الرواية. ومنهم اثنان (صروف وأنطون) جربا الترجمة، في حين لم يدرس رضا لغة أوروبية، واكتفى بالبحث في العربية. وكان الأربعة ـ من الناحية الفكرية ـ متبايني المذاهب. فبينما **مال اليازجي إلى الأدب واللغة دون تعلق كبير بالفكر، ومال زيدان إلى التاريخ دون تعلق كبير بالفكر أيضا، مال صروف إلى العلوم، ومال رضا إلى الفكر الإسلامي، ولا سيما السلفية المعتدلة.** ولكن الجميع مالوا ـ باستثناء رضا ـ إلى التجديد، والانفتاح على العصر، والأخذ من الثقافة والحضارة الغربيتين.

حين استقر هؤلاء الأربعة في مصر، حيث بدأ عطاؤهم الحقيقي، كان مواطنوهم المهاجرون قد سبقوهم إلى كتابة القصص والروايات وترجمتها، ولكن ظهور مجلات الأربعة (المقتطف، الهلال، البيان، الضياء، المنار) أتاح لهواة القصة والرواية وقرائها منابر للنشر والتعبير من ناحية، وشجع أصحابها أنفسهم على الاهتمام بالقصة والرواية تأليفا أو ترجمة من ناحية أخرى. **وبعد أن كانت «المقتطف» مجلة علمية صناعية زراعية، كما جاء على غلافها، اتجهت في مصر ـ منذ عام ١٨٨٥م ـ إلى الأدب شيئا فشيئا، ورحبت بالقصص والروايات،** وقدمت لقرائها رواية كل عام كهدية للمشتركين، ونشر فيها صروف رواياته الثلاث منجمة، قبل أن يجمعها في كتب، كما نشر رواياته الأخرى المترجمة (أمينة، تنكرد، قلب الأسد، كليوباترة).

وعندما أصدر **زيدان «الهلال» في القاهرة في سبتمبر ١٨٩٢م** قسم أبوابها في افتتاحيتها إلى خمسة، **وسمّى الباب الثالث منها باسم «باب الروايات»**، وأضاف: «سندرج فيه من الروايات ما كان على مثال ما كتبناه مما هو تاريخيّ أدبيّ، ممثل

لعوائد الشرقيين وحوادثهم، موافق لأذواقهم، خال من الحوادث الأجنبية والمسميات الأعجمية». **ثم خصص الباب الأخير لما سماه «التقريظ والانتقاد»** .

بل إن اليازجي الحريص على التراث واللغة يغلق الباب أمام القصاصين والروائيين، مؤلفين ومترجمين، حتى في مجلته «الضياء»، التي أصدر أول أعدادها في ١٥ أيلول (سبتمبر) ١٨٩٩م. بالرغم من أنه جعل شعارها «مجلة علمية أدبية صحية صناعية». وكذلك الحال في مجلة «**المنار**» **التي أصدرها رضا عام ١٨٩٨م**، وجعل شعارها «مجلة شهرية تبحث في فلسفة الدين وشؤون الاجتماع والعمران».

أما الباقون من الآخرين، أصحاب المجلات الثقافية، مثل **فرح أنطون ولويس شيخو، ومحمد كرد علي، وأحمد عارف الزين، ومصطفى الغلاييني**[٣٣] **وعبد الرحمن البرقوقي، فكان لهم ـ عموما**[٣٤] ــ اهتمام مباشر بالرواية والقصة، باستثناء شيخو والبرقوقي اللذين رحبا بنشر الروايات ونقدها، وإن لم يكتباها. وإذا كانت مجلة «المشرق» الكاثوليكية اليسوعية شجبت الروايات الخيالية، وعدتها مفسدة للأخلاق، فقد رحبت بروايات المعلومات أو التاريخ أو القيم المسيحية، ونشرت بعضها منجما ابتداء من سنتها الأولى[٣٥]. ولكنها درجت على التنويه بالكتب في باب بعنوان «مطبوعات شرقية جديدة».

وأما حبيب بنوت وأميدي لوريول فلم نعثر على معلومات كافية عنهما، أكثر من أن الأول محام كما قدمته «المقتطف»، من الشاميين المهاجرين إلى مصر في الغالب، وأن الآخر قس كاثوليكيّ كما قدمته «المشرق»، ولا ندري إن كان أوربيا أو عربيا. ومع ذلك لم تظهر لهما مساهمات أخرى في مجال النقد.

قيود ولكن

غير أننا إذا أخذنا الأربعة الأولين البارزين وجدنا ـ في النهاية ــ أن نشأتهم الاجتماعية الفقيرة تفاعلت مع المناخ غير المواتي لحرية التعبير في الشام، فكانت الحصيلة هي الهجرة. وفي المهجر تفاعلت ثقافتهم المزدوجة ــ العربية والأوروبية ــ مع المناخ المواتي نسبيا، فكانت الحصيلة هي تطور العطاء والإبداع، والانفتاح على الأشكال الأوربية للتعبير الأدبي، وتلبية الحاجات الثقافية الجديدة. وكان المجتمع قد اتسعت مدنه الكبرى لطبقة بورجوازية ناشئة، مقبلة على التعليم، والقراءة، والتسلية، في ظل احتلال أجنبي غير مرغوب فيه.

وبالرغم من حماسة هؤلاء للأخذ والاقتباس عن أوربا، مما ظهر أثره في استجابتهم النقدية النظرية للرواية، كانت حماستهم للنقد التطبيقي في أدنى درجاتها كما سنرى أيضا. ففي الوقت الذي فتحوا فيه أبواب مجلاتهم أمام كل جديد، واستجابوا نظريا للرواية، وطمح بعضهم إلى كتابتها أو ترجمتها، كان من المتوقع أن يهتموا بنقدها

بداية الإنتاج الروائي استفاد من الترجمة بدرجة كبيرة

العملي أو التطبيقي أكثر مما فعلوا، ولا سيما في أواخر الفترة ــ على الأقل ـ حين توافرت لمعظمهم التجربة العملية في الكتابة أو الترجمة. ومع ذلك اكتفوا بأبسط أشكال هذا النقد، وهو التنويه الخبريّ الإعلاميّ ذو الملاحظات السريعة. وحتى هذا التنويه، أو التقريظ كما سمّاه صروف وأخذه عنه زيدان، لم يتناسب من الناحية الكمية مع كثرة الإنتاج الروائيّ واستمراره. فما أكثر الروايات التي نجد عنها مجرد أسطر قليلة في صفحات التنويه بمجلاتهم. ولو عدنا إلى الرقم التقريبي لمجموع روايات الفترة، وهو ٢٥٠ رواية، لوجدنا أن ما نشر من تنويه عنها لم يتجاوز مساحات محدودة، وأن ما نشر عنها من انتقاد ممحص ـ على حد تعبير صروف ـ لم يتجاوز ست مقالات!

هل يمكن أن نعزو هذا العجز الفادح إلى الإطار الاجتماعيّ والثقافيّ العام؟

لا نعتقد أن الجواب بالإيجاب، لأن هذا الإطار ذاته لم يرفض الرواية على إطلاقها، ولا وقف منها ـ في عمومها ـ موقف الصد والمنع. وبالرغم من القيود التي فرضها هذا الإطار على بعض أنواعها، مثل روايات التسلية والغرام، فلم نسمع أو نقرأ عن رواية من هذا النوع ذاته تعرضت للمصادرة، أو منع طبعها، لا بحكم العرف، ولا بحكم قوانين المطبوعات ولوائحها، ولا سيما في الشام حيث كانت مثل هذه الإجراءات تتم بناء على الأوامر والتعليمات الشفوية من الولاة العثمانيين. بل إن هذا الإطار ذاته رحّبَ بما كانت تنشره المجلات من ألوان الاستجابة النظرية للرواية، وإن أصحابها أنفسهم بذلوا في هذه السبيل جهدا واضحا وبارزا، واجتهدوا في الشرح والتبسيط لقرائهم.

ومع ذلك لا يغيب عن الباحث في هذا الموضوع أن الإطار الاجتماعيّ والثقافيّ لم يكن قد تعود ــ بعد ـ النقدَ الأدبيَّ، من حيث هو مناقشة للأفكار وطريقة صياغتها في عمل أدبيّ معين، فضلاً عن أن صروف وزيدان واليازجي وأنطون ـ الذين كانوا مؤهلين للنقد أكثر من غيرهم ــ لم يريدوا فيما يبدو ــ أن يخلقوا لأنفسهم عداوات كثيرة بسبب النقد التطبيقيّ وما يثيره من عداء وخصومة في مثل هذا الإطار الذي لم يتعود النقد.

يتضح ذلك ـ كما سنرى عند الحديث عن النقد النظريّ والتطبيقيّ ــ في تلك الفجوة التي يلمسها الباحث بين المعرفة النظرية والخبرة التطبيقية. كما يتضح في تجربة بعض هؤلاء النقاد مع النقد التطبيقي، ولا سيما يعقوب صروف. ففي مقاله المشار إليه عن «الانتقاد» نلمس شيئا من المرارة والشعور بالإحباط إزاء طموحه إلى تعويد البيئة الأدبية على هذا النوع من النشاط العقليّ، وسوء فهم الأدباء له، ومحاربتهم إياه. ثم يتكرر

لماذا انشغل النقّاد بالشعر وتجاهلوا الرواية؟!!

هذا الشعور بعد نحو خمس سنوات (١٨٩٢م) فيكتب في تقديمه لنقد رواية لزميله زيدان أنه لم ينقدها إلا حين أصر مؤلفها على النقد لا التنويه بل يقول: «طالما تمنينا أن نفتح في المقتطف بابا لانتقاد الكتب الحديثة، من الروايات وغيرها انتقادا ممحصا، يبين غثها من سمينها، ومبتكرها من منتحلها، فننتقد ما يمكننا انتقادُه منها بنفسنا، ومالا يمكننا انتقاده نكل به إلى أحد علمائنا، ولكننا لم نفعل ذلك مرة إلا عدنا بصفقة المغبون، فأضعنا وقتنا، وأغضبنا المؤلف، فرجع علينا بالملامة، إن لم يكن بالمذمة، أو اضطررنا إلى أن نفتح له بابا للجدل يضيق دونه المقتطف، مع أن آداب الانتقاد عند الأوربيين تقضي على المؤلف أن لا يرد على المنتقد إلا إذا أساء المنتقد فهم قولٍ من أقواله، فيجوز للمؤلف حينئذ أن يفسر مراده به مرة واحدة لا غير. وذلك بأوجز عبارة. ويبقى للمنتقد حق في قبول هذا التفسير أو ردّه، فعدلنا عن الانتقاد إلا في ما ندر» (٣٦).

تقريظ وانتقاد

وظل هذا الشعور يثبط عزيمة صروف حتى نهاية الفترة. فهو يكتب مقالاً عام ١٩١٧م. بعنوان «التقريظ والانتقاد»، يستهلّه بقوله:

«قلَّ من مؤلفينا من يعرف غير الشقّ الأول من شقيّ هذا الباب، أي التقريظ. ذلك بأن المؤلف الذي يؤلف كتابا أو كراسا، أو يترجم رواية، ويعرض شيئا من بضاعته على الجرائد طالبا كتابة شيء عنها ترى في أسارير وجهه وحركاته عامة ما تفهم منه أنه يرجو تقريظا لا انتقادا. وكثيرا ما يخرج من التلميح إلى التصريح، فيطلب من كاتب الجريدة تقريظ مؤلفه، لا انتقاده، معتذرا عن هذا التحكم بقوله إنه يعلم أن الانتقاد واجب، وأن التقريظ والمدح الصرف تضليل للكاتب والقارئ معا. ولكن لمّا كان جمهور القراء يحسب الانتقاد معرة وغضاضة على الكاتب، فهو يرجو الإغضاء عما في كتابته من الخلل والزلل، خشية أن يحجم الجمهور عنها، فيسد عليه باب الرزق في وجهه، وما هو إلا طالب عيش. وبعد هذا وذاك، فإن الفضل بيد الله، وله وحده الكمال (٣٧).

إذا كان الانتقاد غير مرغوب فيه من ناحية المؤلف كما أوضح صروف، فهو غير مرغوب فيه أيضا من ناحية كاتب الجريدة كما يقول، لأن الأخير يريد أن يتفادى عواقب انتقاده، فيكتفي



أحمد شوقي



إبراهيم اليازجي



شكيب أرسلان

«بألفاظ معتادة تقال في كل كتاب، مع أن الانتقاد على شدته أفضل للمؤلف من أمثال هذه الأقوال العامة» وهذا ما يعرفه الغربيون مؤلفين وجمهورا كما يقول. «وما ذلك إلا لانتشار العلم بينهم»، واختفاء الكلام الجزافيّ في التأليف والنقد على السواء. ثم يعرض بعض نماذج الانتقاد عندهم، ويعقب في ختام المقال بقوله إنه «متى بلغنا مبلغهم من تحري الصدق في الرواية، والسير في أثر الحقيقة حيثما كانت، وطلب العلم ولو في الصين، فحينئذ نطمع في حب الانتقاد وكره التقريظ مثلهم إذا وضعا في غير موضعهما» (٣٨).

وحين نشر اليازجي نقده لرواية «عذراء الهند» للشاعر أحمد شوقي عام ١٨٩٧م رد عليه شكيب أرسلان، ثم رد على أرسلان أحد كتاب مجلة اليازجي (البيان) وخرج الموضوع عن كونه نقدا للرواية. بل استخدم أحد محرري الصحف مقال اليازجي في حملته على شوقي عام ١٩٠٦ (٣٩).

لم يكن النقد، إذن، مفضلاً عند جمهور الأدباء على التنويه، بالرغم من تفضيل جمهور القراء له. وهذا التفضيل الأخير كان عاما لا يقتصر على النقد الأدبي، إلى درجة أن بعض أصحاب الصحف استغل ذلك في الترويج لصحفه. فقد حدث عام ١٩٠٠م أن ظهرت مجلة تحمل اسم «الانتقاد العام». ووصفتها مجلة «الهلال»، في التنويه بها، بأنها مجلة انتقادية، علمية، صناعية، أدبية، طبية، دينية، نصف شهرية (٤٠).

ويبدو أن النقاد المشغولين بالشعر في القاهرة ـ على سبيل المثال ـ لم يجدوا في الرواية ما يلفت انتباههم، أو يستحق جهدهم. فقد صمت عنها **حسين المرصفي** (توفي عام ١٨٩٠م) مع أنه عاصر نشأتها، كما صمت **محمد المويلحي** (١٨٦٠ ـ ١٩٣٠م) الذي استمر معها حتى نهاية تلك الفترة، مع أنه كان نشيطا في نقد الشعر، ولا سيما في «المقتطف»، وقادرا على قراءة بعض أعمالها الأوربية الجيدة في لغتها الأصلية. وهذه قرينة أخرى على أنه لم يفكر في كتابة رواية عندما ألّف «حديث عيسى بن هشام». وبذلك أصبح النقد

المنطقة المجهولة في الإبداع الروائي

وقفًا على أصحاب المجلات الثقافية ومحرريها. وعندئذ تفاوت حظهم من الحاسة والثقافة النقديتين، كما تفاوت نصيبهم من المتابعة النقدية. ولكنهم جميعًا لم يكونوا متفرغين للنقد، ولا مضحين في سبيله.

كان الإطار الاجتماعيّ والثقافيّ، إذن، مواتيا لظهور الرواية ونقدها على السواء، بالرغم من أنه فرض عليهما مقاييسه، وعلى رأسها ذلك الالتزام الاجتماعيّ الأخلاقيّ، الذي لم يكن منه مفرّ في مجتمع متخلف، متدين، محافظ، يتطلع إلى الإصلاح والتقدم. ومع ذلك كان النقاد – في تطبيقهم لهذا المقياس - قد التزموه حرفيا في نقدهم النظريّ والتطبيقيّ، على السواء. ولم يستطيعوا أن يدركوا الفرق بين متطلبات الفنّ وضرورات الواقع. وساهموا - بإقلالهم وحذرهم وإيثارهم السلامة - في تأخير فترة النشأة ونضج رواياتها، ولكنهم ساهموا أيضًا في الترويج للرواية واحترام الجمهور - والمجتمع - لها.

هوامش

١ - في عام ١٨٣٩م تم تزويد الشام بكتب في الحكمة والجراحة والطب والطبيعة والزراعة والهندسة والجغرافيا والرياضيات واللغة والأدب والمنطق والتاريخ. وكان من كتب الأدب: كليلة ودمنة، تخليص الإبريز في تلخيص باريز.

٢ - جرجي زيدان: تراجم مشاهير الشرق. جـ١، القاهرة، مطبعة الهلال، ١٩١٠م، ص ١٤٠.

٣ - أحمد طاهر حسنين: دور الشاميين المهاجرين إلى مصر في النهضة الأدبية الحديثة. دمشق، دار الوثبة، ١٩٨٣م، ص ص ٨٦ - ٨٨. وقد أورد المؤلف ٤٧ صحيفة ومجلة، ولكنه سها عن عدد آخر. راجع نجيب العقيقي: من الأدب المقارن، جـ٢. القاهرة، مكتبة الأنجلو، ١٩٧٦م، ص ص ٢١ - ٢٤.

٤ - Earl of Cromer. Modern Egypt. Vol. 3 London, Macmillan, 1908, P129

٥ - ظهرت مطابع في المدن المصرية والشامية الصغيرة منذ الربع الأخير من القرن الماضي، كما حدث في طنطا والمنيا والمنصورة وشبين الكوم وصيدا. كما ظهرت صحف ومجلات في بعض هذه المدن خلال الفترة ذاتها.

٦ - عبد المحسن بدر: تطور الرواية العربية في مصر. القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٣م، ص ٥٢.

٧ - إبراهيم السعافين: تطور الرواية العربية الحديثة في بلاد الشام (١٨٧٠ - ١٩٦٧م)، بغداد، وزارة الثقافة والإعلام، ١٩٨٠م، ص ٨٢.

٨ - بدر، مرجع سابق، ص ص ٦١ - ٦٢.

٩ - السعافين، مرجع سابق، ص ٧٩.

١٠ - بدر، مرجع سابق، ص ١٤٠.

١١ - جرجي زيدان: الحجاج بن يوسف، مطبعة الهلال، ط٢، القاهرة، ١٩٠٩، ص ١.

١٢ - بدر، مرجع سابق، ص ٨٨.

١٣ - السعافين، مرجع سابق، ص ١٠٣.

١٤ - المقتطف: شباط (فبراير) ١٩٠٠م، ص ١٣٠.

١٥ - المقتطف: شباط (فبراير) ١٩٠١، ص ١٤٥.

١٦ - المقتطف: كانون الأول (ديسمبر) ١٨٨٥م، ص ص ١٩٠ - ١٩١.

١٧ - المصدر نفسه، ص ١٩١.

١٨ - المصدر نفسه، ص ص ١٩١ - ١٩٢.

١٩ - محمد رشيد رضا: تاريخ الأستاذ الإمام، جـ٢، ط٢، مطبعة المنار، القاهرة، ١٣٤٤هـ، ص ١٣٥ وقد أشار محمد رشيد رضا إلى أن مقال محمد عبده نشر في ١١ أيار (مايو) ١٨٨١م.

٢٠ - المرجع نفسه، ص ١٥٤.

٢١ - المرجع نفسه، ص ١٥٦.

٢٢ - رواية «الانتقام» Vengence تأليف الكاتب الفرنسي بيير زاكون، ترجمها أديب إسحاق وسليم نقاش. أوردها بروجمان. انظر: Brugman. An Introduction to the history of MA Lin Egypt, P216

٢٣ - رشيد رضا، مرجع سابق، ص ١٥٦.

٢٤ - المقتطف: كانون الأول (ديسمبر) ١٨٨٥م، ص ١٩٢.

٢٥ - المقتطف: تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٩١م، ص ١٣٨.

٢٦ - المقتطف آب (أغسطس) ١٨٨٢م، ص ١٧٤.

٢٧ - أورد بدر - مرجع سابق، ص ١١٨ - هجوم فتحي زغلول على الروايات بدعوى أنها من مثبطات عزائم القراء عن قراءة الكتب العلمية والمؤلفات المفيدة، وكذلك هجوم الأب لويس شيخو اليسوعي بدعوى أن ٩٠٪ منها يغلب عليها الغرام، وأنها معربة عن روايات أوربية قليلة الجدوى، شائنة للآداب.

٢٨ - السعافين، مرجع سابق، ص ٨٠.

٢٩ - المرجع نفسه، ص ٧٩.

٣٠ - المرجع نفسه، ص ٨١.

٣١ - المقتطف: كانون الأول (ديسمبر) ١٨٨٧م، مقال «الانتقاد»، ص ص ١٦٢ - ١٧٠.

٣٢ - عبد العزيز الدسوقي تطور النقد العربي الحديث، هيئة الكتاب، القاهرة، ١٩٧٧م، ص ٣١.

٣٣ - للمزيد من المعلومات راجع: نجيب العقيقي: من الأدب المقارن، جـ٢، مكتبة الأنجلو، القاهرة، ١٩٧٦، ص ص ٢٢٩ - ٢٣٠، ٢٣٢ - ٢٣٣، ٢٤٠ - ٢٤٢.

٣٤ - أصدر الشيخ مصطفى الغلاييني في بيروت مجلة «النبراس» شهرية ثقافية عام ١٩٠٩م. وكتب في افتتاحية عددها الأول (غرة المحرم ١٣٢٧/ ٢٢ كانون الثاني (يناير) ١٩٠٩، ص ص ٣ - ٤) أنها ستضم قسما لانتقاد الأخلاق والعادات الضارة، وأنه أفرد له «رواية مهمة في بيان العلل الأخلاقية السارية في الشبان والناشئين، ووصف الأدوية اللازمة لها، سميناها: حديث هاشم بن يحيى». وهي من تأليفه.

٣٥ - راجع على سبيل المثال: السفر العجب في بلاد الذهب، رواية فرنسية للأب أ. ريفو نشرتها المشرق مترجمة ومنجمة ابتداء من عدد أول أيلول (سبتمبر) ١٨٩٨م.

٣٦ - المقتطف: شباط (فبراير) ١٨٩٢م، ص ٣٤٧.

٣٧ - المقتطف: نيسان (أبريل) ١٩١٧م، ص ٣٢٨.

٣٨ - المصدر نفسه، ص ٣٢٩.

٣٩ - انظر مقال «إبراهيم اليازجي الناقد الأدبي» لأحمد حسين الطماوي مجلة القاهرة، ١٦ تموز (يوليو) ١٩٨٥م، ص ٣٩.

٤٠ - الهلال: ١٥ حزيران (يونيو) ١٩٠٠م، ص ٥٧٦. وقد صدرت المجلة المذكورة بالقاهرة في ١٥ آذار (مارس) ١٩٠٠م لصاحبها ومحررها محمد راغب.

■ ■ ■



رحلات حول العالم (١٦)

بقلم الشيخ: حمد الجاسر

سياحة مع المخطوطات

ويستمر تجوال الأستاذ الشيخ حمد الجاسر في أمريكا بلاد العجائب، ويدخل مستشفى، لكن المرض لم يمنعه من التردد على المكتبات والبحث عن مخطوط نادر أو كتاب يضيف جديدا . . .

في مستشفى (كليفلند)

وكانت لفتة كريمة من الملك الطيب الذكر، **خالد بن عبد العزيز** - رحمه الله - حين رآني عندما عُدتُ من بيروت، أثناء حوادثه المحزنة أن قال لي: أنت بحاجة إلى العلاج.

ثم أمر - رحمه الله - بتهيئة وسائل سفري إلى مستشفى (**كليفلند**) **في الولايات المتحدة الأمريكية**، وذلك في عام ١٣٩٦هـ (١٩٧٦م).

وكانت **وزارة المعارف** قد قررت إلحاق بناتي في مدارس أمريكية لإكمال دراستهن التي بدأنها في (**الجامعة الأمريكية**) **في بيروت**، **فسافرت الأسرة الأب والأم والبنات، من جدة إلى لندن، فباريس، فمدينتي هيوستن ودلس فبورتلاند**، حيث قُرِّر أن تكون دراسة البنات في إحدى جامعاتها.

ومن (**بورتلاند**) كان سفر الأبوين إلى (**واشنطن**) والوصول إليها مساء الجمعة (١٣/ ٢/ ١٩٨٦م) والنزول في فندق فخم المظهر، سيئ المخبر، قيل لنا: إنه من فنادق الدرجة الثانية، وما صدق القائل.

وفي صباح السبت كان الذهاب إلى (السفارة) فقابلت موظفة أخبرتها بأنني أحمل معي كتابًا من **صاحب الجلالة**، يتعلق بإدخالي مستشفى (**كليفلند**) فكتبت اسمي بورقة أرسلتها إلى **السفير** وكان **الشيخ عبد الله رضا**(★)، **فبعث إلي شابا يدعى** محمد عالم، قال لي: يسلم عليك معالي السفير، وهو مشغول الآن، ولكنك ستجد الأمر مرتبًا حين تصل إلى (**كليفلند**)، فقلت: وأمر السفر وأمر السكن هنا للراحة؟! فذهب ثم عاد فكرر لي كلامه الأول وانصرف، ولكن شهمًا كريما من موظفي السفارة هو **عيسى بن نويصر** رأى تأثري وامتعاضي مما حدث، فدعاني إلى مكتبه، واتصل بأحد الفنادق فهيأ لي فيه سكنًا، وطمأنني بأنه سيرتب لي أمور السفر ودخول المستشفى، فأفضل وأكمل، وكان الوصول إلى (**كليفلند**) في يوم ١٧/ ٢/ ١٩٧٦م حيث كان البقاء في ذلك المستشفى ما يقرب من شهرين، والعلاج لا يستلزم المكث على السرير، بل يتطلب مني كثرة الحركة وخاصة المشي.

ولهذا كنت حين أسأم من البقاء في المستشفى وخاصة في أوقات الصباح، أخرج مبكرًا وكان المستشفى يقع في ضاحية تبعد عن وسط المدينة بما يقارب خمسة عشر كيلاً، وكانت المدينة واسعة، واقعة في سهول ممتدة، والمواصلات



بين ضواحيها منظمة، فكنت إذا تعبت من المشي أركب إحدى الحافلات إلى وسط المدينة، حيث أزور بعض معالمها.

ثم اهتديت إلى مكتبتها العامة عن غير قصد، فوجدت سهولة في دخولها بعد أن أبرزت بطاقة بالمستشفى التي أحملها معي لقسم الاستعلام فيها، فقدم لي بطاقة تهيئ لي فرصة التردد على المكتبة خلال شهر.

عرفت أن المكتبة تفتح من الساعة التاسعة صباحا حتى الساعة الخامسة كل يوم، سوى يوم الأحد، ولقد وجدت في ترددي على هذه المكتبة ما دفعني

إلى الاستفادة من الوقت الذي كنت أستطيله سأمًا وعدم ارتياح، فكنت أستعير بعض الصحف العربية كمجلة **«العربي»** وبعض الجرائد **اللبنانية والمصرية**، وأعيدها قبل الوقت المحدد، مما كان سببا في تسهيل معاملتي.

وفي أحد الأيام سألت الموظف الذي اعتدت أن أقابله: ألا يوجد في المكتبة كتب عربية مخطوطة؟ فلم يفهم السؤال، ولكنه ذهب بي إلى الدور الثالث في المكتبة، وأدخلني على رجل عرفت من سحنته أنه شرقي، فسألني ماذا أريد؟ باللغة العربية، فأخبرته، فقال: نعم لدينا كتب قليلة، وأطلعني على الصوان الذي رتبت فيه بطاقات أوصافها، وقال: إنه مستعد لمساعدتي فيما أحتاج فيه إلى مساعدة لإطلاعي على ما أريد الاطّلاع عليه من هذه الكتب، وأخبرني أنه مسلم وأن اسمه **(رياض أحمد)**.

كان مما طالعت من أسماء تلك الكتب:

١ ـ كتاب «من تاريخ ثغر عدن»

وفي البطاقة: تأليف . . . الطيب بن عبد الله بن أحمد بامخرمة، وهذه النسخة مرتب (؟) من الأصل بتقديم وتأخير في التراجم وحذف بعض التراجم المختصرة. ورقمها في المكتبة (W,091 - 9927.T 139T) ويقع هذا الكتاب في (١٢٤) ورقة، جاء في الصفحة الأخيرة منه: (الورقة ١٢٤/أ): فأرسل المجاهد جريدة من العسكر نزلوا بوالدة الطاهر إلى **عدن** ليطلق **الشيباني** بقية من الناس الذي عنده في حصن يمين (؟)، فأطلقهم، وذلك في شهر رجب سنة تسع وعشرين وسبع مائة، ولم أدري (؟) ما كان أمر حسن المذكور بعد ذلك، ولم أقف على ترجمة له مخصوصة وإنما ما ذكرته هنا من ترجمة المجاهد والله سبحانه وتعالى أعلم منقول من كتاب ثغر عدن للطيب. . . (الورقة ١٢٤/ب): وكان الفراغ من نساخة هذا الكتاب المسمى كتاب الثغر يوم الحد (؟) ٢٣ شهر القعدة سنة ١٢٦١ بقلم. . . **عبد الرازق بن علي بن أحمد بن علي الحويرت**. . .).



أحمد زكي باشا

وهذا الناسخ عامي، والنسخة كثيرة التحريف، وكتاب **«تاريخ ثغر عدن»** معروف، طبع مقتطفات منه المستشرق السويدي **(أسكار لوفجرين)** في كتاب **«تاريخ عدن»** ويوجد من كتاب **بامخرمة** نسخة في مكتبة الإسكندرية رقمها (ن٣٦٣٢ج) وهي مخطوطة سنة ١٢٩٥هـ، وآخر ما فيها من الحوادث تنتهي إلى سنة ٩٢٢هـ، وفي دار الكتب المصرية مختصر منه باسم **«المختار من تاريخ عدن» لبامخرمة**، رقمه (٥٥١٥تاريخ) وهي نسخة **أحمد زكي باشا**.

٢ ـ «حكاية السندباد البحري»

وجدت في المكتبة برقم (W385) بعنوان «كتاب في التاريخ» ولكنني لما طالعته قرأت في طرته: (هذه حكاية السندباد البحري نقلت من العربية إلى الإفرنجية على يد الفقير إلى ربه **فرنسيس المكنى بالصليبي** ذي أكروس القاري، المدرس في المدرسة الملكية السلطانية باللغة العربية، عفا الله عنه سنة ١٧٠١م بمحروسة باريس).

فلم أعر هذا الكتاب اهتمامًا.

٣ ـ كتاب «تعبير الرؤيا» لابن غنام

رقمه (091.9927AB91T) مؤلف هذا الكتاب كما في هذه المخطوطة **أبو طاهر إبراهيم بن يحيى بن غنام الحنبلي**، وفيها أن الفراغ منه يوم الجمعة لست وعشرين من ذي الحجة سنة ألف ومائة وعشرين.



٤ ـ كتاب «فتوح أفريقية» للواقدي

رقمه (WI39F09I.9927.W) طالعت هذا الكتاب الذي يقع في ٢٤٤ ورقة (٤٨٨ صفحة) في الصفحة سبعة عشر سطرا والخط مغربي.

ولم يظهر لي أنه من تأليف **الواقدي**.

ومكتوب بورقة ملحقة: (كتاب **«فتوح أفريقية»** فرغ من نسخه سنة ١١٨٢هـ، والمحتمل أنه نفس الكتاب في **فتوح أفريقية** المنسوب إلى **الأمام الواقدي** الذي طبع في مدينة تونس سنة ١٣١٥).

وأوله: **(بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه. قال الشيخ الإمام العالم العلامة الحافظ الحجة ـ ثم كلمات لم أستطع قراءتها ـ الدين لطار (؟) بن مليح الأفريقي رحمه الله ورضي عنه: الحمد لله مانح النعم فضلا من عنده)** إلى أن قال: (أما بعد فنحمد الله على فضله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله، فإني قصدت في هذا المختصر الأجر والبركة (؟) بفضل الله وحسن عونه إن شاء الله.

مما استفتحه الصحابة وأولادهم **عقبة بن عامر**، صاحب رسول الله ﷺ.

وهذا أهم ما برز لي من عناوينه وأسماء رواة أخباره:

أوله: (قال المؤلف رحمه الله تعالى: لما سميت **القيروان**. . .)

وفي الورقة (٢٥ب): (قال: وحدثني **سعيد بن ظافر** قال: أخبرني **أويس ابن شداد**. . .).

وفي الورقة (٣٩أ) : (قال : حدثني **ظافر بن كثير** قال : أخبرني **أويس بن سعيد** . . .) .

وفي الورقة (٣٨أ) : (قال : وحدثني **سعيد بن عبد الرحمن** قال : أخبرني **شداد** قال أخبرني **حنظلة الغساني** وكان في عصر **فتوح أفريقية** وحضر ذلك (؟) الوقعة مع **أهل الزايد** . .) .

وفي الورقة (٢٩ب) : (ذكر **فتوح سوسة**، قال صاحب الحديث : ثم أمر **الأمير عقبة عبد الله بن جعفر**) .

وفي الورقة (٣٨ب) : (ذكر فتوح **مدينة سبية**، قال صاحب الحديث : ثم ارتحلوا (؟) المسلمون .) .

وفي الورقة (٤٣ب) : (ذكر قدوم **الحاجب** وهو حاجب الملك الأكبر إلى قتال المسلمين . . .) .

وفي الورقة (٥١ب) : (ذكر قدوم **ابن الملك صاحب المهدية** . . .) .

وفي الورقة (٧٣) : (ذكر **فتوح مسبة** (؟) : قال صاحب الحديث . . .) .

وفي الورقة (٧٧) : (ذكر **فتوح شربنار**: قال صاحب الحديث . . .) .

وفي الورقة (٨١) : (ذكر فتوح **حيذرة**: قال صاحب الحديث . . .) .

وفي الورقة (٨٨ب) : (ذكر فتوح **قسطلة** : قال صاحب الحديث . . .) .

وفي الورقة (٩٠ب) : (ذكر فتوح **تست** : قال صاحب الحديث . . .) .

وفي الورقة (٩٦ب) : (ذكر فتوح **قسطنينة**: قال صاحب الحديث . . .) .

وفي الورقة (١٠١) : (ذكر فتوح **باجه**: قال صاحب الحديث . . .) .

وفي الورقة (١٠٢) : (ذكر فتوح **المعلقة وهي** مدينة الملك الأكبر لعنه الله) .

وفي الورقة (١٣٨ب) : (ذكر فتوح **الزايب**(؟) . .) .

وفي الورقة (٢٠٦ ب) : (ذكر فتوح مدينة **الحمراء** وهي التي ملكها سطاليش الملك الأكبر) .

وآخر الكتاب : (وهذا ما بلغنا من الأخبار من **القيروان** إلى آخر **المغرب** وصلى الله على **سيدنا محمد** . . . . وكان الفراغ منه صبيحة يوم الاثنين ١٦ جمادى في عام اثنين وثمانين ومئة وألف) .

٥ ـ كتاب «تاريخ الدولة الأيوبية»

ومما طالعته من تلك المكتبة كتاب عنوانه «**تاريخ الدولة الأيوبية**» يقع في ٢٥٥ ورقة ولكن بعد مطالعته اتضح لي أنه ليس مخصصًا لتاريخ **الدولة الأيوبية** ولكنه عام في تاريخ **حكام مصر**، وها هو نص ما طالعته عنه مما يدل على ماذكرت . جاء في أول تلك المخطوطة ـ وقد يكون الكلام مضافا إلى الأصل ليفهم منه أن الكتاب كامل وهو فيما أرى جزء من مؤلف ـ : (أما بعد فهذا تاريخ جليل الشأن، يتضمن أخبار ملوك العصر ورؤساء الدهر، يفيد أكثر الناس، لمعرفة أحوال من ساس، أخباره صادقة، وكلماته بالصدق ناطقة، والمسؤول من صدقات ذوي الأدب، البالغين في البلاغة أعلى الرتب، أن يسبلوا ذيل الإغضاء، وينظروا بعين الإفادة إليه، وبالله المستعان .

ذكر سلطنة **الملك الناصر صلاح الدين أبو المظفر، يوسف بن أيوب بن شادي بن مروان الكردي**، وأصلهم من **أذربيجان**، من جهة **بلاد الكرج**، وهم **أكراد**، كانوا في خدمة **زنكي**، ثم من بعده في خدمة ابنه **نور الدين محمود بن زنكي صاحب الشام**، وهو الذي أرسلهم إلى **الديار المصرية** .

وآخر الكتاب : (ذكر **سلطنة الملك الظاهر** أبو (؟) **سعيد قانصوه، من قانصوه الأشرفي**، وهو خال السلطان **الملك الناصر محمد بن قايتباي** .

تسلطن في يوم الخميس ١٧ ربيع الأول سنة ٩٠٤هـ وذلك في أواخر

”المخطوطات كلمات صادقة يجب النظر إليها بعين الاعتبار“

الساعة الرابعة وهي لزحل، ولقب **بالملك الظاهر**، ونودي باسمه في **مصر والقاهرة**، وخطب باسمه في ذلك اليوم، ودقت له البشائر ثلاثة أيام، وباسوا له الأمراء الأرض، ولبس خلعة السلطنة، من الحراقة التي بالإصطبل، وطلع إلى القصر الكبير، والأتابكي أزبك حامل الغاشية الذهب على رأسه، وذلك لعدم القبع والطير في الرزدخانة ـ الورقة ٢٥٥ب ـ فلما طلع إلى القصر جلس على سرير الملك وباسوا له سائر الأمراء الأرض طائعين، ثم أخلع على **الخليفة المستمسك بالله يعقوب بن المتوكل على الله عبد العزيز**، وأخلع على الأتابك أزبك أمير كبير.

وفيها في يوم الخميس سادس صفر حضر المقر السيفي **جان بلاط نائب الشام**، فلما حضر أخلع عليه **السلطان**، واستقر به أتابك **العساكر المصرية**، عوضا عن الأتابكي أزبك من ططخ، فنزل من القلعة بموكب عظيم، وتوجه إلى بيت الأتابكي أزبك الذي في الأزبكية، فسكن فيه .

وفيها قبض السلطان على القاضي **علاء الدين ابن الطابوني** ناظر الخاص، واستقر القاضي **شهاب الدين ابن الرملي** في نظارة الخاص .

وفيها يوم الثلاثاء حادي عشر رجب، **قبض السلطان على القاضي بدر الدين مزهر، كاتب السر**، واستقر بأخيه **القاضي كمال الدين** عوضا عنه، واستمر أخيه (؟) القاضي **بدر الدين** بالترسيم بسبب مال قرر عليه .

وهذا آخر ما انتهى إلينا من أمر التاريخ . انتهى) .

٦ ـ «مخ البعوض في علم العروض»

ومما طالعته في هذه المكتبة، رسالة عنوانها طريف هو «**مخ البعوض في علم العروض**» ورقمها (W892.7.SA3I) وتقع هذه الرسالة في عشرين ورقة، وقد جلد معها ثلاث رسائل مطبوعة في **القسطنطينية** سنة ١٢٩٨هـ.

أما الرسالة فهي مخطوطة في سنة ١٣٠٥هـ كما يتضح من آخرها.

جاء في أول تلك الرسالة: (قال العبد المفتقر إلى ربه الباري، **أبو الصفا مير أحمد شاه الرضواني الفشاوري**: هذه قصيرة من طويلة، وغانية جميلة نادرة، في فن العروض، كأنها مخ البعوض، مشتملة على تحقيقات الأجلة العظام، ملخصة من كتب الجهابذة الأعلام، **كمفتاح السكاكي**، **وقسطاس الزمخشري**، ونهاية الأرب **للأسنوي**، وعروض **ابن جني**، **والأندلسي**، **والخزرجي**، **والبهرامي**، **وابن قطاع**، **وابن الحاجب**، **وابن فارس**، **ومعيار الطوسي**، **وحدائق ابن قيس**، ورسائل أخرى، ومصنفات عظمى).

وآخرها: (خاتمة الإعنات ـ ويسمى لزوم ما لا يلزم ـ: التزام حرف الدخيل المعين، وهو فضيلة كالتزام الواو والياء في الردف مثل (كامل) و(عامل).

النصب: سلامة القوافي من الفساد.

تم الكتاب لثلاثين من شهر رمضان سنة ١٣٠٥هـ في أندور كاتبه مؤلفه الرضواني، ثم ختم مكتوب فيه: بير أحمد شاه الرضواني).

ولكن الله لطف

أنا مصاب بضعف النظر، فإحدى عينيّ لا تبصر، والأخرى نظرها ضعيف لأنها مصابة بارتفاع الضغط الماء الأزرق (الجلوكوما)، وعند إجراء الكشف الطبي العام حين دخول المستشفى، أخبرني طبيب العيون بأن ضعف بصري لا يتحمل العلاج الجراحي (عملية) خشية فقدانه، فيما لو لم ينجح العلاج، ونصحني بالمواظبة على استعمال القطرة المخصصة لذلك (CAPRINE) في أوقاتها.

ويظهر أنني في أوقات انهماكي في المطالعة أنسى استعمال القطرة، وفي أثناء مطالعة رسالة «**مخ البعوض**» وقبل اكمال كتابة وصف مخطوطتها، فوجئت وأنا منكب على القراءة بصفرة تحول دون إبصار الورقة التي كنت أطالعها، فظننت الأمر عارضا، ولكنه استمر بحيث صرت لا أبصر سوى النور القويّ، وكان معي أحد الإخوة الذين عرفتهم في المستشفى، فلملمت أوراقي بمساعدته، وعدت إلى الفندق.

وقد لاحظت **أم محمد** ارتباك حالتي، وأدركت أن بصري متغير، ففي الصباح قالت: لا بد من الذهاب إلى طبيب العيون، وكنت أحاول إخفاء ما أصابني وأتظاهر بأن بصري لم يتغير، خوفًا من علاج لا ينجح، حتى بعد أن ذهبنا إلى الطبيب، وكنت أنكر قوله بارتفاع الضغط بدرجة سيئة، ولكنه أكد بأنه بلغ الـ(٢٦)، ولهذا فقد وقع ما يخشى من وقوعه، ولا بد من العلاج الجراحي (إجراء عملية) وكان ذلك بعد استعمال وسائل مختلفة، لمحاولة خفض ارتفاع الضغط من تقطير في العين وحقن بأدوية في العروق، وحضور عدد من الأطباء، وبلغ الأمر أنني أصبحت لا أبصر حتى النور القويّ، فأصبت بحالة من التأثر أشبه ما تكون باليأس، فاستسلمت فحملت الساعة الخامسة إلى غرفة الجراحة، ولم أشعر إلاّ أثناء الليل والضماد فوق عيني.

وما أشد سروري في صبيحة اليوم الرابع حينما أزال الطبيب ذلك الضماد، فإذا بي أتبين وجهه ووجوه من حولي.

وفي غمرة من ذلك السرور، كان أول من خطر ذكره في ذهني المحسن الكريم الذي كان له ـ بعد الله سبحانه ـ الفضل في تهيئة جميع الوسائل التي مكنتني من الوصول إلى هذا المستشفى ومن البقاء فيه حتى تم لي الشفاء، فأبرقت إليه ـ لا أقول: لأشكر يده الكريمة علي، فهي فوق شكري، بل لأعبر عن عجزي عن ذلك، فكان أن أجابني ـ تغمده الله بواسع رحمته ـ ببرقية.

أصبحت أكتفي بزيارة بعض من عرفت من المرضى، والمشي في حدائق المستشفى، والإقلال من المطالعة إلا عند الضرورة.

كان ممن عرفت من المرضى **هزاع بن بدر الدويش**، **من رجال البادية المعروفين، وكان على جانب من معرفة حوادث البادية وأخبارها، متحدثًا بارعًا**

> ”شاهدت أهل الغرب يقتنون الكتب ويتحدثون فلا يسمع لهم صوت، فقلت في نفسي: أين نحن من ذلك؟!!“

لا يكاد جليسه يمل حديثه، وهو من أسرة (الدوشان) شيوخ قبيلة مطير، وقد قال لي إن **الدوشان** هم أبناء محمد الجد السابع له، فهو **هزاع بن بدر بن محمد ابن الحميدي بن فيصل بن وطبان بن محمد.**

وفيصل بن وطبان خلف اثنين هما محمد، والحميدي.

والحميدي خلف ثلاثة: سلطان، وماجدا، ومحمدا.

فسلطان هو أبو فيصل الدويش المعروف، ولفيصل ابنان هما: بندر، وعبد العزيز ـ ولهما أبناء.

أما محمد بن الحميدي فابنه بدر أبو هزاع المتحدث، ومحمد أخوه.

وأما محمد بن فيصل بن وطبان فله ثلاثة أبناء شقير ـ جد حاكم بن تريحيب ابن بندر بن شقير.

وعمر جد محمد بن بندر بن وطبان بن عمر.

ولمحمد بن فيصل ولد ثالث هو مصلط.

وسألته عن ابن **الجبعا**، أليس من **الدوشان**؟ قال: بلى هو **مطلق بن مطلق ابن زيد بن حشر وحشر** هذا يتصل نسبه **بمحمد الدويش أبي وطبان**.

وكان يحدثني عن بعض الوقائع التي جرت بين القبائل في أول القرن الماضي، ولكنني ما كنت أحرص على تسجيل ما يحدثني به إلاّ ما يتعلق بالشعر الذي ترد فيه أسماء المواضع، ومن ذلك ما حدثني به عن يوم (دخنة) قال: إنه **لقبيلة مطير على قبيلة قحطان**، وكان رئيس **مطير سلطان بن الحميدي الدويش**، وفي ذلك اليوم طعن **حزام بن خالد بن حشر شيخ قحطان فحمل من (دخنة) إلى (نفي) فمات هناك، فقال ابن مسعر يرثيه**:

رحْنَا وخَلَّينا زُبونَ الحَفَايا ... على (نفي) في قاعَةَ الْحَزم [1] نَزالْ

لا واجَمَلْنَا اللِّي يِشِيْل الـرَّوايا ... الْيَا نَوَّخَوا لَلشَّيْل وَثْنَاتَ الاَجْمَالْ [2]

لَيته مْشاوِرِنْي وأَسُوقَ الْفِدَايا ... بِمْغَفَّلاَتٍ مايِشِيْلِنَّ الاَثْقَالَ [3]

عِقْبِه سْمَان وكنهنَّهْ مَعَايَا ... واللاَّش ما يَنْفَع سنامهْ، ولَوْ طَالَ [4]

وقال ناصر بن عمر بن قرملة في يوم (دخنة):

يومٍ على (دخنة) علينا تهيا ... يَوْمٍ قصَا الْفِرْسَانْ والْمِسْتَحِيْنِ [5]

ردّيْتها لِعْيُونْ (بَجْدَا) وْ (هَيَّا) ... وأم الْحْوَار اللِّي تجِرَّ الحَنِيْن [6]

أيمانِنا تِطْلِقْ مُنَ الشَّر سَيَّا ... وأَيْسَارْنا تِرْخِي حْبَالَ الجِرِيْنِ [7]

من لندن إلى مطار دلس

وفي المطار ـ وقد حضرت إليه مبكرا ـ أخذت إلى مطعم في أعلاه وحدي، ثم تقاطر المسافرون حتى أوشك المكان على سعته أن يمتلئ، وقد أزف الوقت ولم أشاهد أية حركة تدل على التأهب للسفر، فسألت رجلاً قريبا مني: هل أنت مسافر إلى دلس؟ ومتى الوقت؟ فأفهمني أن الموعد تأخر إلى الساعة الثانية والنصف، وأنه مسافر في الطائرة التي سأسافر عليها.

ظاهرة قد تعتبر في بلادنا غريبة وهي أنني لم أر بين ما يقرب من عشرين إنسانًا من ليس في يده كتاب أو صحيفة، أما المتحدثون ـ على قلتهم ـ فلا يكاد يسمع لهم صوت، وإنما يتهامسون أو يخفضون أصواتهم.

تناولت حبتين من نوع (الإسبرين) بعد كوب من الشاهي فغلبني النعاس، ولم أستيقظ إلاّ بمن يمسك بيدي، وإذا إحدى الفتيات تأمرني بالقيام، وتسير بي نحو باب الخروج إلى الطائرة والظاهر أنها أوصت بي المضيفة التي أجلستني فوق أقرب كرسي إلى الباب، حيث مكر الهواء البارد، ولما حاولت تغيير المكان أفهمتني بأنه المقعد المخصص لي، ووضعت غطاء سميكا على رجلي وآخر فوق رأسي. وفي الساعة الثالثة كانت الطائرة تحلق في الجو فوق البحر **المحيط الهادي**. وكانت المضيفة **(فتنامية)** كثيرة العناية بي، وكثيرا ما تعرض علي أنواعا من الفاكهة والشاهي حتى أظهرت لها أنني بحاجة إلى الاسترخاء في الكرسي فأصلحته فغطيت وجهي وأغفيت، ولكنني لم أشعر بعد زمن قصير إلاّ بالكرسي قد أعيد إلى وضعه، وبيدي المضيفة وقد ربطت جسمي على المقعد. فنظرت في الساعة فإذا هي الخامسة والنصف، أي لم يمض على مغادرة الطائرة لندن سوى ثلاث ساعات وقد قيل لنا: إن الرحلة تستغرق عشر ساعات، فماذا حدث؟!



لقد جلست المضيفة فوق مقعدها ـ بجواري ـ وربطت الحزام، فلما استوضحت منها ـ بالإشارة ـ ماذا حدث؟ لم أفهم سوى كلمة (إيربرت لندن) فأخذت ورقة ورسمت فيها خطا مستقيما متجها إلى كلمة (دلس) ممتدا من لندن، ولكنها رسمت الاتجاه منعكسا إلى لندن، فلما بالغت في الاستيضاح فتحت فاها ووضعت سبابتيها تحت جفنيها، ومطت الجفنين إلى الخدين وأتبعت ذلك بقهقهة باردة ولم تزد. ذكرتني بفعلها تخويف الأطفال عندنا، ونسميها **(السعلوة)** وتقول فلانة تسعلو علي إذا دلعت لسانها وفتحت عينيها بأصبعيها، تشبها **بالسعلاة**، الحيوان الخرافي عند **قدماء العرب**.

لم يتأثر كثير من المسافرين وهم يسمعون نبأ الرجوع إلى لندن بل ازداد صخبهم وضحكهم ولعل هذا راجع إلى أنهم يدركون أن لا فائدة من التأثر فـ(المقدر كائن والهم زيادة)!!.

و. «للحديث صلة»

الهوامش

(١) زبون الحفايا: حامي الخيل والإبل المغيرة على الأعداء، التي يصيبها الحفا من كثرة الغارات.

(٢) يشيل: يحمل. الروايا: قرب الماء الكبيرة ـ جمع راوية، والمقصود أنه كالجمل يحمل عن قومه الأمور الثقال. اليا: إذا. وثنات: ثقيلات. الأجمال: الجمال، جمع جمل. الشيل: الحمل. نوخوا: أناخوا.

(٣) مغفلات: الإبل المعفاة من الركوب والحمل.

(٤) كنهنه: كأنهن. اللاش: الذي لا نفع فيه من كلمة (لا شيء). المعايا: جمع معي وهي الهزيلة.

(٥) تهيا: وقع. المستحين: جمع مستحي أي الخائف من وصفه بالجبن فيما لو لم يبد شجاعة.

(٦) بجدا وهيا: من أسماء النساء. أم الحوار: الناقة. أي أنني رددت فرسي للدفاع عن نسائنا وإبلنا.

(٧) أيماننا: نرمي بها الأعداء بالرصاص والرماح، وهي أدوات الشر السيّئ وأيدينا اليسرى نمسك بها أعنة الخيل، الجرين: العنان.

من يحرس العسلا؟

شعر: محمود ممتاز الهواري

خليةُ النحل كانت تنتج العسلا ... والنحل يا صاحبي لا يعرف الكَسَلاَ

يطيرُ. . يرقصُ. . يجني الشهد مبتهجًا ... يطوِّق الزهرَ. . لا يبغي به بدلا

يطاردُ الصمتَ. . يحيي كل آونة ... عرسًا. . ويدفع عن جيرانِه المللا

يبني - يشيد. . لا يشكو إلى أحدٍ ... ولا ينال سوى بعض الذي بَذَلا

حتى بنى واحة خضراء وارفةً ... طيرًا. . وزهرًا. . وبدرًا رَاقَ واكتملا

يلهو الصِّغار على أعشابها طربًا ... والنخلُ يهتَز في أعطافِها ثملا

وذاتَ ليلٍ أتت للحي شرذمةٌ ... مهتاجة تدَّعي أن تحرسَ العَسَلاَ

شبيهة النحل إلا أنها عمقت ... عن العطاءِ. . تجيد السلبَ والدَّجَلاَ

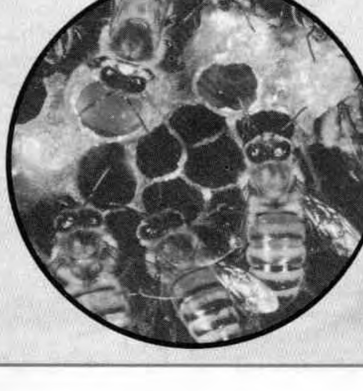
وأقبل البومُ في أعقابِها نهمًا ... يطارد البلبلَ الصدَّاحَ معتقلا

ماذا ألَمَّ بوادي النحل. . أرهقه ... وألهب النحل حتى باتَ مقتتلا

وهدَّم الدور لم يعبأ بساكنها ... وأضرم الحقد في المخزون فاشتعلا

وصاحب الكرم لم يقطف له ثمرًا ... وسارق الحقل يجني كل ما حملا

من للزنابير يجليها وقد عبثت ... بالنحل. . والنخل. . ما أبقت له أمَلاَ



أول كاتبة يوغسلافية مسلمة في العصر الحديث :

جميلة خانم زكيتش

شاعرة تنتظر هطول الغيث!

بقلم : حسين عمر سباهيتش (سراييفو / يوغسلافيا)

قصة حياتها حزينة ، فالآن قد نَسُوها كلُهم ، وهَجروها ، ولم يعد يتذكرها أحد ، جميلة خَانم زَكيتش أول شاعرةٍ مُسلمةٍ في العصر الحديث في يوغسلافيا .



نَشرتْ أول قصيدة لها سنة ١٩٣٦م (قبلَ ٥٦سنة) وعمرها آنذاك ستة عشر عاما وما مِن مسلم من ستة مَلايين مسلم في يوغسلافيا إلا ويعرف هذه القصيدة التي يُنشدها الصغار في كل المُناسبات الدينية ، والتي عنوانها «أنا مسلمة صغيرة ، بإسلامي أفتخر» .

وهي ، مع كبَر سنّها ، تشعر بغمرة السعادة عند إعادة ذكريات حياتِها ، لأن الذكريات وحدَها أبقتها على قيد الحياة . ولعلّها تريد بهذه القصّة ، قصة حياتها المؤلّفة من الآلام و الأيام ، أن تُؤكد لنا إسلامها وتتحدَّث عن شخصيتها . نقبل هذه الرحلة على متن قصّتها ، وإن كانت قد بلغت من الكِبَرَ عتيًّا ، أن نعود إلى «زُقاقها» الصغير و«محلَّتها» الحبيبة ، كما تقول هي . (كلمتا «مَحَلّة» و«زُقاق» تستعملان في اللغة اليوغسلافية على أنهما يوغسلافيتان ، فيقال SOKAK, MAHALA©Æ

كانت مناظر محلّتها الصغيرة رائعة . فتياتها مع الحركة الدائبة . حياة هادئة لا تكدّرها جلافة ولا تعب الحياة مع الآلام . الفتيات كلهن - ومعهن جميلة خانم - كنّ مشغوفات بمحلّتهنّ ، وبكلّ ما يتّسم بالجمال و النبل والكرم والمثاليّة . وكنّ يجدن هذا في الآداب الإسلامية فقط . كانت تعلو وجوههُنّ السعادة بلا حدود ، لأنّ هذه الآداب لم يستنكرها أحد في مدينتهنّ ، حتى الأساتذة في المدارس الثانوية ، وقد كنّ طالبات في مدارس أدبية خاصّة بالبنات ، لها صيت ذائع وماض عريق في مدينة سراييفو ، قبل الحرب العامة الثانية .

وفي السنة ١٩٣٧م نشرت جميلة خانم بعض قصائدها في المجلّة الإسلامية «الأزهار الجديدة (NOVI BEHAR)† وانصبّ تركيزها في قصائدها على الموضوعات الاجتماعية ودور المرأة المسلمة ، وصوّرت فيها الفرحة الغامرة التي تغمر بيوت المسلمين أيّام عيدي الفطر والأضحى .

التقت في مقرّ مجلة «الأزهار الجديدة» بأشهر الأدباء و الشعراء ، من أمثال علي أفندي نامتاك (ALI EFENDI NAMETAK) ، ومحمد أفندي بانجا (MUHAMED EFEN-DI PANDZA) ، وصالح علي (SALIH ALIC') ، وكامل سياريتش (KAMIL SIJARIC') ، وتين أُيويتش (TIN UJEVIC') ، ومُنير شاهينوويتش ابن أكرم (MUNIR SAHINOVIC' EKREMOV) ، وأنور شولاكوويتش (COLAKOVIC' ENVER) .

سعادة كبيرة :

كانت تلك الأيام أسعد أيام حياتها ، مضت في الحوار عن الشعر وجديد قصائد الشعراء ، والحياة طبقا لتعاليم الإسلام السمحة ، فكل هذا كان يجعلها جزءا من هذه الجماعة ، ويجعل الجماعة جزءًا من حياتها وروحها .

ولم يكن من الشاعر المسيحي

من قصائدها★:

الإسلام

إذا أشرقت شمسُ هـذا النَّهـارْ
وفـاضَ شُعـاع الضِيـا واستـدارْ
وعـمَّ الـدُّنـى ونجـومَ السماءْ
عـرفت أخـي أن هـذا الضيـاءْ
بهاءٌ أغَـرٌّ لـديني الجليـلْ
فـإسـلامنـا سِـرّ نبْـل النَبيـلْ
سرى سرمـديًّا بعـزمِ الهُداة
فهـزّ رُقـاد الأنـام الغُفـاة

★ ★ ★

فـإسـلامُنـا للهـدى حينَ صَـال
يَبـثُّ النـدى في قلـوب الـرِّجـال
يَسِـنُّ العـزائمَ عنـدَ الصبـاح
فترقَـى الـذُّرا بعـد قص الجنَـاح
ينـادي: ألا أيهذا الأنـام
هـو الحق دربي، أخـي لا تُضـام
لنـا بهجـة في الـدنى والجنـان
ويـوم الخلُـود ظليـل الجنـان

★ ★ ★

ربيعُ فـؤادي حنَـانٌ طـروب
وروحـي تلفـع شمـل الطيـوب
ونـورُ السعـادةِ تهفـو لنـا
إذا قيـل: دينـي يَعُـم الـدُّنـى
فينهل منـه ظِـمـاء البَشر
وأنـوارهُ طـابَ فيهـا السفَـر
بعلـم تـألـق وهْـوَ المنَـار
وليـلُ الأنـامِ غـدَا كـالنَّهـار

تين أُويـويتش، الـذي كـان يجلّ الإسلام ورسولـه الكريم في شعـره، والذي كـان معجبا برصـانة شعـرها وقـوّة ملكتهـا الشعـريـة، إلا أن نصحهـا، إذا مـا أبت الجرائد الإسلاميـة نشر قصائدهـا أن ينشرها هـو في جـرائد مـدينـة زاغـرب (ZAGREB) بشكل يـرضيها وتـريده هي. ولكن جـرائد مـدينة سراييفـو (SARAJEVO) فتحت أبـوابها على مصراعيها أمام شعر جميلة خانـم، واستقبلت قصـائدها بـرحابـة صدر وحفاوة بالغة.

وتـذكـر جميلـة خـانم جيـدًا أن الأديبين أنور شولاكـوويتش وصالح علي كانا لا يُخفيان إعجابَها بشعرِها واحترامهما لها، إلا أن الشـاعـرين المسلمين الآخرين، وهما ماك ديزدار (MAC IDZDAR) وسـائت أوراهوواتس (SAIT ORAHOVAC)، كانا يلومانها لـوما على نشر قصائدها في الجرائد الإسـلامية، مع إصرارهـا على ذلك.

كـانت ملامح حيـاتها قد بـدت



مسجد في مدينة سراييفو، يوغسلافيا

جَلِيّـة في أفُق الحيـاة، فمضت في طـريقهـا. إلاّ أنّ شيئا واحـدا حـال دونها ودون استقبـال الحيـاة بفـرحهـا ومرحها.

جاءت الضربة القـاضية على يد المباحث الشيـوعية، هـذا الخلق الممسوخ الخبيث، لتقصم ظهر هذه الشاعـرة الفتيّة، لكي لا تنـدمل جراحها ولا تعود إلى دينها وصوابها. وَقع ذلك بُعَيْـد مـا وضَعت الحرب العامّة الثـانية أوزارها. أُلقي القبض على الشاعرة جميلـة خانم وزُجّ بها في غياهب السجن. ولولا ازدراؤهم بها لهانت كـل الجرُوح، ولكنّ رجـال الأمن الشيـوعي سفعـوها بنـاصيتهـا وجرُّوها جرًّا شديدًا من باب دارها إلى سيارة الشرطـة، في يوم صـومِها، في رمضـان المبارك، على مـرْأى ومسمع من الجيران، وكـانـوا يضحكـون ويسخـرون منهـا، ويسبُّـون كل مـا يمتُّ بصلة إلى الإسلام من قريب أو بعيد، يرفعـون أصواتهم بسبّ أمها، وشتم العثمانيّين الذيـن بشّروا في هذه الديار بالإسلام، مع النَّيْل من كل ما هو تُركيٌّ، ثم حجزوا كل أعداد مجلة «الأزهار الجديدة» (NOVI BEHAR) و رسـائلهـا الخاصّـة وأخـذوهـا إلى البلدية.

وهناك بالبلديـة عاشت الشاعرة المسلمة ظلمةَ السجن، والتحقيقات المُضنيـة، والضرب العشـوائي مع التركيـز على وجههـا الـوسيم، ثم صنـوف من العـذاب. تتـذكّـر أن الضابـط الذي حقّق معها كـان من

عائلة مسلمة يدعى أسد تشنغيتش (CENGIC' ESED)، وكيف تنسى اسمه وهو الذي بقيت آثار ضرباته الوحشية على وجهها، لتحوّل الجمال الذي خلقة الخلّاق العليم إلى وجه مشوّه يسكنه الحزن والألم.

بقيت آثار التعذيب على وجهها، وفي نظراتها وحركاتها. كانت تسمح لهذه الآلام بأن تنحدر مع دموع مقلتيها إلى ورقة لكي تسجن الآلام في أبيات شعر لا تفوح منه إلا رائحة البؤس والفقر المدقع وآلام نفس لا ترى بصيص أملٍ في الحياة. فقد مُلئت روحُها بالرُّعب، حديثها متناثر في غير ترابُط، وفي كلّ حركاتها فتُور وجُمود مِنْ آثار الضرب بالسياط وقد وهبها الله ذاكرة قويّة، وكأنّما نُقشت الذكريات على قلبها، وهي دائمًا منزوية على نفسها وآلامها في عُقر دارها، تُمضي فيها بقية حياتها مع عشر قطط هي ميراثها الدنيوي الوحيد.

أصداء الآلام

مـا تَـلاقينا بِخِلٍّ أو حبيب
لا حبيبا منذ دهر. لا مجيب
ليس من يلمسُ قلبِي بالحنان
ما تلاقَيْنَا صفاءً من زَمَانِ
ليت قلبًا هتف الحب به
يتدانى أعترفُ من شربه
فبدا الصمت التفاتات الجنَان
أسمع القلب رفيفَ الخَفَقان

★ ★ ★

زهرةٌ بلا جذور صورة بلا عُطور
مثلُ قلبٍ هوى في مهاوي النَّوى
عينه والسَّراب خانَ وُدَّ الصِحاب
في دُجى الظلمات في الدياجير ماتْ

تقول: إنكم لا تعرفون هذا الرُّعب، لم تعيشوا في ذلك الزمن ولم تشهدوه، ذلك أمر يشيب لذكره الوِلدان..!

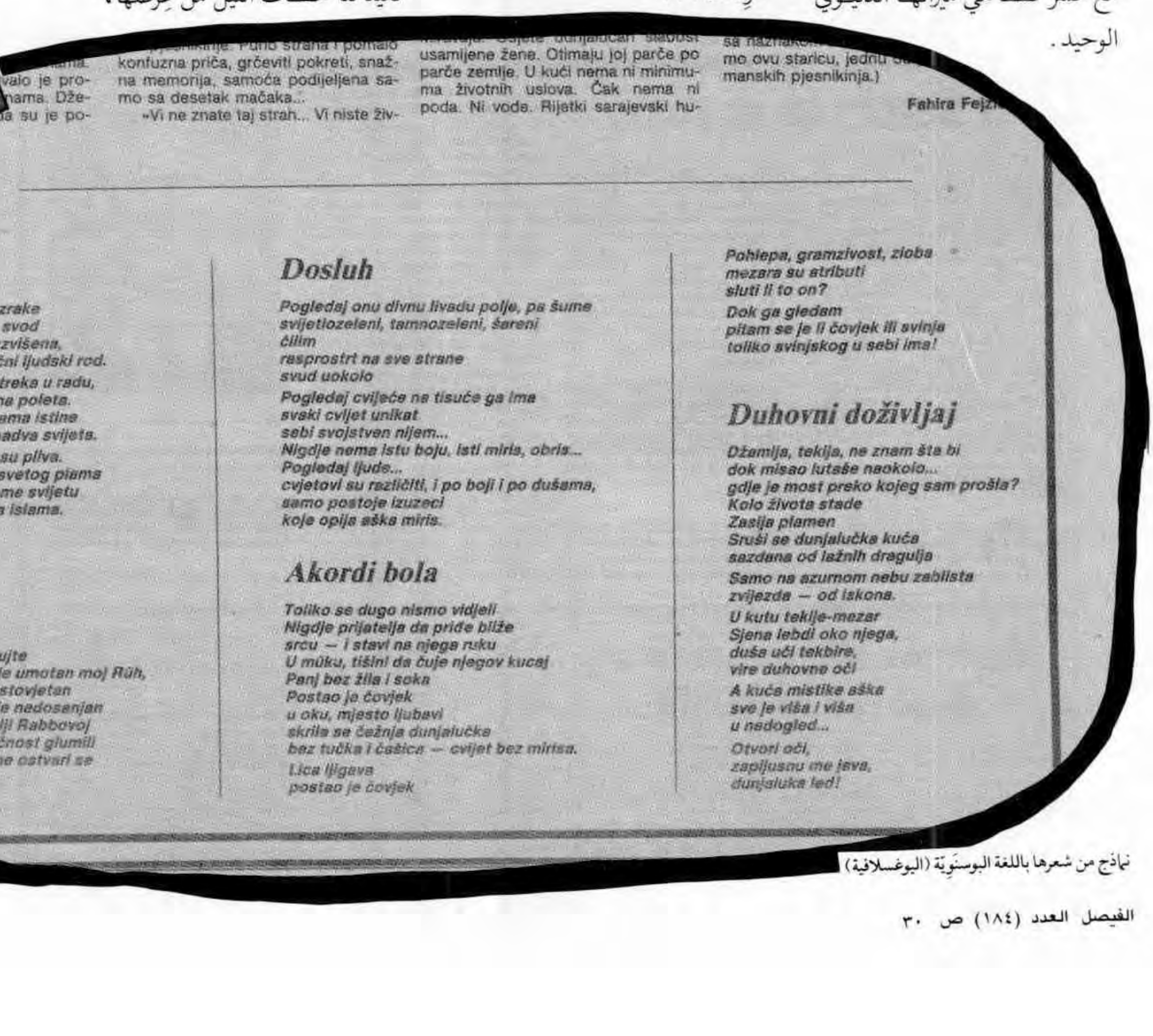
حقًا، إننا لم نعش في ذلك الزمن الأحمر، ونصدّق بأنها كانت أيام الرعب المستطير، لأن ذاكرتَها القوية تعيد لنا لحظات النيل من عِرضها، قالوا: «كنّا نحتاجك أيام الحرب في الغابة، كُنّا نحتاج إلى جمالك. نحبّ النساء أمثالك. البسي النقاب وطوفي بالمساجد، واكتبي لنا أسماء المصلين فيها وعندئذ سنطلق سراحك وسنعطيك وظيفة تُحسدين عليها...»

ولكنّها صَمَدت. لم توافق على كلمة واحدة من مطالب زبانية السجن. ظلّت **أبيّة شمّاء بإسلامها وعقيدتها. شعرت جميلة خانم بأن دينها يملأ جَوانحها مهَابة وإصرارًا.**

وتعيش اليوم أكبرُ شاعرة مسلمة في يوغسلافيا في بيت فقير خَرِب!! يكادُ ينهدم عليها، في شارع تيسيان بحي مهرووده (TICIJAN, MIHRI-VODE). شَعَرَ جيرانُها بضعفها، رأوا



جميلة خانم زكيتش



...valo je pro-
...nama. Dže-
... da su je po-

...pjesnikinje. Puno strana i pomalo konfuzna priča, grčeviti pokreti, snažna memorija, samoća podijeljena samo sa desetak mačaka...
»Vi ne znate taj strah... Vi niste živ-

...usamljene žene. Otimaju joj parče po parče zemlje. U kući nema ni minimuma životnih uslova. Čak nema ni poda. Ni vode. Rijetki sarajevski hu-

sa naznako... mo ovu staricu, jednu ... manskih pjesnikinja.)

Fahira Fejzi...

Islam

Kad sunce žarko razlije zrake
i zalije zemlju i nebesku svod
tako Islam sjajni, vjera uzvišena,
vječnim sjajem grije vječni ljudski rod.
Islam daje ljudima podstreka u radu,
Snagu daje slabim krilima poleta.
Islam vodi ljudstvo stazama istine
Da dođe do sreće na obadva svijeta.
Moje mlado srce u zanosu pliva.
Duša mi je puna nekog svetog plama
Slušajući kako po cijelome svijetu
Proširila se sjajna nauka islama.

Nostalgija

Bježite s puta, ne dodirujte
duhovnog skuta, u koji je umotan moj Rûh,
dosluh naših duša nije istovjetan
san prijateljstva ostao je nedosanjan
niste bili prijatelji po želji Rabbovoj
imali ste sličnost, dvoličnost glumili
sedamdest minu ljeta, ne ostvari se
životna želja
...e nađoh prijatelja

Dosluh

Pogledaj onu divnu livadu polje, pa šume
svijetlozeleni, tamnozeleni, šareni
ćilim
rasprostrt na sve strane
svud uokolo
Pogledaj cvijeće na tisuće ga ima
svaki cvijet unikat
sebi svojstven nijem...
Nigdje nema istu boju, isti miris, obris...
Pogledaj ljude...
cvjetovi su različiti, i po boji i po dušama,
samo postoje izuzeci
koje opija aška miris.

Akordi bola

Toliko se dugo nismo vidjeli
Nigdje prijatelja da priđe bliže
srcu — i stavi na njega ruku
U mûku, tišini da čuje njegov kucaj
Panj bez žila i soka
Postao je čovjek
u oku, mjesto ljubavi
skrila se čežnja dunjalučka
bez tučka i čašica — cvijet bez mirisa.
Lica ljigava
postao je čovjek

Pohlepa, gramzivost, zloba
mezara su atributi
sluti li to on?
Dok ga gledam
pitam se je li čovjek ili svinja
toliko svinjskog u sebi ima!

Duhovni doživljaj

Džamija, tekija, ne znam šta bi
dok misao lutaše naokolo...
gdje je most preko kojeg sam prošla?
Kolo života stade
Zasija plamen
Sruši se dunjalučka kuća
sazdana od lažnih dragulja
Samo na azurnom nebu zablista
zvijezda — od iskona.
U kutu tekije-mezar
Sjena lebdi oko njega,
duša uči tekbire,
vire duhovne oči
A kuća mistike aška
sve je viša i viša
u nedogled...
Otvori oči,
zapljusnu me java,
dunjaluka led!

نماذج من شعرها باللغة البوسنَوِيّة (اليوغسلافية)

لحظة مع روحي

تجوّل خـاطـري سَـربا   فقلبي واجـدٌ طَـربـا
يجول بحلقـةِ الـذِكـر   وبين المسجـدِ الحُرّ
فـأوقـف خطـوَهُ فَجـأه   لَعَلّي أسمـع النبـأه
أجسرَ العمـرِ أقطعـه؟   تَبَـدّى النـور أسطعـه

لتسقط أُسقـف الـدنيْـا   لتَسقط هـامـةُ العُليـا
إذا بنيت بمغشـوش   بمنقـوش ومفـروش
جـواهـرُهـا مُموهـةٌ   محاسنهـا مـدنَّسـةٌ
ليشرق جـوهـر الخَلْق   بـأنـوار من الحقِ

مـزارَهم تـأملتُ   وكـابي ظِلـه مَقْتُ
وأرْجَـائي بتعميرِ   بتَمجيـدٍ وتكبير
صفـاءُ النفس يَغشـاني   بإسـلامي وإيماني
بـروحي قـد فهمتُ الخلق   فـأرشـدني لحب العِشْق

فيعلـو بي إلى العليـاء   ففـي أعلَى السماء سنـا
فتحـت العين أبتهـج   بـه قـد سُرّتْ الـمُـهـَجُ
ودنيـانـا مقـرحـة   سما للـروح عـاصفـة
من الآلام و الكمـدِ   تَـزف بجـامـد البَردِ

بؤس عجوز، فحمل طمع الذئاب البشرية في الدنيا على سرقة فناء دارها شبرًا بعد شبر. لا يرى في دارها أدنى مظهر للحياة: أرضٌ غير ممهَّدة ولا مستوية، تجلب الماء من الشارع القريب. تقول إنها تشعر بقدوم الشتاء من بعيد.

وقليل من سكّان مدينة سراييفو، من الـذين يحثُّهم الإيمان على الصدقة، يمرّ بدارها ويطرق بابها ليقدم لها شيئًا من مال أو طعام. لا يكاد مسلم في هذه المدينة يعرف عن حالها شيئًا. إلاّ أنّ الكرواتيّين (الكاثوليك ـ HRVATI) أدخلوا اسم الشاعرة جميلة خانم زكيتش في قائمة الشعراء الكرواتيّين النوابغ في وقت ما بين الحربين العالميّتين، الأولى والثانية.

ولعلّ مجلس الشؤون الإسلامية في سرايفو ومسلمي هذه المدينة سيعرفون شيئًا عن أكبر شاعرة مسلمة تعيش منسيّة بين ظهرانيهم، قد نيّف عمرها على سبعين سنةً، بعد قراءتهم لهذه القصّة المبكية.

إنني كمسلم يوغسلافي أعرف مأساة هذه الشاعرة ـ أحلم ببعض التكريم لها حيث لم تؤثر فيها المحن رغم ما لاقته من صعاب وتعسف على أيدي الشيوعيين، وأغمض عينيّ وكأنني سأفتحها على بيت جميل صغير تقضي فيه شاعرتنا آخر أيامها قبل رحيلها إلى ربها. ألا يحق لي أن أحلم يا إخوة الإسلام؟!!

★ ترجمة كاتب المقال، وصاغها شعرا الأستاذ أحمد الخاني

الإنصات

مفـاتنُ المراعـي   حسبـي بها دواعـي
انظـر إلى رُؤاهـا   تـوشحت سَنـاهـا
وخُضرة الغـابـات   في سَـائر الجهـات
كـأنهن البِسـاط   فللنفـوس انبسـاط

★ ★ ★

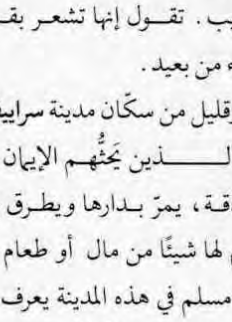
انظـر إلى الأزهـار   كَفـارة العطـار (١)
فـالـزهـرُ في الأكـوان   كعـالم الألـوان
كـأنـه السِجـاد   إذ يبتـدى يُعـاد
من سـائرِ الألـوان   بعطـره الفيْنَـانِ

★ ★ ★

وانظـر إلى الإنسـان   في رَونَـقٍ فَتّـانِ
يحكي اختـلاف الـزهـرِ   بـاللـون أو بـالفكـرِ
والـرُّوح منهم لاهيـه   نفـوسهم كما هيـه
سـوى قليل هـذَّبـوا   من عِشْقِ زَهـر طَـرِبُـوا

(١) فارة العطار: وعاء المسك

من كتّاب العدد



□ حسين عمر سباهيتش

□ من مواليد منيسوكو في جمهورية بوسنة اليوغسلافية عام ١٩٦٠م.

□درس في مدرسة غازي خسروبيك (سراييفو)، ثم تلقى دراسته الجامعية في معهد اللغة العربية وكلية أصول الدين في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.

□ عمل مراسلاً لجريدة «صوت المسلم» الصادرة في سراييفو، وممثلاً للحزب الإسلامي اليوغسلافي وجمعية «مرحمة» الخيرية في دول الخليج. وهو يحضر الآن الدراسات العليا في جامعة الإمام في مجال الحديث النبوي الشريف.

□ ترجم عددًا من الكتب من العربية إلى البوسنوية (اليوغوسلافية)، ومنها الشمائل المحمدية للإمام الترمذي، والتبيان في آداب حملة القرآن للإمام النووي، وكتاب حول القيادة والسلطة في التاريخ الإسلامي للدكتور لعماد الدين خليل، وغير ذلك.

توفيق الحكيم بين السطو والاقتباس!

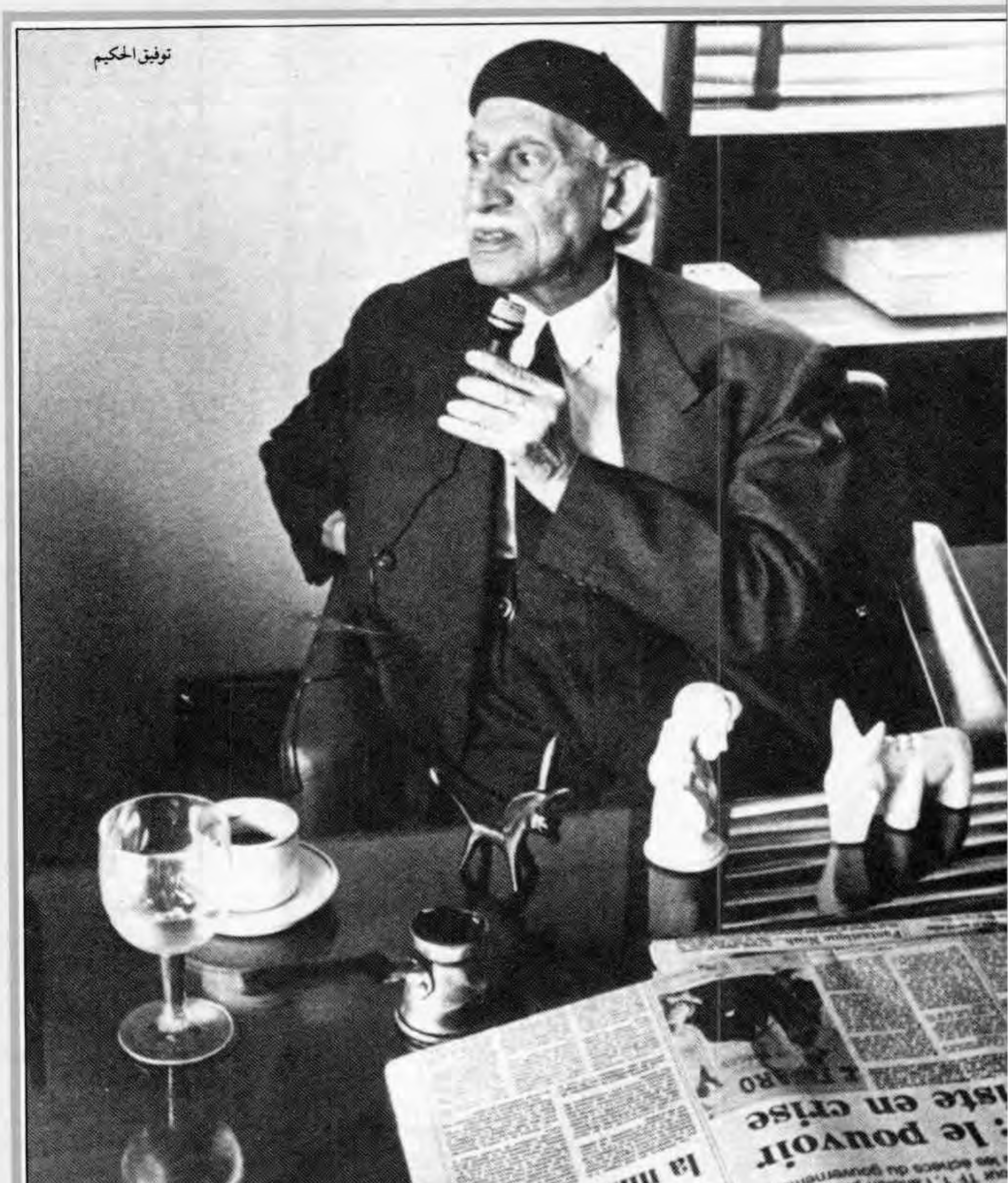
بقلم:
أ.د. محمد رجب البيومي

تلقّى الأستاذ أنيس منصور خطابًا من أحد القراء المتأدبين يُصارحه فيه بأنه أحسن حظًا من ناشئة اليوم، لأنه – أي أنيس – وجد التوجيه الفكريّ من أساتذة الأمس كطه حسين وعباس محمود العقاد وتوفيق الحكيم وغيرهم. أما أديب اليوم فلا يجد له أستاذًا.

وقد أفرد الأستاذ **أنيس منصور** صحيفةً بجريدة **الأهرام** الصادرة في ٢٠/ ١/ ١٩٩٢م للردّ على خطاب الأديب الناشئ، ملخصّها أنه لم يجدْ توجيهًا ما من هؤلاء الكبار، وخصّ كُلَّ واحدٍ منهم برأيه الخاص فيه، وحين جاء دور توفيق الحكيم قال عنه:

«**أما توفيق الحكيم**، فكان صديقًا مُسليًا لكلّ الناس، لا هو أستاذ، ولاهو شيخ، ولا يحبّ أن يكون كذلك، وله عقليّة تُشبه شبكة الصياد، أو تُشبه المصيدة، فهو يَجمع الناس حوله، ويتصيد أفكارهم ويكتبُها، وقد وقعَ الحكيم نفسه في هذه المصيدة التي نصبها للآخرين، فسمعَ قِصصًا كتبها بعد ذلك، ولم تكنْ هذه القصص إلاّ أفلامًا معروضةً في دور السينما».

وفحوى هذا القول أنّ ما لاحظهُ النقّاد على اقتباس الحكيم من قصص غيره، لم يكنْ مقصودا متعمدا، إذ لا يُعقل أن يكون توفيق الحكيم مستخفًّا بعقول الناقدين ليختلس من صُحف ذائعة مقروءة، ولكنه في ما وقع فيه من التشابه القريب، كان فريسةَ الاصطيادِ في أحاديث المجالس، ولا شكَّ أن الحكيم لم يقتصرْ على ما سمع، فهو يلقط البذرة، ليضعها في أرضه الخصيبة، ويتعهّدها بالرّي والنماء حتى ينمُو الغصن ويُورق! ولكنّ الثمرة لا بدّ أن تُنبئ عن البذرة، ولا بدّ أن يوجد من الآكلين من يعرف المغرسَ الأوّل، فيهمس بالاقتباس إنْ ترفّق، ويَصيحُ بالسطو إن تشدّد، وهذا ما وقع فعلاً بين الحكيم وناقديه، وكنّا نتساءلُ كيف يتعمّد أديبٌ كبير هذا الاقتباس، وهو في فنّه المبدع قادرٌ على الابتكار الخالص، وما كتبَه الأستاذ


توفيق الحكيم

أنيس منصور يجيب عن هـذا التساؤل بما يقعُ موقع الاطمئنان من الدارسين.

(من أقوال الحكيم)

ولعلّ الفنـان الكبير قد اقترب من هـذه القضية الشائكة. حين قال في خاتمة كتابه (حمار الحكيم):

«الكاتبُ العظيم كالمُخرج السينمائي، يستطيعُ أن يفتح طـابعـه على أعمالٍ أجـزاؤهـا ليست من صنعه.. فشكسبير قد هبطَ على كثير من القصص الإيطالي، وموليير على كثير من القصص الأسباني، وجوتـه على كثير من أساطير القـرون الوسطى... فـالكاتبُ العظيم كـالفـاتح يقعُ أحيانًـا على أرض ليست لـه فيخضعها لسلطـانه، ويقـرّ فيها نظمـه وأحكامـه، ويَصبغها بلونِ تفكيره وحضـارته، ثم يضع عليها راية عبقريّته ليعترف بها التاريخ».

وهذا كـلامٌ يُقبل من جهةٍ، ويُـرفض من جهة أُخـرى، فيُقبلُ حين يأتي الكاتبُ العظيم إلى فكـرة صغيرة فيمضي بمضمونها إلى آفاقٍ جديدة تبتعدُ عن حقيقتهـا المحدودة، بحيثُ يجد القـارئ النّاقـد أن الخيط الرفيع الدّقيق، قـد اختلط بخيُوطٍ أخرى في نسيج القصة المتلاحم» وبحيثُ أصبح خليةً واحدة من خـلايا متزاحمة، أمـا أنْ يكونَ هـذا الخيطُ كثيرَ الانتشارِ في ثوبِ القصَّة فهو يُزاحم خيوطَها بحيثُ يَشهدُه الناظر مُسيطرًا على ما حولَه، فإنّ الاقتباس هُنـا يُجاوز حجمَهُ الطبيعـي، بحيثُ ينطبقُ عليـه وصفٌ آخر غير الاقتباس، وهو ما وقع فيه الحكيم في بعض ما كتب.

أذكر أن الأستـاذ **الحكيم** قد نشر قصّـةً تحت عنوان **(ليلة الـزّفاف)** وقـد لا حظ الأستـاذ **كمال رستم بمجلة الرسالة**[١] أن المؤلف قد أخـذ القصّة من مُؤلّف أمريكي كتبها تحت عنوان **(البحث عن زوج أمين)** ونشرَها بمجلة (قصص الحب) الصّادرة في ١٩٤١/٦/٧. وعُـذْرُ الحكيـم في رأي الأستـاذ كمال رستم أنّـه عَـرفَ أن المؤلف الأمـريكي غيرُ معْروف لقـراءِ لعربيّة، فلـم يَجِدْ حرجًا في التغـريـر بعقول القـرّاء، وقد سكتَ الحكيم فلم يُعلّق بشيء على هذا الهجوم في مجلّة أدبية ذائعة! وأنـا أستبعد أنـه تعمّـد السطو تعمـدًا، وإن كـانت الـدلائلُ الـواضحةُ تُجيـزه، وأرى الآن بعـد أن قرأتُ كلمـة الأستاذ أنيس منصور أنـه سَمع ملخّص القصة في

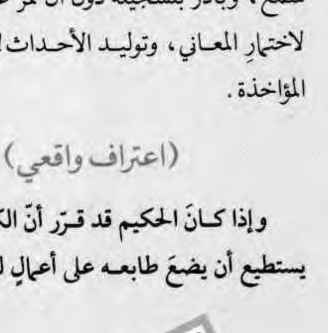

أنيس منصور


شكسبير

بعض مجالسه، ثم لم يُتْعبْ نفسه في استلهامِها على وجـهٍ يبـاعـد بينهـا وبين حقيقتهـا الأولى، فجـاء التّشـابُـه الـواضح، ولعلَّ سكـوتَ الحكيم عن التعقيب يـؤكّد أنـه وقع في الفخّ، حين ظنّ الـذي تحدّث معه عن القصـة يروي حادثًا واقعيـا شاهده بعينـه، ولم ينقل عن كـاتـبٍ غـربيّ! فأعجبـه مـا سمع، وبَادَر بتسجيله دون أن تمرّ عليـه فترةٌ كافية لاختمارِ المعـاني، وتوليـد الأحـداث! وهذا مـوضع المؤاخذة.

(اعتراف واقعي)

وإذا كـانَ الحكيم قد قـرّر أنّ الكـاتب العظيم يستطيع أن يضعَ طابعـه على أعمالٍ ليستْ أجزاؤها من صُنعه، فإنه قرّر أيضًا في زمن سابق، أنّه استمع إلى قصّة كتبها تحت عنوان (نهر الجنون) فجعل من أحداثهـا عملاً مسرحيـا، وهو لم يعترِفْ بـذلك إلاّ حين وُوجه بنقدٍ مـوضوعيٍّ يتهمهُ بـالسطو على أثر من آثار الأديب المهجري **جبران خليل جبران**.


جبران خليل جبران


موليير

وخلاصـةُ القصّة التي مَسْرَحَها الأستـاذ توفيق الحكيم كما رواهـا الأستـاذ جبران خليل جبران في كتـابـه (المجنون) تحت عنـوان (الملك الحكيم) مـا يلي:

«كَـان في إحـدى المُدن النـائيـة ملـكٌ جبـار حكيم، وكان مُخوفًا لجبروته، محبوبًا لحكمته، وكان في وسط تلك المدينة بئر ماءٍ نقيّ عذب، يشربُ منه جميعُ سكّان المدينة، من الملك وأعوانه فمن دونهم، لأنـه لَم يكنْ في المدينة سـواه، وفيها الناس نيـام في إحـدى الليالي جـاءتْ سـاحـرةٌ إلى المدينة خلسـة وألقتْ في البئر سبع نقط من سائل غريب، وقالت كلُّ من يشرب من هذا الماء فيما بعد سيكونُ مجنونا.

وفي الصباح التالي شربَ كلُّ سكّـان المدينة من ماء البئر وجنّوا على نحو ما قالت السَّاحرة، ولكن الملك والوزير لم يشربَا من ذلك الماء.

وعندما بلَغ الخبر آذانَ المدينـة، طافَ سكّانها من حيّ إلى حيّ، ومن زُقـاق إلى زقـاق، وهم يتسارّون قائلين «قد جُـنَّ ملكنا ووزيره، إنّ ملكنا ووزيـره قد أضـاعا رشـدهما، إننا نأبى أن يملكنـا رجل مجنونٌ، هيّا بنا نخلعه عن عرشه.

وفي ذلك المساء، سمع الملكُ مـا جرى، فأمَر على الفـور أن يُمـلأَ حُقٌّ ذهبـيٌّ من مِياهِ البئـر، فملؤوهُ في الحال وأحضروه إليه، فأخذه الملكُ بيده. وأدَاره إلى فمـه، وبعد أن ارتـوى من مائه دَفَعـه إلى وزيره فأتى الوزير على ثمالته، فعرفَ سكان المدينة ذلك، وفرحوا فرحا عظيما، لأنّ مليكهم ووزيره ثابا إلى رشدهما».

هذه القصة كتب عنهـا توفيق الحكيم مسرحية «نهر الجنون» وقد امتدّ بها حتى بلغتْ إحدى عشرة صفحة يجدهـا القارئ في كتاب (المسرح المنوع) ما بين صفحتيْ ٧٠٥، ٧١٦) وإذنْ فالخيطُ الأول قد اكتُنف بعدة خيوطِ أبدعَ الفنّان نسجها المتلاحم، وزاد فابتدَعَ حوارًا على لسان الأطباء، ومثلُه في ذلك مثل **شكسبير ومُوليير** حين يأخذان البذرة لتُصبح شجـرة، ولكنَّ الأستـاذ **«جورج وغريس»**[٢] قد

كتب مقالاً تحت عنوان (سياحة في نهر الجنون) قام فيه بتلخيص بعض المواقف المسرحية مَقرونا بقصّة جبران ليقول في خاتمة مقاله «إنّي مع احترامي الشديد، وتقديري العظيم للكاتب الفنان، أرى أحدَ أمرين، **إما أن تكون الفكرةُ مأخوذةً مما كتبه الأستاذ جبران خليل جبران**، وليس في ذلك حرج، ولكنْ كانَ الأجدر بالكاتب في هذه الحالة أن يذكر اسم المؤلف الذي أخذ عنه تلك الفكرة، ولهُ بعد ذلك الفضْلُ في تقريبها إلى الأذهان حين يصوغها في هذا القالب الرائع . . . **وإما أنْ يكون ذلك توارد الخواطر** ولكن لا أعتقد ذلكَ قَبل أن آخذ شربةً من ماء هذا النهر!

وقد علّق الأستاذ **الزيات** على هذا المقال بقوله: «**هناك فرض ثالث وهو أن يكون مصدر الكاتبين واحدا**».

(رد توفيق الحكيم)

قرأ الأستاذ توفيق الحكيم ما وُجّه إليه من تساؤل، وأسرعَ بالإجابة مؤكدًا أنه لم يقرأ القصة في كتاب ما، ولكنّه سمعها كثيرًا في مجالسه، وقد سمعها لأول مرّة منذُ ست وعشرين سنة، أي إنّها تكررت منذُ هذا التاريخ على سمعه، يقول الأستاذ الحكيم(٣).

«وقد وجدتُها شائعةً على الألسنة كغيرها من الأساطير، **ولا ريب عندي أنّ جبران خليل جبران لم يخترعْ هذه القصّة اختراعًا. وإنما دوّنها كما سمعها من الناس**، ومثلُ هذه الأساطير ما ابتدعها كاتبٌ، وإنما نبتتْ من قديم الزّمان بين الشعوب والأجناس **كأكثر النوادر والحكم والأمثال**، وإنّي لم أكن أعلمُ قطّ قبل اطّلاعي على عدد الرسالة الأخيرة أنّ أحدًا من الكتاب والشعراء قد تناول من قبل هذه الأسطورة، ولم يَصلْ إليّ خبرُها عن طريق مكتوب، وإنّما عن طريق أفواه الناس»

وكلمة (أفواه الناس) هذه تؤكد ما ذكرهُ الأستاذ أنيس منصور من استماع الكاتب إلى بعض القصص، واستغلالها في إنتاج جديد، مع الفرق بين استغلاليْن واضحيْن، فهو في نهر الجنون قد تصرّف بما أعطى ضوءًا كافيًا على الفكرة التي تؤكدها القصّة، وأجاد الحوار إجادةً تامةً عُرف بها، وصارَ بارعًا في فنّها، ولكنه في قصة «الليلة الزفاف» لم يكنْ مُستغلا لفكرة يبرزها من خلال أُسطورةٍ يتناقلها الناس، ولكنّه عمدَ إلى قصّةٍ منشورةٍ، فحكى أحداثها، وغيّر عنوانها، وهذا ما يُوَجّهُ إليه النقد الصائب.



الزيات



مصطفى عبد الرازق

العقاد: الحكيم بريء من تهمة السرقة

وأقول النقد الصائبُ عن عمد، لأنّ الأستاذ توفيق الحكيم قد وُوجهَ بهجُوم متسرّع لا نراهُ يلتزم جانب الإنصاف الدقيق، إذ إنّه حين أصدر مسرحيَّتهُ الذائعة (**أهل الكهف**) قُوبل بترحيب نادر من أدباء مِصْر، وفي طليعتهم **طه حسين ومحمد حسين هيكل ومصطفى عبد الرازق**، حتى عدّها أحدهم معجزة الرّواية العربيّة، ولكنّ الأستاذ **حبيب الزحلاوي** فاجأ القرّاء بمقالين نشرهما بجريدة «**روز اليوسف**» يعلن فيهما **أنّ قصةَ أهل الكهف مأخوذةٌ من قصّة الالتفات إلى الوراء) لمؤلّفها الكاتب الأمريكيّ (إدوارد بيلامي)**، ووجه الاتّفاق في رأي الأستاذ الزحلاوي أنّ بطلَ القصة الأمريكية ينام مائةَ عام نوما مِغْنطيسيّا، ويستيقظُ استيقاظًا علميّا، وأبطالُ الكهف ينامون ثلاثمائة عام ويستيقظون استيقاظا ربّانيًّا، وبطلةُ القصة الأمريكية فتاةٌ جميلةٌ أحبّها شاب، ولكنَّ كارثة احتراق البدروم الذي يسكنه قد أوهمتْها أنّه مات محترقا فحزنت عليه! وبطلة «أهل الكهف» في مسرحية الحكيم أحبّت شابًّا نام في الكهف نومه الطويل، فظنّته قد ماتَ وارتدتِ المسوح حزنا عليه كما يخرجُ البطلان معًا من معتقليْهما - إن صح هذا التعبير - ويَعودانِ للحياة بعد أمدٍ طويل فيجدان الناسَ غير الناس، والبيئة غير البيئة فيُدهشان ويعتقدان أنّ الحياة الجديدة صارتْ عبئا، فيرجع أحدهما إلى الكهف، والثاني إلى البدروم يأسًا من الحياة ورغبةً في الفناء! إلى أمورٍ أخرى من التّشابه تدورُ هذا المدار. وفي رأيي أنّ الأستاذ حبيب الزحلاوي قد أبعد النّجعة طويلاً فيما ارتآه، وكان عليه أن يعلَم أنّ القرآن الكريم وحده هو المصدر الرئيسي لمسرح قصة الحكيم، ومنه أخذ الحكيم إطارها العام! فجعلهُ الفنّان مَصْدَرًا أساسيًّا لإلهامه، أمّا الاتفاقُ في النّوم الطويل، وحبّ الفتاة، ومفاجأة البطل بها لا يتوقّع حين خرج من معتزله، ونفوره من الحياة بعد أن أصبح غريبا عنها، فمما لا يُستغرب أن تتوارد فيه الخواطر على هذا النحو المعهود! **لذلك نرى أن اتهامَ الأستاذ الزحلاوي لقصة أهل الكهف غيرُ ذي موضوع، وهو ما مالَ إليه من أسهمُو برأيهم في هذا الاتهام**.

وقد برأ الأستاذ **العقاد** توفيق الحكيم حين احتكم الجمهور إليه بشأن قصّة **(حمار الحكيم) إذ** زعمتْ أقلامٌ مُهاجمةٌ أن القصة مسروقة عن الأسبانية، وقامَ لغط طويل امتدّ قرابة نصف عام على صفحات الجرائد والمجلاّت، لأنّ الكاتبين قد اصطحبَا حِماريْن بَادَلاَهُما الحبّ والحوار، وناقش كلُّ كاتبٍ صاحبه في أمور اجتماعية ونفسية، وُجِد التشابُهُ في بعضِ مدلولاتِهما، وهو أمرٌ طبيعيٌّ لا يدل على السطو المتعمَّد، **وقد يكونُ الحكيم قد قرأ الرواية الأسبانية مترجمةً إلى الفرنسية أو إلى الانجليزية فألهِم أن يجري حوارًا مع الحمار! ثم انطلقَ في حواره وفق تفكيره الخاص، وقصصُ الحيوان في الآداب العالمية مما تُسهّل مهمّة الفنان إذْ عَبّدتِ الطريق . .**

بعد هذا نقرّر أنّ النقد يقظٌ ساهر، وأنّ الفنان في إبداعه مُحاسبٌ على كلّ ما يغتصبه دون إشارة إلى مصدره، ولن تنفعه عبارات التحفّظ والتهوين، فالآذان تسمع، والجرسُ رنّان.

الهوامش

(١) مجلة الرسالة، العدد (٧٤) ٣٠/١٢/١٩٤٦م.
(٢) مجلة الرسالة، العدد (٨٤) ١١/٢/١٩٣٥م.
(٣) مجلة الرسالة، العدد (٨٥) ١٨/٢/١٩٣٥م.



الاعتراض في اللغة العربية

بقلم : د. عبد المنعم عبد الله حسن

عُرِفَت اللغة العربية ـ التي اصطفاها الله لساناً مبيناً لذكره الحكيم ـ بدقة التعبير وجمال التصوير ، وإحكام التراكيب ، واتخذت لذلك صوراً متعددة ، وفنوناً متباينة ، وألواناً شتى ، كفلت لها خصائص اختصت بها ، وسنناً استنها أهلها ، وكان ذلك من أسباب سخائها ورقيها .

ومن هذه الألوان التعبيرية ، والفنون الأسلوبية : الاعتراض الذي عرَّفَه أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥ هـ) بقوله : « .. اعتراض كلام في كلام لم يتم .. ثم يرجع إليه فيتمه .. »[١] ، فتقع جملة أو أكثر لا محل لها من الإعراب في أثناء الكلام، أو بين كلامين متصلين لا لفائدة سوى دفع الإيهام .

فهو نوع من أنواع الإطناب ، وإذا كانت البلاغة هي الإيجاز ، فلكل مقامه وموضعه ، الذي يصله بأسباب البلاغة ، وقد أشار الجاحظ إلى أن البلاغة «أن تكون الإطالة في موضعها والإيجاز في موضعه»[٢] .

ونقل قول أعرابي عن البلاغة .. قيل له : **ما البلاغة ؟** قال : **«الإيجاز في غير عجز والإطناب في غير خطل»**[٣] .

اللغويون القدماء

وقد تناول اللغويون القدامى قضية الاعتراض في العربية بالبحث والدرس وأعربوا عن أثره ، وصوره ، ومواطنه ، ودلالاته .

وإن القرن الرابع الهجري ليطالعنا برائدين فذّين من رواد اللغة ، يتناولان الاعتراض تناولا يكشف عن قيمته اللغوية ، التي يعتز بها اللسان العربي ، ويزخر بها في آثاره وأسفاره ، ونثره وأشعاره .. فهذا هو **ابن جني** (ت ٣٩٢ هـ) في كتابه القيم (**الخصائص**) الذي يُعَدّ أهم مراجع علم اللغة ، والذي يُعنى بإبراز خصائص العربية ، وتجلية أسرارها ، والإفصاح عن فلسفتها ، يعقد في كتابه هذا باباً في الاعتراض يستهله بقوله :

(اعلم أن هذا القبيل من هذا العلم كثير ، قد جاء في القرآن ، وفصيح الشعر ومنثور الكلام)[٤] .

ألا ترى إلى هذا اللغوي الدقيق في تعبيره وهو يطلق على هذا اللون الأسلوبي أنه علم فيقول (من هذا العلم) ثم يؤصِّل ابن جني قضية الاعتراض في العربية بكثرة ورودها في اللسان العربي القرآن ، والشعر ، والنثر .

ويعرض لذلك شواهد متعددة ، يوضح بها صوره ، وطرقه ، وفائدته ، وسنقف معها .

كما يتناول **أحمد بن فارس** (ت ٣٩٥ هـ) في كتابه (**الصاحبي**) قضية الاعتراض في باب يخصه بها ، يستهله بقوله :

«ومن سنن العرب : أن يعترض بين الكلام وتمامه كلام آخر ، ولا يكون هذا المعترض إلا مفيداً»[٥] .

فيشير إلى أنه سنة من سنن العرب في أساليبهم وتراكيبهم ، ثم يلمح إلى فائدته ، وأثره .

وقد نقل الإمام السيوطي رحمه الله (ت ٩١١ هـ) في كتابه (**المزهر**) عن ابن فارس هذه العبارة[٦] وهو يوضح خصائص اللغة العربية في النوع الثالث والعشرين من مزهره الذي عقده لذلك .

الاعتراض إذن سمة بارزة من سمات العربية ، يكسبها تصرفاً في القول وتلوناً في التعبير ، ومرونة في الأسلوب .

ويشترط في الجملة الاعتراضية «أن تكون مناسبة للجملة المقصودة ، بحيث تكون كالتأكيد ، أو التنبيه على حال من



أحوالها ، وألا تكون معمولة لشيء من أجزاء الجملة المقصودة »[7] .

كما أشار **الزمخشري** إلى أن الجملة الاعتراضية « لا بد لها من الاتصال بالكلام الذي وقعت معترضة فيه لأنها مسوقة لتوكيده وتقريره »[8] .

صوره وطرقه

ومن هنا نستطيع أن نعرض صور الاعتراض ، وطرقه . والحقيقة أن الاعتراض له صور متعددة ، وطرق مختلفة ، نجملها في النقاط التالية :

١ ــ تقع الجملة المعترضة بين الفعل وفاعله . يقول الإمام ابن جني : « فذلك لا يشنع عليهم ، ولا يستنكر عندهم أن يعترض به بين الفعل وفاعله »[9] ، وقد ذكر ابن جني لذلك أمثلة فقال : ومن ذلك قول امرئ القيس :

ألا هل أتاها ــ والحوادث جمة ــ بأنَّ امرأ القيس بن تملك بيقرا

فقوله : « والحوادث جمة » اعتراض بين الفعل وفاعله .

ومثله قوله : ألا هل أتاها والحوادث كالحصى .

وأنشدنا **أبو علي** :

وقد أدركتني ــ والحوادث جمة ــ أسنة قوم لا ضعاف ولا عزل

فهذا كله اعتراض بين الفعل وفاعله .

ثم يقول : ومن الاعتراض قوله :

ألم يأتيك ــ والأنباء تنمي ــ بما لاقت لبُون بني زياد

فقوله : « والأنباء تنمي » اعتراض بين الفعل وفاعله ، وهذا أحسن مأخذاً في الشعر من أن يكون في « يأتيك ضمير (من متقدم مذكور) »[9] .

وقد علّق **ابن هشام الأنصاري** (ت ٧٦١ هـ) على هذا البيت بقوله : « على أن الباء زائدة في الفاعل ، ويحتمل أن « يأتي » و « تنمي » تنازعا « ما » فأعمل الثاني واضمر الفاعل في الأول ، فلا اعتراض ولا زيادة ، ولكن المعنى على الأول أوجه إذ الأنباء من شأنها أن تنمي بهذا وبغيره »[10] .

فهو بهذا يوافق ابن جني في أن الأحسن والأوجه أن تكون جملة « والأنباء تنمي » جملة معترضة بين الفعل (يأتي) والفاعل (ما . .) .

٢ ــ تقع الجملة المعترضة بين الفعل ومفعوله : وفي ذلك يقول ابن جني : « وروينا **لعبد الله بن الحر** » :

تعلّم ــ ولو كاتمته الناس ــ أنني عليك ولم أظلم بذلك عاتب

فقوله : « ولو كاتمته الناس » اعتراض بين الفعل ومفعوله[11] .

ومن ذلك قول الله تعالى **﴿ ولَئِن أصابكُم فَضلٌ مِن الله لَيَقُولَنَّ كأن لَم تكُن بَينكُم وَبَينَهُ مَوَدَّةٌ يا لَيتني كُنت معهم فأفوز فَوزاً عظيماً ﴾**[12] . فقوله : (كأن لم تكن بينكم وبينه مودة) « اعتراض بين الفعل الذي هو (ليقولن) وبين مفعوله وهو (يا ليتني) »[13] .

٣ ــ تقع الجملة المعترضة بين المفعول الأول والثاني : ومن ذلك قول **أبي النجم** :

وبُدّلَت ــ والدهر ذو تبدل ــ هيفاً دبوراً بالصَّبا والشمأل

فقوله : « والدهر ذو تبدل » اعتراض بين المفعول الأول والثاني[14] ، والمفعول الأول هنا هو نائب الفاعل .

هذا . . وقد ذكر ابن هشام الأنصاري هذا البيت شاهداً على أن الجملة المعترضة وقعت بين الفعل[15] ومفعوله ، فهو لم يراع نائب الفاعل المستتر في الفعل المبني للمجهول (بدّلت) وأصله مفعول أول لأن الفعل مضعف .

كذلك ذكر السيوطي هذا البيت شاهداً على أن الجملة المعترضة وقعت بين الفاعل ومفعوله[16] .

ونميل إلى اتجاه ابن جني لمراعاته الدقيقة لنائب الفاعل المستتر الذي هو في الأصل مفعول أول ، لأن الفعل المتعدي إذا ضُعّف تعدى بالتضعيف إلى مفعولين يكون الأول منهما هو نائب الفاعل عند بناء الفعل للمجهول .

٤ ــ تقع الجملة المعترضة بين المبتدأ والخبر : ومن ذلك قول **معين بن أوس :**

وفيهن ــ والأيام يعثرن بالفتى ــ نوادبُ لا يمللنه ونوائح

« ففصل بقوله : « والأيام يعثرن بالفتى » بين المبتدأ وخبره »[17] .

ومن ذلك قول الله تعالى **﴿ هذا فَليَذوقوهُ حَميمٌ وَغَسَّاقٌ ﴾**[18] .

فقوله « فليذوقوه » اعتراض بين المبتدأ وخبره[19] . ومن ذلك أيضاً قول الله تعالى **﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نُكَلِّفُ نفساً إلا وُسعَها أولئك أصحابُ الجنة هم فيها خالدون ﴾**[20] . فجملة (لا نكلف نفساً إلا وسعها) « جملة معترضة بين المبتدأ والخبر »[21] .

وقد ذكر ابن هشام أن من ذلك «الاعتراض بجملة الفعل المُلْغَى في نحو « زيد أظن قائم » وبجملة الاختصاص في نحو قوله عليه الصلاة والسلام : « نحن معاشر الأنبياء لا نورث » . وقول الشاعر :

« نحن ــ بنات طارق ــ نمشي على النمارق »[22]

٥ ــ يقع الاعتراض بين ما أصله المبتدأ والخبر : من ذلك قوله[23] :

لعلك والموعود حق لقاؤه بدا لك في تلك القلوص بداء

وقوله :

يا ليت شعري ــ والمنى لا تنفع ــ هل أغدون يوماً وأمري مجمع

وقوله :

إني وأسطار سطرن سطراً لقائل يا نصر نصرٌ نصرا

ويعلق ابن جني على هذا البيت الأخير لرؤبة فيقول : « فاعترض بالقسم

> دقة تعبير وجمال تصوير وبلاغة وإحكام تراكيب

بين اسم إن وخبرها[٢٤] ، واسم إن وخبرها أصلهما المبتدأ والخبر » . ومن ذلك أيضاً قوله :

وإني لـرام نظرة قبل التي
لعلّي – وإن شطت نواها – أزورها

« وذلك على تقدير (أزورها) خبر لعل ، وتقدير الصلة محذوفة ، أي التي أقول لعلي »[٢٥] .

وقد سأل ابن جني أبا علي الفارسي عن بيت كثيّر :

وإني وتهيامي بعزة بعدما ... تخليت عما بيننا وتخلت

فأجاز أن يكون قوله : « وتهيامي بعزة » جملة من مبتدأ وخبر اعترض بها بين اسم إن وخبرها الذي هو قوله :

لكالمرتجي ظل الغمامة كلما ... تبوأ منها للمقيل اضمحلت

يقول ابن جني : « فقلت له : أيجوز أن يكون (وتهيامي بعزة) قسماً ؟ فأجاز ذلك ولم يدفعه »[٢٦] .

ومنه قول **ابن هرمة** :

إن سليمى – والله يكلؤها – ... ضنت بشيء ما كان يرزؤها

وقول أبي المنهال :

إن الثمانين – وبلغتها – ... قد أحوجت سمعي إلى ترجمان

فالاعتراض قد وقع بين اسم إن وخبرها .

٦ – يقع الاعتراض بين البدل والمبدل منه :[٢٧] كقول الله تعالى **﴿ واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقاً نبيًا . إذ قال لأبيه يا أبت ﴾**[٢٧] .

يعلق **الزمخشري** على جملة « إنه كان صديقاً نبياً » فيقول :

« وهذه الجملة وقعت اعتراضاً بين المبدل منه وبدله أعني إبراهيم ، و (إذ قال) نحو قولك رأيت زيداً ونعم الرجل أخاك » .

٧ – يقع الاعتراض بين القسم وجوابه : كقوله تعالى **﴿ فلا أقسم بمواقع النجوم – وإنه لقسم لو تعلمون عظيم – إنه لقرآن كريم ﴾**[٢٨] ، فقد اعترض بقوله « وإنه لقسم لو تعلمون عظيم » بين القسم الذي هو قوله « فلا أقسم بمواقع النجوم » وبين جوابه الذي هو قوله « إنه لقرآن كريم »[٢٩] ، ومنه قوله تعالى **﴿ قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض ﴾** (سورة يوسف ، الآية ٧٣) . فقوله : (لقد علمتم) اعتراض بين القسم وجوابه .

ومنه قول النابغة :

لعمري – وما عمري عليَّ بهين – ... لقد نطقت بُطْلاً على الأقارع

فقد اعترض بقوله (وما عمري عليَّ بهين) بين القسم (لعمري) وجوابه (لقد نطقت . . .) .

٨ – يقع الاعتراض بين الشرط وجوابه : كقوله تعالى **﴿ وإذا بدّلنا آية مكان آية – والله أعلم بما ينزّل – قالوا إنما أنت مفتر ﴾**[٣٠] . ونحو : **﴿ فإن لم تفعلوا – ولن تفعلوا – فاتقوا النار ﴾**[٣١] .

ومن ذلك قول كثير عزة :

لَوَ آنّ الباخلين – وأنت منهم – ... رأوك لعلموا الناس المطالا

فقوله : (وأنت منهم) اعتراض بين لو وجوابها[٣٢] .

٩ – يقع الاعتراض بين الموصوف وصفته : كقوله تعالى **﴿ وإنه لقسم – لو تعلمون – عظيم ﴾**[٣٣] . فقد اعترض بقوله « لو تعلمون » بين الموصوف (قسم) والصفة (عظيم) .

١٠ – يقع الاعتراض بين الموصول وصلته ، مثل قول الشاعر :

ذاك الذي – وأبيك – تعرف مالك ... والحق يدفع تُرّهات الباطل

فقوله : « وأبيك » اعتراض بين الموصول والصلة[٣٤] .

١١ – يقع الاعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه : كقول الله تعالى **﴿ وإذ قتلتم نفساً فادّارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون ﴾ . ﴿ فقلنا اضربوه ببعضها . . . ﴾**[٣٥] . فقوله (والله مخرج ما كنتم تكتمون) اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه[٣٦] .

ومن ذلك قوله تعالى **﴿ والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون ﴾**[٣٧] .

يعلّق الزمخشري على جملة **(ومن يغفر الذنوب إلا الله)** فيقول : . . . وهذه جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه[٣٨] .

١٢ – يقع الاعتراض بين حرف التنفيس والفعل ، كقول زهير :

وما أدري وسوف – إخال – أدري
أقوم آل حصن أم نساء

١٣ – يقع الاعتراض بين الحرف وتوكيده[٣٩] ، كقوله :

ليت وهل ينفع شيئاً ليت ... ليت شباباً بوع فاشتريت

وكقول **مجنون ليلى :**[٤٠]

خليليَّ لا – والله – لا أملك الذي ... قضى الله في ليلى ولا ما قضى ليا

١٤ – يقع الاعتراض بين جملتين مستقلتين بينهما علاقة سبب أو تفسير وبيان[٤٠] ، كالذي في قول **زفر بن الحارث :**

أريني سلاحي – لا أبا لك – إنني ... أرى الحرب لا تزداد إلا تماديا

وكقوله تعالى **﴿ فأتوهن من حيث أمركم الله إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين . نساؤكم حرث لكم ﴾**[٤١] . فإن (نساؤكم حرث لكم) تفسير لقوله تعالى (من حيث أمركم الله) . وكقوله تعالى **﴿ ووصينا**

الإنسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك ﴾(٤٢) ، فقد اعترض بقوله (حملته أمه وهناً على وهن وفصاله في عامين) «بين المفسر والمفسر»(٤٣) .

١٥ ـ يقع الاعتراض بين المتضايفين ، كقولهم : «هذا غلام ـ والله ـ زيد» ، و«لا أخاً فاعلم لزيد» .

هكذا أجاز **ابن جني** فقال : «لا أخا ـ فاعلم ـ لك» فقوله : «فاعلم» اعتراض بين المضاف والمضاف إليه ، كذا الظاهر(٤٤) . كما أجاز ذلك **ابن هشام**(٤٤) ، **والسيوطي**(٤٤) . بيد أن **أبا علي الفارسي** أجاز أن يكون «لك» خبراً ، ويكون «أخاً» اسماً مقصوراً تاماً غير مضاف ، كقولك : لا عصا لك . . . ولم يكن في الكلام فصل بين المضاف والمضاف إليه(٤٥) .

وهذا المثال «لا أخا ـ فاعلم لك» ذكره **سيبويه** ، وصرح أن الفصل بين المضاف والمضاف إليه قبيح ، وهو يجوز في الشعر اضطراراً . «لأن الشاعر إذا اضطر فصل بين المضاف والمضاف إليه»(٤٦) .

وقد أحسّ ابن هشام بذلك فقال بعد المثال الذي أورده «لا أخا ـ فاعلم ـ لزيد» ، وقيل : «الأخ هو الاسم والظرف والخبر ، وأن الأخ حينئذ جاء على لغة القصر»(٤٧) .

١٦ ـ يقع الاعتراض بين الجار والمجرور ، كقوله : «اشتريته بـ أرى ألف درهم» . هكذا يرى ابن هشام أيضاً والسيوطي(٤٨) . ولكن ذلك قبيح أيضاً ، فقد «استقبح سيبويه الفصل بين الجار والمجرور بما يتم به الكلام وبما لا يتم»(٤٩) .

وعلى هذا . . فوقوع الاعتراض بين المتضايفين ، وبين الجار والمجرور قبيح .

وقد صرّح بذلك **يحيى بن حمزة العلوي اليمني** فقال بعد أن ذكر الجائز من صور الاعتراض : «وأما غير الجائز فهو الاعتراض بين المضاف والمضاف إليه ، وبين حرف الجر ومجروره إلى غير ذلك مما يقبح استعماله»(٥٠) .

هذه هي أهم المواضع التي يقع الاعتراض فيها .

الاعتراض بأكثر من جملة

والاعتراض في اللغة العربية ، كما يكون جملة واحدة قد يكون بأكثر من جملة(٥١) ، وذلك كقوله تعالى **﴿ فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثى ـ والله أعلم بما وضعت ـ وليس الذكر كالأنثى ـ وإني سميتها مريم ﴾**(٥٢) . فقد اعترض بجملة «والله أعلم بما وضعت» وجملة «وليس الذكر كالأنثى» بين المتعاطفين «إني وضعتها أنثى» ، «وإني سميتها مريم» .

وكقول زهير :

لعمرك ـ والخطوب مغيرات   وفي طول المعاشرة التقالي
لقد باليت مظعن أم أوفى   ولكن أمّ أوفى لا تبالي

فاعترض بجملة (والخطوب مغيرات) وجملة (وفي طول المعاشرة التقالي) بين القسم (لعمرك) وجوابه (لقد باليت) . فالاعتراض في هذين الموضعين وقع بجملتين .



وقد يقع الاعتراض في العربية بأكثر من جملتين ، وذلك كقوله تعالى **﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي ـ وَغِيضَ الْمَاءُ ـ وَقُضِيَ الْأَمْرُ ـ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ ـ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾**(٥٣) .

فإن هذه الآية الكريمة وقع فيها «الاعتراض بثلاث جمل ، وهي : (وغيض الماء) ، و(وقضي الأمر) ، و(استوت على الجودي)»(٥٤) .

هذا . . **وقد يقع الاعتراض متداخلاً** ، فيحوي الاعتراض اعتراضاً آخر ، كما في الآية السابقة ، فإن جملة «وقُضي الأمر» معترضة بين (وغيض . .) ، و(استوت) لأن الاستواء يحصل عقب الغيض . . ففيها اعتراض في اعتراض(٥٤) . ومثل قوله تعالى **﴿ فلا أقسم بمواقع النجوم ـ وإنه لقسم ـ لو تعلمون ـ عظيم ـ إنه لقرآن كريم ﴾** . فجملة (وإنه لقسم لو تعلمون عظيم) معترضة بين القسم وجوابه ، كما سبق أن وضحنا . ونفس هذه الجملة حوت اعتراضاً آخر هو : (لو تعلمون) فقد اعترض به بين الموصوف (قسم) والصفة (عظيم) ففيها اعتراض في اعتراض .

أغراضه

هذا ، **وقد ذكر البلاغيون أغراضاً متعددة كالمبالغة ، والإعظام ، والتفخيم ، كما في الآية السابقة لتعظيم المقسم به ، والاهتمام بذكر حاله**(٥٥) . **وكالتقرير** ، في نفس السامع ، كما في قوله تعالى **﴿ تالله ـ لقد علمتم ـ ما جئنا لنفسد في الأرض ﴾**(٥٦) . **وكالتنزيه** ، كما في قوله تعالى **﴿ ويجعلون لله البنات ـ سبحانه ـ ولهم ما يشتهون ﴾**(٥٧) . **وكالدعاء** ، كما في قول الشاعر :

إن الثمانين ـ وبلغتها ـ   قد أحوجت سمعي إلى ترجمان

وغير ذلك مما زخرت به كتب البلاغيين(٥٨) ، وما نود أن نخوض في تفاصيله ، بيد أننا نشير إلى أن صاحب **الطراز** قد أشار إلى أن **الاعتراض قد يدخل لفائدة جارية مجرى التأكيد ، وقد يكون داخلاً لغير فائدة** ، ومثل لما له فائدة بشواهد مما سبق تناولها في هذا البحث ، ثم قال : «الضرب الثاني من الاعتراض وهو الذي يأتي لغير فائدة ، ثم هو على وجهين ، الوجه الأول منها أن يكون غير مفيد ، لكنه لا يكسب الكلام حسناً ولا قبحاً ، وهذا كقول زهير :

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش   ثمانين حولا لا أباً لك يسأم

فقوله (لا أباً لك) من الاعتراض الذي ليس له فائدة توكيد ، وليس فيه قبح . . . فهذا وأمثاله يغتفر فيه هذا الاعتراض ، وإن كان لا فائدة تحته . **والوجه الثاني :** أن يكون من غير فائدة ، لكنه يكون قبيحاً لخروجه عن

"الاعتراض في الشعر العربي دليل فصاحة وثقة بالنفس"

قوانين العربية ، وانحرافه عن أقيستها كقول من قال :

فقد – والشك – بيَّن لي عناء   بوشك فراقهم صُرَدٌ يصيح

وإنما كان قبيحاً لأنه اعترض بين قد وفعلها بقوله (والشك) ، ومثل هذا قبيح لا يغتفر ، وهو في النثر أقبح منه في النظم ، لأن الناظم يضطره الوزن فيعذر فيه بعض معذرة ، فأما الناثر فلا عذر له في مثل هذا ، لأنه لا يراعي وزناً يلزمه استقامة ، وكتاب الله ، والسنَّة الشريفة ، وكلام أمير المؤمنين ، منزه عن مثل هذا الاعتراض ، لأنه غير لائق بالكلمات البليغة »[٥٩] .

للاعتراض في العربية إذن قيمة تعبيرية كبرى ، وأثر لغوي عظيم ، فلقد بدت من عرض شواهده ، وصوره ، حقيقة جلية لا تخفى على دارس ، ولا تغيب عن باحث ، وهي أن الأسلوب الذي وقع في ثناياه الاعتراض يحوي فائدة « لم يتم حسنها إلا بالجملة المعترضة »[٦٠] .

وذلك لأن الاعتراض يُضْفي على الأسلوب تقوية ، وتوضيحاً ، وتحسيناً ، وتسديداً ، وهو دليل صادق على رحابة التعبير في اللغة العربية ، وإحكام تراكيبها ، ودقة بنائها الأسلوبي .

قال **الطيبي** في التبيان : « ووجه حسن الاعتراض حسن الإفادة ، مع مجيئه مجيء ما لا يترقب ، فيكون كالحسنة تأتيك من حيث لا تحتسب »[٦١] .

ولعل الدائرة التي يدور حولها الاعتراض هي دائرة التوكيد ، وهذا ما حدا بالزمخشري إلى أن يقول : « والاعتراضات في الكلام لا تساق إلا للتوكيد »[٦٢] .

وما أجمل ما اختتم به ابن جني الباب الذي عقده للاعتراض مبيناً أثره ، وقيمته ، وسره ، في الحديث والمتحدث معاً ، فقال : « والاعتراض في شعر العرب ومنثورها كثير وحسن ، ودال على فصاحة المتكلم ، وقوة نفسه ، وامتداد نفسه »[٦٣] .

● ●

الهوامش

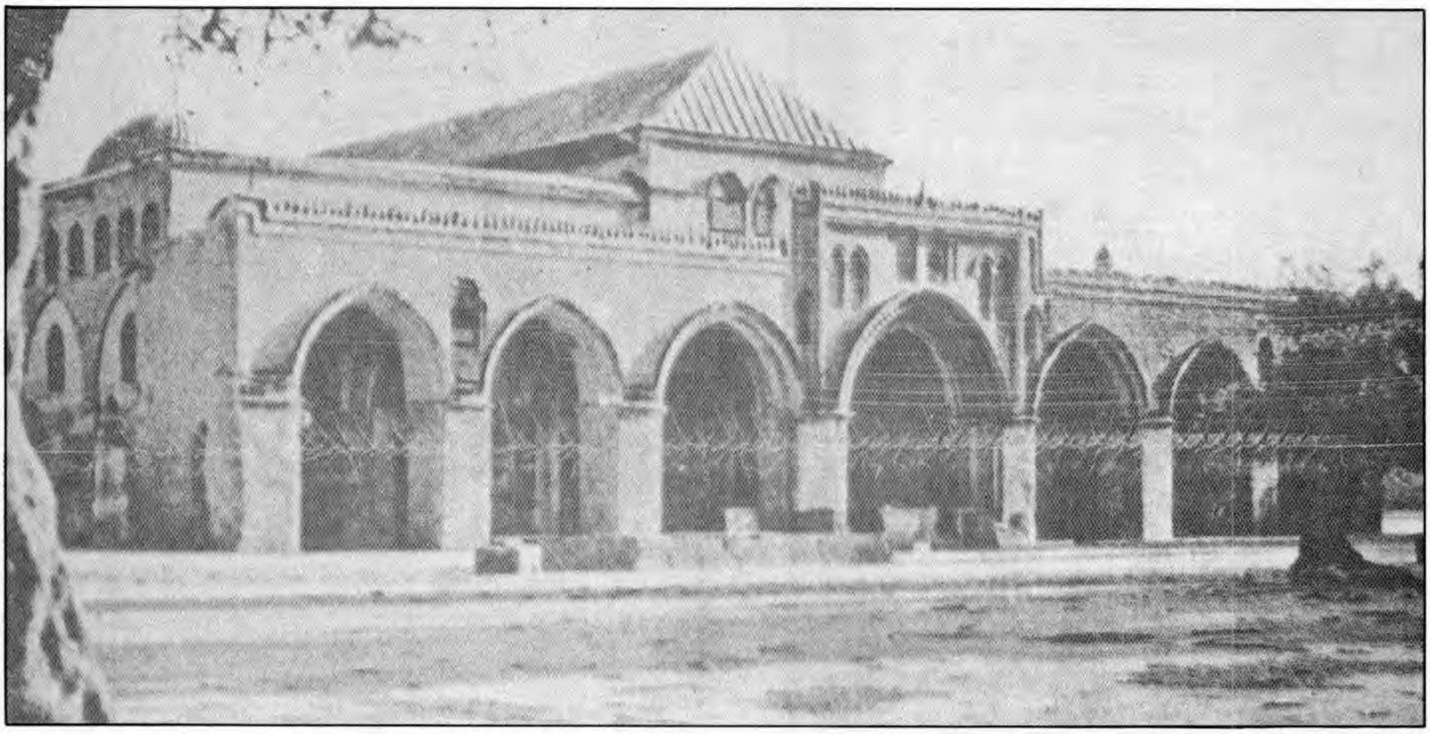
(١) الصناعتين ، طبعة بيروت ، ص ٤٤١ .
(٢) البيان والتبيين ، ١/١٤٩ .
(٣) المصدر السابق نفسه ، ١/٩٧ .
(٤) الخصائص ، ١/٣٣٥ .
(٥) الصاحبي ، تحقيق السيد صقر ، طبعة الحلبي ، ص ٤١٤ .
(٦) المزهر ، ١/٣٣٨ .
(٧) همع الهوامع للسيوطي ، طبعة بيروت ، ١/٢٤٧ .
(٨) البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري ، الدكتور محمد أبوموسى ، طبعة دار الفكر ، ص ٣٧٩ .
(٩) الخصائص ، ١/٣٣٥ ، وما بعدها .
(١٠) مغني اللبيب لابن هشام ، ١/٣٨٧ .
(١١) الخصائص ، ١/٣٣٦ .
(١٢) سورة النساء ، الآية (٧٣) .
(١٣) الكشاف للزمخشري ، ١/٥٤١ .
(١٤) الخصائص ، ١/٣٣٦ .
(١٥) مغني اللبيب ، ١/٣٨٧ .
(١٦) همع الهوامع ، ١/٢٤٨ .
(١٧) الخصائص ، ١/٣٤٠ .
(١٨) سورة ص ، الآية (٥٧) .
(١٩) الخصائص ، ١/٣٤٠ .
(٢٠) سورة الأعراف ، الآية (٤٢) .
(٢١) الكشاف ، ٢/٧٩ .
(٢٢) مغني اللبيب ، ١/٣٨٧ .
(٢٣) همع الهوامع ، ١/٢٤٧ .
(٢٤) الخصائص ، ١/٣٤٠ .
(٢٥) المغني ، ١/٣٨٨ .
(٢٦) الخصائص ، ١/٣٤٠ .
(٢٧) البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري ، ص ٣٧٧ ، نقلاً عن الكشاف ، طبعة بيروت ، ٢/٥١٠ ، وسورة مريم ، الآيتان (٤١ ، ٤٢) .
(٢٨) سورة الواقعة ، الآيات (٧٥ – ٧٧) .
(٢٩) الخصائص ، ١/٣٣٥ .
(٣٠) سورة النحل ، الآية (١٠١) .
(٣١) سورة البقرة ، الآية (٢٤) .
(٣٢) الطراز ، يحيى بن حمزة العلوي اليمني ، ٢/١٧٣ ، ١٧٤ .
(٣٣) سورة الواقعة ، الآية (٧٦) .
(٣٤) الخصائص ، ١/٣٣٦ .
(٣٥) سورة البقرة ، الآيتان (٧٢ ، ٧٣) .
(٣٦) الكشاف ، ١/٢٨٩ .
(٣٧) سورة آل عمران ، الآية (١٣٥) .
(٣٨) الكشاف ، ١/٤٦٤ .
(٣٩) المغني ، ١/٣٩٢ ، ٣٩٣ .
(٤٠) إعراب الجُمل ، وأشباه الجُمل ، الدكتور فخر الدين قباوة ، ص ٦٥ .
(٤١) سورة البقرة ، الآيتان (٢٢٢ ، ٢٢٣) .
(٤٢) سورة لقمان ، الآية (١٤) .
(٤٣) الكشاف ، ٣/٢٣٢ .
(٤٤) الخصائص ، ١/٣٣٨ ، والمغني ، ١/٣٩٢ ، والهمع ، ١/٢٤٨ .
(٤٥) الخصائص ، ١/٣٣٨ ، ٣٣٩ .
(٤٦) الكتاب لسيبويه ، ٢/٢٨٠ .
(٤٧) المغني ، ١/٣٩٢ .
(٤٨) المغني ، ١/٣٩٢ ، والهمع ، ١/٢٤٨ .
(٤٩) الكتاب ، ٢/هامش ، ص ٢٨٠ .
(٥٠) الطراز ، ٢/١٦٨ .
(٥١) وإن كان أبوعلي الفارسي يزعم أنه لا يعترض بأكثر من جملة . المغني ، ١/٣٩٤ .
(٥٢) سورة آل عمران ، الآية (٣٦) .
(٥٣) سورة هود ، الآية (٤٤) .
(٥٤) الإتقان في علوم القرآن ، للسيوطي ، ٢/٩٧ .
(٥٥) الطراز ، ٢/١٦٩ .
(٥٦) سورة يوسف ، الآية (٧٣) .
(٥٧) سورة النحل ، الآية (٥٧) .
(٥٨) انظر المعاني في ضوء أساليب القرآن ، الدكتور عبد الفتاح لاشين ، ص ٣٦٣ ، وما بعدها .
(٥٩) الطراز ، ٢/١٧٤ ، ١٧٥ .
(٦٠) جوهر الكنز لابن الأثير الحلبي ، ص ١٢٩ .
(٦١) الإتقان ، ٢/٩٧ .
(٦٢) الكشاف ، ٢/٥٧ .
(٦٣) الخصائص ، ١/٣٤١ .

الصحافة الإسلامية في فلسطين

ضيّقوا الخُنّاق عليها.. فانطلقت مع انتفاضة الحجارة..

بقلم: خليل محمود الصمادي

المسجد الأقصى



عرفت فلسطين الصحافة في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي إبان الحكم العثماني، وأول مطبعة دخلت فلسطين في عام «١٨٥٢م»[١]. وتأخر صدور الصحف حتى «١٨٧٦م»[٢]، إذ صدرت في القدس صحيفتان عن متصرفية القدس[٣] هما «القدس الشريف» و«الغزال» وقد كانتا رسميتين تنشر بهما الحكومة القوانين والأنظمة.

واستمر صدور الصحف من ذلك التاريخ إلى النكبة، وكانت الصحف الصادرة متنوعة ما بين سياسية واجتماعية ودينية وزراعية وغيرها.

وأول صحيفة إسلامية صدرت في عام «١٩٢٠م» أصدرها حسن صدقي الدجاني باسم «القدس الشريف»[٤].

ثم أصدر **صالح الحسيني** في القدس أيضا صحيفة **«الأقصى»** في ٦/ ٩/ ١٩٢٣م، وفي **يافا** أصدر **فهمي الحسيني** صحيفة **«الحقوق»** في ١٢/ ١٢/ ١٩٢٣م، واستمرت في الصدور حتى عام ١٩٢٨م حيث انتقل صاحبها إلى غزة وواصل إصدارها هناك[٥].

كما أصدر المذكور جريدة يومية في **يافا** في ٦/ ١٠/ ١٩٢٧م بعنوان **«صوت الحق»** وكانت سياسية مستقلة واستمرت في الصدور حتى عام ١٩٢٩م.

وفي **يافا** أيضا صدرت جريدة **« الصراط المستقيم »** في ١٢/ ٩/ ١٩٢٤م[٦] أصدرها **الشيخ عبد الله القلقيلي، وتُعد أول صحيفة إسلامية مختصة بالفكر الإسلامي. إذ التزمت المنهج الإسلامي وطبقت القواعد الشرعية في نشر موادها**، وقد بدأ صدورها مرتين في الأسبوع ثم أصبحت يومية، وبعد وفاة مؤسسها واصل ابنه **عبد الله بن عبد الله بن محمد القلقيلي** إصدارها حتى النكبة، ثم لجأ إلى الأردن حيث شغل منصب المفتي العام للديار الأردنية، **وكانت « الصراط المستقيم» الجريدة الوحيدة في فلسطين التي امتنعت عن نشر الإعلانات التي تتعلق بالملاهي ودور السينما والبارات**[٥].

وفي ٢٥/ ٥/ ١٩٣٣م أصدر **سليمان التاجي الفاروقي** جريدة **«الجامعة الإسلامية»** كجريدة يومية سياسية تنشر فكرة الجامعة الإسلامية في البلاد كافة وقد أوقفتها الحكومة

البريطانية ثلاثة أسابيع عام ١٩٣٨م[٧]، ثم توقفت من تلقاء نفسها عام ١٩٤١م حتى النكبة[٨]، ثم عادت للصدور في الأردن في ١٥/٣/١٩٤٩م.

دورها في الصراع العربي الصهيوني:

الصحافة الفلسطينية قبل النكبة جاهدت الاستعمار البريطاني وكشفت مخططاته في هجرة اليهود، فانبرت تحرّض المواطنين على الجهاد ورفض أنواع التقسيم كافة، والصحف الإسلامية سارت على الطريق نفسه بالإضافة إلى إبراز مكانة فلسطين في العالم الإسلامي، وإلى دور اليهود التآمري على المسلمين وإلى دعوة الناس إلى التمسك بالدين الإسلامي والعمل به، وبيان الحكم الشرعي في التعامل مع اليهود أو غيرهم من أعداء البلاد، مما اضطر الحكومة البريطانية إلى إغلاق بعض الصحف فترات عديدة عقوبة لها على نشر بعض الأخبار أو التحليلات التي لا تروق لها[٧].

بعد نكبة ١٩٤٨م:

حل ما حل بالبلاد من ضياع وتشرد، وتفرق الصحفيون والكتاب إلى البلاد العربية المجاورة، وتأخر صدور الصحف الإسلامية كثيرا، وسبقتها الصحف الأخرى في الصدور، **ويمكن تقسيم الصحافة الإسلامية بعد النكبة إلى قسمين:**

(١) صحافة الخارج.

(٢) صحافة الداخل.

(١) صحافة الخارج:

تأخر صدورها لأسباب عديدة منها الضياع والتشرد وعدم الاستقرار في بادئ الأمر، بالإضافة إلى عدم وجود الإمكانات المادية لصدور صحيفة مستقلة، ولكن الصحفيين الإسلاميين عملوا في الصحف الأخرى، وقد أدمجت بعض الصحف مع صحف أخرى كما حدث في الأردن.


الحاج أمين الحسيني

وأول صحيفة صدرت بعد النكبة هي نشرة «فلسطين» التي أصدرتها الهيئة العربية العليا لفلسطين في بيروت عام «١٩٦١م» وكانت شهرية ـ لسان حال الهيئة ـ **يشرف على سياستها مفتي فلسطين الحاج أمين الحسيني،** وتعد من أهم الصحف التي عُنِيَت بالصراع العربي الصهيوني من منظور إسلامي، وحفلت بالدراسات والأبحاث والأخبار المتعلقة بفلسطين. وهي نشرة قيمة **تستحق الدراسة والعناية.**

إلى جانب نشرة «فلسطين» لم يكن هناك أي صحيفة إسلامية فلسطينية متخصصة من جانب الفلسطينيين، وحُقَّ لبعض الباحثين أن يقول: «ولا توجد مجلة إسلامية تعبر عن الفلسطينيين»[٩] عندما تحدث عن الصحافة الإسلامية المعاصرة، والمتتبع لصدور الدوريات الفلسطينية حتى عام ١٩٧٩م لا يرى صحيفة إسلامية غير نشرة «فلسطين». ومع وجود عشرات الدوريات الفلسطينية!! ولكن تلك الدوريات صدرت أو ما زالت تصدر عن مؤسسات رسمية، وقد أهملت هذه المؤسسات إصدار أي دورية إسلامية، إضافة إلى خلو أي من دورياتهم مِنْ مقالة أو خبر إسلامي... والسبب في ذلك سيطرة العلمانيين على المؤسسات الإعلامية الرسمية جميعها.

وفي عام ١٩٧٩م انطلقت جهود بعض الأفراد والاتحادات الطلابية الفلسطينية في المهجر، الغيورين على أسلمة القضية الفلسطينية، وبجهودهم المتواضعة صدرت صحف عديدة تعتبر ثروة عظيمة غطت التقصير الذي حصل قبل هذا التاريخ. وهذه الدوريات حسب تاريخ صدورها كالآتي:

١ ــ **«أرض الإسراء»** ★ مجلة شهرية فكرية **صدرت في عمان عام ١٩٧٩م** من مكتب المؤتمر الإسلامي العام لبيت المقدس.

٢ ــ **«القدس»** مجلة شهرية **صدرت في بيروت عام ١٩٨٠م** عن دار الأقصى للنشر والإعلام الإسلامي.

٣ ــ **«فلسطين المسلمة»** مجلة تصدر كل شهرين ثم صدرت شهرية منذ عام ١٩٩٠م **صدرت في مانشستر ببريطانيا** عن الرابطة الإسلامية للشباب الفلسطيني وتعتبر من أرقى المجلات شكلا ومضمونا.

٤ ـ **«القدس الشريف»** ★ مجلة شهرية **تصدرها أمانة القدس في عمان، صدرت عام ١٩٨٦م.**

٥ ـ **«نداء القدس»** ★ نشرة غير دورية تُعنى بشؤون المقدسات الإسلامية. بفلسطين وباللغتين



من كتّاب العدد



□ **خليل محمود الصمادي**

□ من مواليد دمشق عام ١٩٥٧م.

□ تأهل من دار المعلمين العامة بدمشق عام ١٩٧٦م.

□ تخرج في قسم الآداب (لغة عربية) عام ١٩٨٤م من جامعة دمشق.

□ مدرس اللغة العربية في مدارس الملك فيصل بالرياض.

العربية والإنجليزية صدرت في عمان عام ١٩٨٧م عن مكتب المؤتمر الإسلامي العام لبيت المقدس.

٦ - «**الإسلام وفلسطين**»★ نشرة غير دورية، ثم شهرية، **صدرت في ليماسول بقبرص عام ١٩٨٨م**، وجاء في افتتاحية النشرة للعدد الأول: «وهذه النشرة من عددها الأول ستكرّس من أجل قضية الإسلام وفلسطين...»

٧ - «**السبيل**» ★ نشرة شهرية **تصدر عن دار الإسراء للطباعة والنشر بأوسلو - النرويج عام ١٩٨٩م**.

٨ - «**المجاهد**» نشرة أسبوعية **تصدر عن حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين «فرع لبنان» في عام ١٩٨٩م**، وتتناول آخر أخبار الانتفاضة من منظور إسلامي.

٩ - «**النفير**»★ مجلة شهرية **تصدر عن اللجنة المركزية لحركة الجهاد الإسلامي «بيت المقدس»، صدر العدد صفر في ١/ ١٠/ ١٩٨٩م بأسبانيا**.

١٠ - «**الزيتونة**» ★ صحيفة نصف شهرية **تصدر عن الاتحاد الإسلامي لفلسطين في أمريكا الشمالية، وصدر العدد الأول في ١٢/ ٤/ ١٩٦١م**.

(٢) صحف الداخل:

برغم الإجراءات التعسفية بحق الشعب الفلسطيني في الأرض المحتلة، فقد صدرت بعض الصحف الإسلامية تعبر بصراحة عن رفض الاحتلال اليهودي لأرض فلسطين، وهي حسب تواريخ صدورها:

١ - : «**هدي الإسلام**» مجلة ثقافية شهرية **صدرت في القدس عام ١٩٨٢م**[٨]، تُعنى بالمقدسات الإسلامية في فلسطين.

٢ - «**الصراط**»★ صحيفة شهرية لسان حال الحركة الإسلامية في فلسطين ١٩٤٨م **صدرت في «أم الفحم» في عام ١٩٨٦م**، وهي تشق طريقا شاقا بسبب الحصار والتضييق والإغلاق التي تتعرض لها من قِبَل سلطات الاحتلال.

٣ - «**صوت الحق والحرية**» ★ صحيفة أسبوعية لسان حال الحركة الإسلامية **صدرت أيضا في «أم الفحم» في ١٣/ ٨/ ١٩٨٩م**، وهي من أهم الصحف هناك، ومتميزة بالجرأة في الخبر السياسي، إذ إنها تفضح مخططات اليهود التعسفية وتدافع عن الشعب الفلسطيني في انتفاضته العادلة.

أغلقت من قِبَل وزير الداخلية الإسرائيلي ثلاثة شهور بتهمة معاداة السّاميّة، ومنعت من دخول الضفة وغزة بحجة نشر المواد التحريضية، وقد سُجن العديد من الشبان في الضفة وغزة ممن كانت لديهم بعض النسخ من هذه الصحيفة[١٠]!!،

ويشرف على الصحيفتين الأخيرتين رئيس بلدية» أم الفحم رائد صلاح.

٤ - «**صوت الأقصى**» ★ نشرة دورية **تصدرها «حماس» تأسست عام ١٩٩٠م** وهي زاخرة بالمواضيع والتحليلات المتعلقة بمستجدات الأمور على الساحة الفلسطينية من وجهة نظر الحركة.

هذه هي الدوريات الإسلامية الفلسطينية التي استطعت رصدها منذ بداية الصحافة في فلسطين، والمتتبع لبداية صدور الدوريات المعاصرة يجد أن معظمها صدر بعد انطلاقة الانتفاضة، مما يدل على إسلامية الانتفاضة؛ إذ إن تلك الدوريات صارت لسان حال الانتفاضة، ويدل ذلك أيضا على اهتمام القارئ الفلسطيني بالحل الإسلامي لقضية فلسطين، والذي لم يجد أمامه في فترة من الزمن إلا الدوريات والمطبوعات ذات الميول العلمانية واليسارية المدعومة من قبل المؤسسات الرسمية الفلسطينية التي فشلت في إيجاد اهتمام للشباب الفلسطيني بأطروحاتها التي صعب ترجمتها على أرض الواقع.

«دوريات متعددة صدرت لتكون لسان حال الانتفاضة»



الهوامش

(١): عواطف عبد الرحمن، **دراسات في الصحافة المصرية والعربية**، القاهرة - دار الثقافة ١٩٨٧م.

(٢): أديب مروة، **الصحافة العربية نشأتها وتطورها**، بيروت، دار مكتبة الحياة، ١٩٦١م.

و: فيليب دي طرازي، **تاريخ الصحافة العربية**، بيروت، المطبعة الأميرية. ١٩٣٣م.

(٣): يوسف خوري: **الصحافة العربية في فلسطين** (١٩٤٨ - ١٩٧٦) - بيروت - مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٧٦م.

(٤): صدرت صحيفتان بالاسم نفسه قبل ذلك التاريخ وكانتا رسميتين.

(٥): أحمد خليل العقاد، **الصحافة العربية في فلسطين**، دمشق، دار العروبة ١٩٦٧م.

(٦): فيليب دي طرازي ١٩٢٥م، يوسف خوري ١٠/ ١٠/ ١٩٣٣م، أحمد خليل العقاد ١٢/ ٩/ ١٩٢٤م والصحيح الأخير.

(٧): يوسف خوري، راجع قوانين الرقابة على المطبوعات.

(٨): علي أحمد عبد الله، **واقع الصحافة الفلسطينية في الضفة والقطاع**، منظمة التحرير ١٩٨٩م.

(٩): د. عبد الحليم عويس، «الصحافة الإسلامية حاضرا ومستقبلا»، **مجلة الفيصل**، العدد ١٩، محرم ١٣٩٩هـ.

(١٠): مجلة فلسطين المسلمة، العدد ٦، محرم ١٤١٠هـ/ والعدد ٤، ذو القعدة ١٤١٠هـ.

★ : مازالت تصدر.

محافظ خزانة جامعة القرويين :

المستشرقون خدموا تراثنا .. ولكن !

حاوره : أحمد المكينسي

هذه الخزانة ـ خزانة جامعة القرويين ـ عامرة بكنوزها التراثية و إشعاعاتها الفكرية ، عنها أخذ الأوروبيون أرقامهم العددية ، وعرفوا علما ويقينا منذ قرون عدة. تعد إحدى ركائز مدينة فاس العامرة ، هذه المدينة التي كان تأسيسها الأساس الأول لصرح الحضارة المغربية العريقة ، وخصوصا عندما بدأت تأخذ طابعها العلمي الذي برز عند بناء جامع القرويين الذي قام بدور هام في التطوير الثقافي ونشر اللغة العربية وبث الوعي الإسلامي .

وقد ظلت هذه الجامعة تقوم بمهمتها التعليمية إلى يومنا هذا، فجمعت بين العبادة والتثقيف والتعليم . كما أن خزانتها العلمية تعتبر من أقدم وأغنى المكتبات العامة بالمغرب ، لما تضمه من نوادر مهمة من التراث العربي والإسلامي .

عن القرويين وخزانتها كان اللقاء مع علم من أعلام التربية والفكر في المغرب هو الأستاذ محمد عبد العزيز الدباغ محافظ خزانة القرويين .



الدباغ في سطور

- من مواليد فاس عام ١٩٢٨م
- تخرّج في القسم الأدبي بجامعة القرويين عام ١٩٥٧م .
- تخرّج في المعهد التربوي بالرباط عام ١٩٥٨م
- اشتغل بالتدريس في التعليم الثانوي والجامعي، ويقدم حتى الآن دروسا في علم العروض بكلية الآداب في جامعة فاس . وله كتاب مشهور في هذا المجال .
- له كتابات صحفية في : العلم ورسالة المغرب ودعوة الحق ودراسات أدبية وفلسفية والرسالة التربوية والارشاد،



جامعة القرويين

● **من خلال مهمتكم محافظاً لمكتبة جامعة القرويين بفاس ، نرجو أن تحدثونا عن الدور الثقافي الذي قامت به هذه الجامعة عبر العصور؟**

□ ارتبطت جامعة القرويين في تاريخ المغرب بالنشاط العلمي والفكري وبمسايرة التطورات الاجتماعية في الحضارة المغربية المتفتحة التي كانت تستمد استمراريتها من التوازن بين طبيعة الوجود المغربي الذاتي وطبيعة الوافدين عليه من المشرق ومن بلادالأندلس .

ومعنى هذا أن الدور الثقافي الذي أدته هذه

الجامعة عبر العصور كان دورًا إيجابيًا يحمي الثقافة من الانهيار، ويبعد عنها العبثية، ويحفظها من الضحالة والجمود، ويجعلها قابلة للأخذ والعطاء، ومن ثم أصبحت هذه الجامعة رمزًا للتواصل الإسلامي عبر القارات تستورد ما جَدَّ من المعارف وتصدر ما بلغت إليه من الاجتهادات، فكانت بسبب ذلك خير رابط يربط بين المسلمين في مختلف بقاع الأرض.

وساعد على ذلك كونها توجد في **مدينة فاس العتيقة التي أسسها المولى إدريس الثاني** فجعلها مركزًا دينيًا وسياسيًا، ولقد وفد عليه حين تأسيسها عدد من سكان المغرب وسكان الأندلس وسكان أفريقية وبعض أنصاره من المشرق العربي، وتكونت من هذه الفئات اللبنة الأولى لتكوين مدينة استمدت عناصر وجودها من الهيئات العلمية والصناعية التي تمثل مختلف القبائل والأسر والاتجاهات.

ولقد تكررت الهجرات إلى مدينة فاس وتعددت منذ تأسيسها، وأصبحت مأوى لعدد من المهاجرين من القيروان والأندلس، **وكان من بين الوافدين عليها في القرن الثالث الهجري أسرة من القيروان مات عائلها فخلف ابنتين اثنتين إحداهما تسمى «مريم» والأخرى تسمى «فاطمة الفهرية»، فورثتا عنه مالاً حلالاً بنت به الأولى جامع الأندلس بمدينة فاس، وبنت به الثانية جامع القرويين.** ولقد اشتهر هذا الجامع الثاني شهرة كبيرة منذ تأسيسه وأصبح مركزًا للدراسة ومحل إشعاع علمي؛ كان نشاطه يزيد كلما زادت المدينة اتساعًا، وشهرته تعم كلما انتقل أحد علمائه إلى الخارج أو كلما رجع بعض الطلبة الذين استفادوا منه إلى مراكزهم التي أتوا منها.

ومن ثم أصبحت جامعة القرويين محل إشعاع علمي، ومركزًا للوحدة الفكرية والدينية قربت بين القبائل المتساكنة في المغرب، وقربت بين الدول المتجاورة وربطت بين المسلمين في كل مكان، خصوصًا حينما كان المغاربة يتوجهون إلى البقاع المقدسة، فينقلون معرفتهم، أو حينما يدونون ما شهدوه في رحلاتهم وما استفادوه من مختلف العلماء في الشرق. ولقد استفاد العالم من النشاط العلمي الذي عرفته هذه الجامعة خصوصًا بعد أن أضيفت إليها بعض المدارس التابعة لها؛ **ولم يقتصر هذا النشاط على الجانب الفقهي أو الأدبي، بل كانت هناك اهتمامات بالعلوم الرياضية والفلكية حتى إن بعض المؤرخين كانوا يقولون إن أوربا لم تنقل الأرقام العددية المستعملة عندها حتى الآن إلا بواسطة هذه الجامعة وبواسطة جامعة قرطبة حينما درس جربرت Gerbert المعروف بالبابا سيلفستر Sylvester بمدينة فاس وقرطبة.** وعلى كل حال فإن فضل هذه الجامعة في هذا الباب معروف ومتداول، وهو ليس وليد طائفة معينة ولكنه وليد تعاون كامل بين مختلف الهيئات الإسلامية التي أسهمت بدورها الفعال في تنمية المعرفة بهذه الجامعة.

> ”هذه الجامعة رمز للتواصل الثقافي والإسلامي عبر القارات“

خزانة القرويين

● تعتبر مكتبة القرويين أقدم وأغنى مكتبة علمية عامة بالمغرب لأنها تضم نوادر مهمة من التراث العربي والإسلامي. كيف نمّا رَصيدُها العلمي من أمهات المراجع والمصادر؟

☐ تضم خزانة القرويين عددًا كبيرًا من نوادر المخطوطات، وقد تنفرد أحيانًا ببعض هذه النوادر في مختلف العلوم والفنون مثل **الأرجوزة الطبية** التي نظمها **ابن طفيل** في أكثر من سبعة آلاف بيت، **وسيرة أبي إسحق الفزاري** التي نسخت عام سبعين ومائتين من الهجرة زيادة على بعض الكتب التي صادق عليها مؤلفوها أو قوبلت على نسخ المؤلفين ومن ذلك مثلاً **بعض الأجزاء من تاريخ ابن خلدون التي تزدان صفحة من بعض أجزائها بوثيقة التحبيس على الخزانة وعليها توقيع ابن خلدون بخط يده.** ولسائل أن يسأل كيف كانت تصل هذه الكتب إلى الخزانة، وكيف ظلت محفوظة بها إلى الآن. إن السبب في ذلك راجع إلى الاهتمام الذي كان يوليه المغاربة للثقافة عمومًا، وللثقافة الدينية خصوصًا وإلى حرصهم المتواصل على تزويد الخزانات العلمية بما ينتجونه أو بما ينتجه غيرهم من رجال الفكر في العالم الإسلامي. وكانت العادة السائدة أن المسؤولين عن تسيير البلاد من الناحية السياسية كانوا لا يهملون الجانب الثقافي أيضًا، لذلك يقدمون الهدايا النفيسة إلى الخزانات العامة، ويعملون على إثرائها بما ندر من الكتب وما جل من الوثائق، وما تزال توقيعاتهم إلى الآن خالدة تبرز هذا الجانب الهام من تاريخهم واهتمامهم، فمن توقيعات **أبي عنان المريني** إلى توقيعات **أحمد المنصور السعدي** إلى توقيعات **الملوك العلويين** الذين حرصوا على تنظيمها من جديد وعلى تزويدها بما جَدَّ من المطبوعات الهامة بعد **إحداث المطبعة الفاسية على عهد السلطان عبد الرحمن وولده السلطان محمد رحمهما الله.** ومن المعلوم أن إحداث المطبعة الفاسية أدى إلى ازدهار الحركة العلمية ببلادنا ودفع عددًا من العلماء الأبرار إلى نشر الكتب وتحقيقها، وإلى نشر مختلف موادها سواء كانت من التأليف المحلي أو من التأليف الخارجي، وكانوا يزودون الخزانة بما يحققون وينشرون، ومن ثم أصبحت تلك الكتب من أهم النفائس التي تضم الخزانة منها عددًا لا يستهان به.

ولعلنا لا نكون من المغالين إذا قلنا إن بعض هذه الكتب المطبوعة طبعة حجرية تكاد تدخل في إطار المخطوطات سواء من حيث أهميتها أو من حيث ندرتها، ولهذا فهي تحتاج إلى إعادة نشرها على شكل جديد يسهل الاستفادة منها ويقرب مضامينها إلى الراغبين في المعرفة.

ومن المظاهر الإحسانية التي كان يتسابق إليها المواطنون المغاربة وَقْفُ الكتب على الخزانات وتيسير

نبحث عن حل يحمي ثقافتنا من الانهيار ويُبعد عنها العبثية ويحفظها من الجمود والضحالة

العلم للطلبة الذين لا يمكن نجاحهم دون وجود الكتب الكافية بين أيديهم. وتضم خزانة القرويين رصيدًا من هاته الكتب المُحَبَّسَة التي تنص على أن تحبيسها معد للقراءة والمطالعة والنسخ والمقابلة، وماذلك إلا دليل عملي على الشعور بالمسؤولية الفكرية المشتركة التي لا تنجح أمة من الأمم إلا إذا شاعت بين أفرادها وعمت بين مختلف هيئاتها.

التراث المخطوط

● كان للمغرب تراث فكري يتمثل في الثقافة العربية والإسلامية التي حملت لواءها جامعة القرويين والمعاهد الإسلامية في مختلف أنحاء المغرب، إلا أن هذا التراث لا يزال حتى الآن مخطوطًا في جملته، ولم ينشر منه إلا القليل، بم تعللون ذلك؟

□ التراث الفكري المغربي ليس ملكًا للمغرب وحده، وإنما هو ملك للمسلمين جميعًا في كل مكان، وملك لكل الراغبين في معرفة الدور المهم الذي قام به المغاربة في ميدان النشاط العلمي، سواء كان متصلاً بالفقه أو بالأدب أو بالعلوم الرياضية والفلكية. ومن المعلوم أن المعاهد الإسلامية المغربية قد أسهمت في إثراء هذا الفكر وعملت على تعهده وتنميته خصوصًا بعد الامتزاج الذي حصل بين المغرب والأندلس أيام المرابطين والموحدين والمرينيين. ولقد كانت النهضة العلمية منتشرة في مختلف الأقاليم، وكانت الأسر التي اشتهرت بالعلم حريصة على جمع الكتب وعلى دراستها وعلى إبقائها لمن يأتي بعدها فتكونت بسبب ذلك خزانات خاصة ورثها الخلف عن السلف، وظلت إلى الآن بعض تلك الكتب محفوظة عند بعض الأسر يحتفظون بها ويعتبرونها صورة لأمجادهم واستمرارًا لوجودهم. ورغم ذلك فقد استطاعت بعض الوسائل الإعلامية أن تتعرف على عدد من هاته الكتب والوثائق وأن تشير إليها في بعض الكشوف البيبليوغرافية التي تتحدث عن المخطوطات المغربية، وأدى الاطلاع عليها إلى وجود حركة علمية عاملة على التعريف بهذه الكتب وحريصة على نشرها وتحقيقها.

وبالفعل فإن جهودًا متواصلة بذلتها هيئات علمية وهيئات مسؤولة عن الجانب الثقافي في بلادنا من أجل نشر بعض هاته الكتب التي تعتبر صورة لحضارتنا في واجهاتها المختلفة، ولكن تلك الأعمال



قراءة القرآن الكريم في المسجد

إذا قورنت بما يجب أن يكون نجدها غير كافية ولا موفية بالمقصود.

هذا وإن كثيرًا من الذين لهم غيرة على التراث يعزون هذا القصور إلى إهمال الناشرين وتقاعسهم عن القيام بالواجب، لكن هؤلاء يقولون إن العيب ليس عيبنا، وإن القصور لسنا بمسؤولين عنه، بل إن من أسبابه الرئيسة عدم وجود سوق مستهلكة لما ينشر لأن الاهتمام الثقافي المعاصر طغى على الاهتمام الثقافي الأصيل، وهذا أمر ليس له حل إلا بوضع مخطط توجيهي تتولى تعهده هيئات تربوية مخلصة ترمي فيما ترمي إليه، إلى إيجاد جيل لا ينغلق على الثقافة المعاصرة ولكنه في الوقت ذاته لا يهمل الأصالة بكل أبعادها، خصوصًا وأن في التراث ما يصلح لتهذيب النفوس وتربية الروح وتنمية العقل وتقويم اللسان. إن رأيهم هذا قد يكون مقبولاً في بعض جوانبه، ولذلك يجب أن نتعاون ـــ نحن المثقفين ـ على رفع مستوى الوعي بالمسؤولية الثقافية على صعيد الوطن العربي لنخرج هذا التراث من حدوده الإقليمية وليصبح في متناول كل المحتاجين إليه، ولا يتم ذلك إلا بدراسته والتعريف به وبقيمته في الميدان الحضاري والعلمي وفي الميدان التاريخي، لأننا بهذه العملية التعريفية سنضعه في مجال النقد ونبيّن ماله وما عليه، وطالما دعوت إلى هاته الفكرة في مقالات نشرتها وفي أحاديث أذعتها، **لأن المشكلة الحقيقية لا تكمن في الجهل العفوي ولكنها تتجلى في الكسل العقلي من الذين لهم القدرة على إبراز قيمة الأشياء النافعة ثم لا يفعلون**. ولعلنا إذا قمنا بذلك فسوف نيسر سبيل النشر لكثير من المخطوطات القيمة التي تنتظر همة العلماء، ومغامرة أصحاب النشر والتوزيع.



ساحة الوضوء في القرويين

إنقاذ التراث

● ما الوسائل التي يمكن اتخاذها من أجل إنقاذ التراث المغربي المبعثر في الخزائن العامة والخاصة؟

□ ينبغي قبل البحث عن الوسائل التي يمكن اتخاذها من أجل إنقاذ التراث المغربي المبعثر في خزائننا العامة والخاصة تهيئة مناخ ثقافي عام يبيّن قيمة التراث وأهميته في إقرار الوجود الحضاري لأمتنا العربية والإسلامية مع إبراز الدور الهام الذي

قام به المغرب في تحصين الفكر وحمايته عبر العصور المختلفة، ولا يتيسر ذلك إلا بإعداد منهاج تعليمي شامل يهتم باللغة العربية من جهة وبالمواد العلمية المعاصرة من جهة أخرى ليستطيع الذين يقومون بنشر التراث وبالبحث عنه أن يوازنوا بين محتوياته من الوجهة التاريخية وما هو عليه واقع العلم الحديث، وأن يجعلوه مثارًا للدراسة والنقد والمقابلة والموازنة، وحافزًا على تتبع المسيرة الحضارية التي كان المغرب أحد روادها العظام نظرًا لوضعيته الجغرافية، ولروابطه التاريخية الحية القائمة على التلاقح الفكري بين طبيعته وطبيعة الثقافة الوافدة عليه من مختلف الآفاق، فإذا قمنا نحن بذلك سهل علينا حينئذ تحديد الوسائل التي يمكن اتخاذها لإنقاذ هذا التراث. ويمكن عدها عدًا تقريبيًا فيما يأتي:

أولاً: تُهيَّأ لجان إحصائية تابعة لوزارة الثقافة تقوم بإحصاء المخطوطات والوثائق وتساعدها في ذلك جميع الهيئات المهتمة بالفكر.

ثانيًا: نشر وعي كامل بين المواطنين كي لا يبخلوا على اللجان السابقة بما عندهم، مع العلم أن من يملك شيئًا لا ينزع منه، وإنما يساعد فقط على تقديم صورة منه للمسؤولين ليضعوه في فهارس سهلة الاستعمال وليحفظوه من الضياع وليقدموه لأصحاب البحث متى شاءوا ذلك.

ثالثًا: تكوين لجان علمية تعمل على إخراج بعض المخطوطات القيمة إخراجًا سليمًا من الأخطاء بعيدًا عن التحريف والتصحيف.

رابعًا: ربط التواصل الكامل بين الهيئات المكلفة بحفظ التراث داخل البلاد والهيئات المكلفة بالسهر على المخطوطات في العالم سعيًا نحو إيجاد تعاون متبادل يؤدي إلى إنقاذ ما يمكن إنقاذه من الكتب المتلاشية أو الكتب المبتورة.

خامسًا: الحرص على عملية **الترميم** والاستنساخ لما يتعذر تصويره أو تداوله.

سادسًا: إدخال العناصر **التقنية الحديثة في** ميدان الإعلام والتوثيق واستغلال كل ما يتعلق بذلك.

سابعًا: تشجيع الأبحاث والدراسات الجامعية تحت رعاية الأساتذة المختصين ومساعدة مراكز البحث العلمي في العالم العربي.

ومن المعلوم أن **وزارة الثقافة في المملكة المغربية** قد أعدت تصميمًا أوليا لتحقيق بعض هذه الوسائل بدأته في يناير سنة ١٩٨٣م بتعقيم الكتب وتطهيرها استعدادًا للترميم والتصوير وتهيئة لجان البحث العلمي.

> ” أوروبا أخذت من هنا الأرقام العددية التي تستعملها.. “

دور المستشرقين

● **لا يخفى على أحد أن المستشرقين بذلوا جهودًا كبيرة في تحقيق أمهات المخطوطات وعلقوا على كثير منها، وفهرسوا العديد من المصادر العربية. ما موقفكم من هؤلاء المستشرقين؟ ومن هو المحقق في نظركم؟**

□ إن المستشرقين أدوا دورًا مهمًا في تدوين التراث العربي وإحيائه وفي تحقيقه ونشره، وقد أنجز الكثير منهم أعمالاً قيمة أدت إلى وضع بيبليوغرافيات أو إلى دراسات عامة لأهم المصادر التي تبرز الجوانب العلمية والأدبية والفلسفية في حضارتنا الإسلامية. وإن المجهودات التي قاموا بها سواء كانت تهدف إلى أغراض نزيهة أو كانت تهدف إلى تحقيق مصالح خاصة بهم وبشعوبهم، فإنها من الناحية العملية كانت في الغالب تسير وفق خطة توضيحية تجمع بين دقة التحليل وبراعة التبويب وجمال التصنيف.

هذا مع العلم بأن بعض أبحاثهم وأعمالهم كانت مبنية على مغالطات وتضليلات ولكنها رغم ذلك كانت تفتح أمام الإنسان العربي المسلم الواعي مجالاً للبحث والمقارنة والنقد والمواجهة، فليس هناك أخطر من الفراغ ومن الانسحاب عن المواجهة الفكرية.

حقيقة أن هناك بعض النظريات التي وصلت إلى العالم العربي عن طريق المستشرقين فأدَّت إلى وجود بلبلة فكرية وتسببت في زعزعة الإيمان ببعض المسلّمات، ولكن العيب هنا لا يعود إلى موقف المستشرقين بمقدار ما يعود إلى الذين كانت في نفوسهم استعدادات لقبولها أو إلى الذين تركوا الفراغ للشعوب الإسلامية فلم يعملوا على إبعاد شبح الغزو الأجنبي عنها سواء كان في العقيدة أو السياسة أو في الاقتصاد.

إن التعاون أصبح شعارًا للتقدم العلمي، وإن تبادل وجهات النظر لما يساعد على التواصل بين المفكرين في كل مكان، ولهذا نرى أن المستشرقين اليوم لم يعودوا قادرين على تشويه الحقائق وتزييفها اللهم إلا من كان منهم يعمل من أجل مصلحة استعمارية خاصة، فأولئك لا يستطيعون أن ينجحوا في أعمالهم إذا تصدت لهم قوة إسلامية تسهر على نشر أصول الدين وقواعد الإيمان، وتعرف بالحقائق التي أنكرها أولئك وتبيّن الجوانب التي أهملوها سواء عن طريق النشر والتأليف أو عن طريق الوسائل الإعلامية الحديثة؛ **فليست المشكلة الآن مشكلة تراث ينشر أو يقبر، وإنما المشكلة مشكلة سلوك عملي يبلور المفهوم الثقافي عند الأمم الإسلامية، وهو الذي في استطاعته أن يوجه المستشرقين توجيهًا قسريًا إلى البحث النزيه وإلى العمل على إحياء التراث العربي** لأنه تراث حضاري مشترك يعين على التقدم ويدفع إلى الأمام بكل حزم ونشاط. فليست قيمة إحيائه في إخراجه إخراجًا سلبيًا أو في الوقوف أمامه مشدوهين به



منارة جامع القرويين

مربوطين إليه معتزين بنصوصه كيفما كانت وضعيتها، وإنما قيمته في دراسته ونقده وإبراز جوانبه الإيجابية والسلبية، ولعل بعض المحققين قد يقومون بذلك إذا تيسر لهم الأمر، فإن لم يتيسر لهم، فهم على الأقل يسعون في تقديم النصوص سليمة من الأخطاء، وسيجعلونها في يد الدارسين والنقاد الذين سيتولّون ما ذكرناه. ولهذا فإن مهمة المحقق تختلف باختلاف كفاءته وقدرته، وهو إذا سُمِح له بألا يقوم بالنقد والتحليل فلن يُسْمح له إذا أخل بسلامة النص وصحةوضعه اللغوي والبياني.

الإسهام الفكري

● **أسهمتم في الحركة الفكرية بالمغرب، وذلك بأبحاثكم ودراستكم في ميدان التربية والأدب، فما الجانب الذي تعتقدون أنكم وفيتم حقه من البحث والدراسة؟**

> «يتسابق المغاربة على "وقف" الكتب للخزانات العامة وتيسير العلم لطلابه»

□ لقد جعلني هذا السؤال أجول في ماضي إنتاجي وحاضره، ودفعني إلى أن استعيد جلّ الجوانب التي أسهمت بها في ميدان الفكر والأدب سواء فيما نشرت أو فيما أذعتُ، وأن أقوّمها وأضعها في ميدان النقد الذاتي عساني بذلك أن أعرف بنفسي هل وفيت جانبًا من هذه الجوانب حقه من البحث والدراسة أم أن الأمر لا يتعدى خطرات فكرية وأدبية ما تزال تحتاج إلى مواصلة الدرس والبحث؟

أظن أن إسهامي الفكري لا يختص بموضوع معين بمقدار ما يتسم بموقف حضاري معين، ذلك أن الموضوع يمكن أن يتعدد بتعدد الحوافز وأن يتنوع بتنوع الظروف، ولكن الموقف قائم على أصول ثابتة وعلى أهداف معينة كلها ترتبط بإظهار الإشعاع الحضاري الذي تمتاز به قيمنا الإسلامية وثقافتنا العربية.

فالإسهامات الإيجابية كانت تحتاج إلى إبراز الدور الإيجابي الذي أسهم به المسلمون عبر التاريخ، وإلى شرح الأصول التي بني عليها الفكر الإسلامي، وإلى المجهود العظيم الذي بذله المغرب لحماية الكيان الإسلامي أثناء مواجهة الغزو الأجنبي سواء في بلاد **الأندلس** أو في بعض بلدان **أفريقيا** أو في غير ذلك من البلدان الإسلامية. إن هذا المحور هو الذي جعلته ركيزة موضوعاتي التي أسهمت بها في ميدان الفكر والأدب، وهو الذي استأثر بمجهودي في جل ما أنتجت؛ الشيء الذي جعلني أعتني به أكثر من العناية بالاختصاص الموضوعي الضيق. ولعل هذا الالتزام بالمحور المذكور مع اختلاف الموضوعات وتعددها لم يكن لي سبيل من الانفكاك عنه نظرًا لإسهامي في ميدان التعليم في حقبة كان المغرب يحتاج فيها إلى إظهار موقف واضح من الحياة والثقافة في خضم الصراع الحضاري، وإلى اختيار سليم نعوض به ما كان عليه الحال فيما قبل عهد الاستقلال.

والظاهر أن الكاتب الذي يمثل الجيل المخضرم بين عهد الحجر والحماية وعهد الاستقلال إذا استطاع أن يرسم هاته الطريق أمام الجيل الحاضر فسيكون قد أدى نصيبًا من واجبه سواء تعمق في دراسة بعض المضوعات فوفاها حقها من الدراسة والتحليل أو تطرق إليها تطرقًا عابرًا فقط؛ لأن العبرة بالكيف لا بالكم، ولأن القيمة مرتبطة بمدى التأثير العملي لا بالقول في حد ذاته، ورحم الله **الحسن البصري** الذي يقول: «**إن الكلمة إذا صدرت من القلب بلغت القلب، وإذا صدرت من اللسان فإنها لا تتجاوز الآذان**».



في مكتبة القرويين

الحركة الأدبية في المغرب

● ما رأيكم في الحركة الأدبية المعاصرة في المغرب؟

□ في المغرب نشاط أدبي نسبي يساير التيارات الفكرية على اختلاف اتجاهاتها ويستمد وجوده من المدارس الأدبية المتنوعة سواء من حيث الأدب **الإنشائي أو الأدب الوصفي**، فليس هناك انفصال في المجرى الفكري العالمي نظرًا للتواصل الحضاري وللانفتاح على الثقافة المعاصرة عربية كانت أو غيرها. وقد برزت آثار هذا النشاط على صفحات المجلات المغربية وغيرها، وتجلت ملامحه في جل الفنون سواء كانت وليدة المناهج الحديثة أو كانت مسايرة للمناهج القديمة، والسبب في ذلك تعدد الروافد التي يستقي منها الأدب وجوده، فهناك روافد قديمة تقتصر على الجوانب التقليدية المحضة، وهناك روافد أجنبية جعلت بعض الأدباء يتأثرون بالمدارس الحديثة شكلاً ومضمونًا، وهناك من مزج بين الاتجاهين فكان أدبه معبرًا عن تطلعات مستقبلية محضة بالرأي الأصيل وبالتراث النافع. وليس للقارئ النزيه إلا أن يعتبر وجود هذه التيارات أمرًا طبيعيًا تدعو إليه ضرورة التطور، وتقضي به أحوال التدرج الحضاري، ولهذا ينبغي أن تواكب هذه التيارات الأدبية اتجاهات نقدية تؤرخ لمراحل الأدب المغربي وتفسر أبعاده. وإذا كان هذا الأدب قد وجد في مراحله السابقة من يؤرخ له

> ”مشكلتنا تكمن في الوسائل التي تشيع الكسل العقلي كالتلفاز والفيديو!“

كالأستاذ عبد الله كنون في كتابه «النبوغ المغربي» فإنه في وضعه الحالي يحتاج أيضًا إلى دراسة نقدية وإلى ضم شتات ما كتب عنه في بحث مستقل، يُقتبس من الأبحاث المنشورة في المجالات المغربية والمشرقية، أو من الأبحاث المنجزة في رحاب الجامعات المغربية.

ومن المؤسف أن هذا النشاط الأدبي الذي ذكرناه إنما يقتصر على فئة قليلة لا تتعدى بعض المثقفين الواعين الذين يحرصون على المعرفة ويتتبعون سبلها؛ أما إذا وازنّا بين هذا النشاط ومن أصيبوا بالعقم الاستهلاكي فإننا سنرى أن عددهم كثير جدًا نظرًا لأنهم لم يتعودوا المطالعة، ولم يستأنسوا بالقراءة خصوصًا بعد مزاحمة بعض الوسائل الإغرائية التي تعين على الكسل العقلي كالتلفزيون والفيديو فإنها أضاعا الكتاب وأزالا جزءًا من هيبته، وهذا هو السبب الذي جعلنا نذكر مرارًا أن لوسائل الإعلام المسموعة والمرئية الأثر الكبير في توجيه الرأي العام وفي التأثير على السامعين.

● للمثقف العربي مسؤولية كبرى تفرض عليه العمل في صلب المجتمع الذي ينتمي إليه حتى يكون جديرًا بعروبته. فهل يقوم المثقف المغربي في نظركم بدوره المنوط به؟

□ إن المثقف المغربي يعيش أحداثًا جسامًا تدفعه بالضرورة إلى البحث عن أساسها وعن حلولها، فلا انفصام بين وجوده ووجود هذه الأحداث الجسام. فمن ياترى من المثقفين يمكنه أن يعيش بعيدًا عن **أزمة فلسطين وغيرها من قضايا الأمة؟**

إن المثقف الواعي هو الذي يصرف قلمه للبحث عن الحلول الناجحة التي يمكنها أن تقرب الوحدة وأن تزيل أسباب الشقاق، وهو الذي يفضح أسباب الغزو الأجنبي، ونوايا المستعمرين ليعيد للعربي مجده وليحفظ له كيانه وأصالته. ونحن في المغرب نشعر بنفس الشعور ومثقفونا يهدفون إلى نفس الأهداف، فإذا قرأت ما يكتبون في شتى المناسبات تجدهم قد أبدعوا في الشرح والتعليل وَوُفقوا في الدعوة إلى الحرية والكرامة سواء عن طريق العرض الواضح أو عن طريق الرمز الأدبي والإحياء الفني، زيادة على أن بعض المثقفين قد اقتبسوا من الماضي ما يرسم للمسلمين طريق مجدهم وما يبين لهم قيمة نخوتهم وما يبدد عنهم كل مظهر من مظاهر الجبن أو مظاهر الانحلال.

وكمثال على ذلك يمكننا أن نطلع على مسرحية **أبدعها الشاعر الأنيق علي الصقلي**، فهو قد شخص فيها المعركة الكبرى **معركة «وادي المخازن»** التي تمثل أعظم مواجهة قام بها المغرب ضد البرتغال في أواخر القرن العاشر الهجري لمحاولة تحرير المغرب من الاحتلال الأجنبي، وسيجد فيها القارئ روحًا وطنية وثّابة صالحة لرسم طريق الحرية.

إنها معركة من أجل النصر لا تصور الماضي فقط ولكنها تفتح الأمل في وجه كل مجاهد مهما كان لونه أو جنسه، وإنها لتعد نموذجًا من النماذج الأدبية المغربية التي تدل على أن المثقف المغربي لم يهمل واجبه المنوط به، ولم يقتصر في إنتاجه على الموضوعات الضيقة البسيطة التي لا تصلح إلا في المجال الإقليمي، بل إنه تجاوز ذلك فجعل أدبه صورة حية تقود إلى الخير والمجد كل من كان في حاجة إلى قوة معنوية تعينه على الكفاح من أجل الحرية والحق والعدالة.

الشرق في عيون الغرب





زيارة من تاجر المراكب .VISIT FROM MARKAB TRADER — أوغسطس أو زبورن لامبلوه — المدرسة البريطانية - رسم بالألوان

الأصول الروائية في رسالة الغفران

إعداد : د. صفوت عبدالله الخطيب

من القضايا التي لم تزل تشغل الباحثين قضية الفن الروائي وعلاقته بالأدب العربي القديم، وغالبًا ما ينقسم الباحثون في هذا المجال إلى قسمين، كلاهما متعصب لوجهة نظره، فأما أولهما فيدافع بحماسة عن حِيازة الأدب العربي القديم للشكل الروائي، مستقصيًا الأمثلة ومُتَعقبًا النماذج، وأما آخرهما فينفي ـ بحماسةٍ أيضًا ـ معرفة الأدب العربي بهذا الفن، محاولا التدليل بالطرق كافة على انتماء الفن الروائي إلى الأدب الأوروبي دون غيره.

وكلا الفريقين ـ فيما نظن ـ قد أخطأ الوسيلة، وضلَّ الطريق، أما خطأ الوسيلة فإنه يتمثل في اتجاه كل فريق منهما إلى وجهة نظر مشوبة بالعاطفة، تضامنًا مع الأدب العربي عند بعضهم، أو ترفعًا عليه عند البعض الآخر. **وليس أخطر على البحث العلمي من اندساس العواطف خلف آراء الباحثين.**

وأما ضلال الطريق فإنه يتمثل في أن **هذا النوع من الباحثين بدلا من أن يبحث عن الأدب العربي لينتهي إلى ما فيه من أشكال التعبير، قد اختار الأشكال وعرفها ثم بحث عن هذه الأشكال ـ كما أرادها ـ في الأدب العربي،** ومن الطبيعي أن من سلك هذه الطريق سينتهي إلى نتيجة من اثنين، إما «نعم» وإما «لا»، والنتيجة الصحيحة قد لا تكون الأولى، ولا تكون الثانية، وإنما تكون شيئًا ثالثًا يحوي بعض ما في الأولى وبعض ما في الثانية، أو يغايرهما معًا، ولكن المهم أنه شيء ثالث متفرد.

ومن هنا فقد تخيرنا **رسالة الغفران** نصًا من نصوص الأدب العربي القديم، وقرأنا القسم الأول منها.. أي **حديث الغفران، فلاحظنا أن أبا العلاء المعري** يكتب شكلاً أدبيًا ما هو بالخيال الروائي الذي قصد إليه صاحبه قصدًا، وإن كان ذلك يتبدى فيه، وما هو أيضًا بالتقرير النقدي الذي يأتيه صاحبه عامدًا واعيًا وإن كان ذلك غالبًا

خصائص جديدة وغريبة لهذا العمل الإبداعي ذائع الصيت

عليه، ولكنه مزيج منهما معًا، ومن هنا فقد **استخدمت فيه بعض الأصول الروائية، ولكنها جاءت محملة بخصائص جديدة ومختلفة عنها في الفن الروائي،** إلا أن هذا الشكل الذي استخدمه **أبو العلاء** في حديث الغفران كان يقتضي منه هذه الخصائص الجديدة والغريبة. فعلى الرغم من احتفاله بذكر **المكان** الذي تجري فيه **الأحداث** إلا أنه سريعًا ما ينسرب بعد تسمية المكان إلى الحديث عن **الشخوص** التي تقطن هذا المكان، وحتى عندما يهتم بذكر **خلفيات المكان** فإن هذه الخلفيات تأتي أيضًا بعيدة عن **جزئيات المكان** متعلقة **بالحركة الدائرة** في داخله، ففي تلك **«الأنهار أوان على هيئة الطير السابحة والغانية عن الماء السائحة»**. وإذا كان في بعض الأحيان يراعي ضرورة تناسب **صفة المكان** مع **ماهيته** فإنه في أحيان أُخْرى يجعل هذا المكان خُرافيًا يصعب تحديده أو وصفه **«فحدائق الحور لا يعرف كُنْهَها إلا الله»**. وعلى الرغم من إجادته في بعض المواضع لوصف المكان وتحديده، بل وتجاوز الوصف المادي

إلى الوصف النفسي «**كالأنهار الخمرية التي لو وقعت الجرعة منها في البحر الذي لا يستسيغ الشارب ماءه لحلت منه أسافل وغوارب، ولصار الصّمر كأنه رائحة خزامى**»، فإن هذا المكان يخلو غالبًا من الدلالة القصصية، فأبيات **لبيد** التي ليس في الجنة نظيرها بهاء وحسنًا تصبح فجأة ثلاثة أبيات شعرية يذكرها لبيد **لبطل الغفران**.

وعنصر الزمان عنده كذلك **ممطوط وغير محدد** وهو مختلط بين زمنين مختلفين **الزمن الدنيوي والزمن اللانهائي في الآخرة**، ومن هنا فإن هذا الزمن يتأبى على التحديد،فالصحاف التي تقدّم في المأدبة التي أرادها بطل الغفران كمآدب الدنيا، هذه الصحاف يصيب منها المدعوون **كعمر كوى وسرى** وهما النسران من النجوم، وهذا التأرجح في الزمن بين حالين يفقده التجاوب مع الأحداث واحتواءها بطريق مباشر. **ففي قصة غفران ابن القارح نجده بعد أن يروي أحداثها يعود ليحدد الزمن، فقد كان مقامه في الموقف مدة ستة أشهر من شهور العاجلة.**

وأما الحدث فإن أبا العلاء رغم ما ذكرناه من حرصه على ذكر المكان الذي تدور فيه الأحداث **إلا أن أحداثه جاءت غير متواكبة مع المكان وإنما انفصل المكان فجاء سابقًا لها كما يحدث في المسرحيات**، وعلى الرغم أيضًا من اتضاح **الخيال** وصلته **بالحدث** فإنه يأتي مقصودًا لذاته **ولا يساهم في دفع الحدث وتطويره**، فالأحداث لا تتصل **بعضها ببعض اتصالا فنيًا وإنما تترتب ترتيبًا غير** يعتمد على الصلة بين الشخصيات المختلفة، وأحيانًا يفر الحدث من التطور الطبيعي ويلجأ إلى الخوارق لينتقل من مرحلة إلى أخرى وحتى عندما يرتبط **بالحوار** ويتخذ مظهر **الحدث المتنامي**، فإن هذا المظهر يظل مجرد خداع **ويظل الحدث استاتيكيًا، وغالبًا ما نلاحظ تلاشي الحدث وتناهيه بدلا من استمراره وربطه بأحداث أخرى**. وأما جزئيات الحدث الواحد فإنها وإن روعي فيها التسلسل فإنه لا يأتي وفاء بجزئيات **الحكاية**، بل وسيلة للحوار اللُّغوي والنَّقْدِي.

ولا يستثنى من هذه الملاحظات السابقة عن الحدث إلا أحداث **قصة غفران بن القارح ففيها نلاحظ تزاحم الأحداث وتناميها واتجاهها إلى التعقيد، بل وقد تتركب الأحداث أو تتداخل على طريقة الاستطراد في النثر والالتفات في الشعر** ولكن على الرغم من تطور الحدث وكثرة تأزمه وتعقيده فإن الانفراج يأتي مفاجئًا.

وبصفة عامة يمكن القول إن وسائل انتقال الحدث وتحوله جاءت انفعالية وسَاذَجة ولعل السر يكمن في **اعتماد العمل كله على حدث رئيس واحد بمثابة الهيكل العام** الذي تفرعت عنه كل الأحداث الأخرى مما صعب ربطها ربطًا متناميًا في خط بياني متصاعد، وجعلها تجري في خط دائري حول حدث رئيس يُمثل مركزَ الدائرة، ولذلك فهو يقتبس بعض هذه الأحداث من قَصص الأمثال وبعضَها من الشعر، فإذا قصد **إلى الحدث المتخيل** وجد نفسه مضطرًا إلى الاستدلال على إمكانية تحول الحدث إلى ما يرويه، وعلى هذا فقد **ظل الحدث**

خلاف بين الباحثين حول فنيّة الرواية في النّص

عنده مجرد إطار يتحرك فيه البطل الذي هو محور حديث الغفران كله.

وأما **الشخوص** فإن من الواضح عنده توافر **مبدأ التشخيص** وبعث الحياة في الأشياء وإن كان مولد الشخصية يأتي جامدًا ومباشرًا أي دون تطور في مراحل تخلقها الفني، فهي تولد مكتملة ومن هذا فهو يقلب صورة الشخصية إلى ما يناقضها من أجل تهويم صورة الشخصية بدءًا ثم الإبانة عنها بعد ذلك، وذلك لأن شخصياته مستمدة من الواقع ومتلبسة به، وحتى الشخصيات المنفصلة عن الواقع المرتبطة بالخوارق، تُشْعِر **أبا العلاء** بخلل في بناء الشخصية، يضطر معه إلى التدخل **لتقديم التبرير العقلي لهذه التحولات المفرطة في الخيال**. من ناحية أخرى يتزايد عدد الشُّخوص في بعض الأحداث، إلا أن هذا لا يأتي بناء على **الحاجة الفنية**، بل يتم الجمع عنده بين بعض الشخوص لتشابهها في صفة عارضة لا قيمة لها في الحدث الروائي كجمعه بين عودان قيس، اللهم إلا في **قصة غفران بن القارح، التي تتزاحم فيها الشخوص مع رسم دور محدد لكل منها مما يساهم في رسم صورة رائعة للحدث القصصي، حيث تؤدي كل شخصية دورًا يدفع إلى تطور الحدث وتعقيده**، كما لاحظنا على هذا الموضع ذاته عند حديثنا عن الحدث، أما فيما سواه من أجزاء الغفران فإنه قد تتزايد الشخوص وقد تتنوع بين الإنسان والحيوان، ولكنها لا تتضافر في إقامة البناء الفني العام، وإنما يتكرر هيكل الشخوص ونمط بنائها في أكثر من حدث من ناحية، وتدور في محور البطل من ناحية أخرى. وفي النهاية لا بد من تدخل البطل لإنهاءِ الحدث ودفعِه إلى الانحسار بدلا من التعقيد.

وأما **الحوار** فإنه يأتي في بعض المواضع **مرتبطًا بالحدث دافعًا إلى تطوره وارتقائه وإن كانت نزعة الخطابة من جانب والاستطراد من جانب آخر تظل مسيطرة عليه**. وإذا كان للحوار في بعض الأحيان إيقاع يتنوع بين اللين والشدة، بحسب الشخصيات والمواقف، فإنه في أحيان أخرى يأتي منفصلاً عن الشخصية والحدث، ويصبح مجرد صلة بين النصوص الشعرية، فتجده متكررًا لا يُؤدي إلى نتائج فنيَّة، وإنما يستخدم لإظهار أشياء لا تتصل بالحدث الروائي، فيصبح إظهارًا لمعرفة الراوي بالأشعار، **ويبدو الحوار في أحيان أخرى مجرد جدل عقلي لا يُثْري الحدث ولا يدفع إلى تناميه**. وبصفة عامة يمكن القول: **إن الحوار في حديث الغفران يَتَّسم بطولِ النَّفَس، وهو طول مُمِلّ يُضعف من فنيته.**

وبعد، فهذا عرض سريع ومختصر لأهم الملاحظات التي خرجنا بها من قراءة نص من نصوص الأدب العربي القديم، يمكن أن يَعُدَّهُ فريق من الباحثين رواية مكتملة، ويَعُدَّه فريق آخر أي شيء، إلا أن يكون رواية، ومصدر الخلاف أن كليهما لم يبحث النص وإنما بحث عن الرواية في النص، **والنتيجة التي لم يتوصل إليها كلا الفريقين هي أن الرواية موجودة وغير موجودة في آن واحد معًا في هذا النص، ولعلَّ قراءة البحث كاملاً، تكون أقدر على جلاء ما في هذا التلخيص من غموض.**

في العقول.. حرب وسلام

بقلم: عبد العال عبد الحميد ضوه

شغلت الحروب محورا رئيساً في الفكـر الإنسـاني، فقـد خلـد الأقـدمـون أخبـارهـا مـلاحم في أشعـارهم ونقـوشـا على جـدران معـابـدهم ونصبهم، وعلقـوهـا على أستـار مقـدسـاتهم، افتخـروا بها وذمـوهـا، عـابـوا من أوقـدهـا، وبـاركـوا من أطفـأهـا.

فمنذ فجـر الإنسانية ازدهر شعـر الملاحم وهو الشعر الذي يقص أنباء المعارك والبطولة والأبطال، ولعل المثل الأعلى لهذا الفن هو **الإلياذة والأوديسة** المنسوبتان **لهوميروس**، واللتـان تقصـان بعض أحـداث تلك الحرب الضروس التي نشبت فيها بين القرنين العـاشر والحادي عشر قبل الميـلاد بين بلاد اليـونـان ومملكـة طروادة في آسيـا الصغـرى نتيجـة لخطف بـاريس أحـد أمراء طـروادة لهيـلانة زوجـة منيالاس الملك اليـوناني في أثناء رحلته البحـرية إلى بلاد اليونان.

وما تزال الإنسـانية تقرأ وتعجب بتلك الملاحم القديمـة كالإليـاذة والأوديسة لهوميروس والإنيـادة لفـرجيل شـاعـر الـرومـان في الغـرب، والمهبراتـه والراميانا في الهند، والشاهنامه في فارس[١].

حروب بلا حدود

إلا أن نطـــاق الحروب قـــد اتسـع وتخطى النطاقـات المحلية والإقليمية بل والقاريـة أيضا إلى نطاق شبه شامل وجُرت إلى ساحات القتال أطراف غير أصيلـة أو غير أصليـة ـــ بل وليست ذات مصلحة البتة حتى لقـد قيل: إن هذه الحروب هي حروب على أرض الناس، بأموال الناس، بأجساد الناس، بأسلحة الدول الكبرى.

كما اكتسب بعضها صفة الشمول حتى إن منها ما وصفت بالعـالمية ـ ربما لتعدد أطـرافها وأمكنتها واتساع نطاقاتها وشدة تأثيرها في الآخرين.

وقـد لاحظ الحكماء والمفكـرون ودعـاة السـلام والمنظمات الدوليـة وكل من يؤرقـه اشتعال الحروب وما تجلبه من خراب ودمار أنه ما تكاد تنتهي حرب حتى تبـدأ حـرب جـديدة حتى إن تقـريـرًا لمعهـد بحوث السلام بالعاصمة السويدية ـ استوكهولم ـ قـد سجل واحـدًا وثـلاثين حـربًـا وصراعًـا محليًا وإقليميًا كلها منتشرة على خارطة العالم الثالث[٢].

دور أصيل لوسائل التنشئة

لـذا تعقـد بين الحين والآخـر المؤتمرات وتـوقع الاتفاقات والمعاهـدات إما لنزع السلاح أو لخفض التسلح أو للصداقة وعدم الاعتداء أو لمنع انتشار أو استخـدام الأسلحـة وخـاصـة أسلحـة الـدمـار الشـامل.. فـاتسـاع نطاق الحرب أوجب اتسـاع نطـاق التعـاون الـدولي مـن أجل السـلام وبـرزت الحاجة الجماعيـة إلى التنشئة السيـاسية والاجتماعيـة



الدولية[٣]. **-International Political sociali zation والقول بالمسؤولية الدولية عن حفظ السلام لكافة وسائل التنشئة وعلى رأسها وسائل الاتصال الجماهيرية**[٤] فالدعاية الهدامة Subversive Propaganda تعتبر غير شرعية بوصفها شكلاً من أشكال العدوان Aggression وتقع بذلك ضمن القواعد التي تحكم الحرب العدوانية وتحددها[٥]. ولما كانت الحرب العدوانية غير شرعية كان من الطبيعي أن تكون دعاية الحرب والتي تعرف بأنها تلك الجهود والمحاولات المباشرة التي تبذل لتشكيل عقول الجماهير في اتجاه الحرب والنزاع المسلح ـ غير شرعية أيضا[٦].

من أين تبدأ

لأن الحرب أولها نجوى ومبدؤها الكلام كما قال الشاعر:

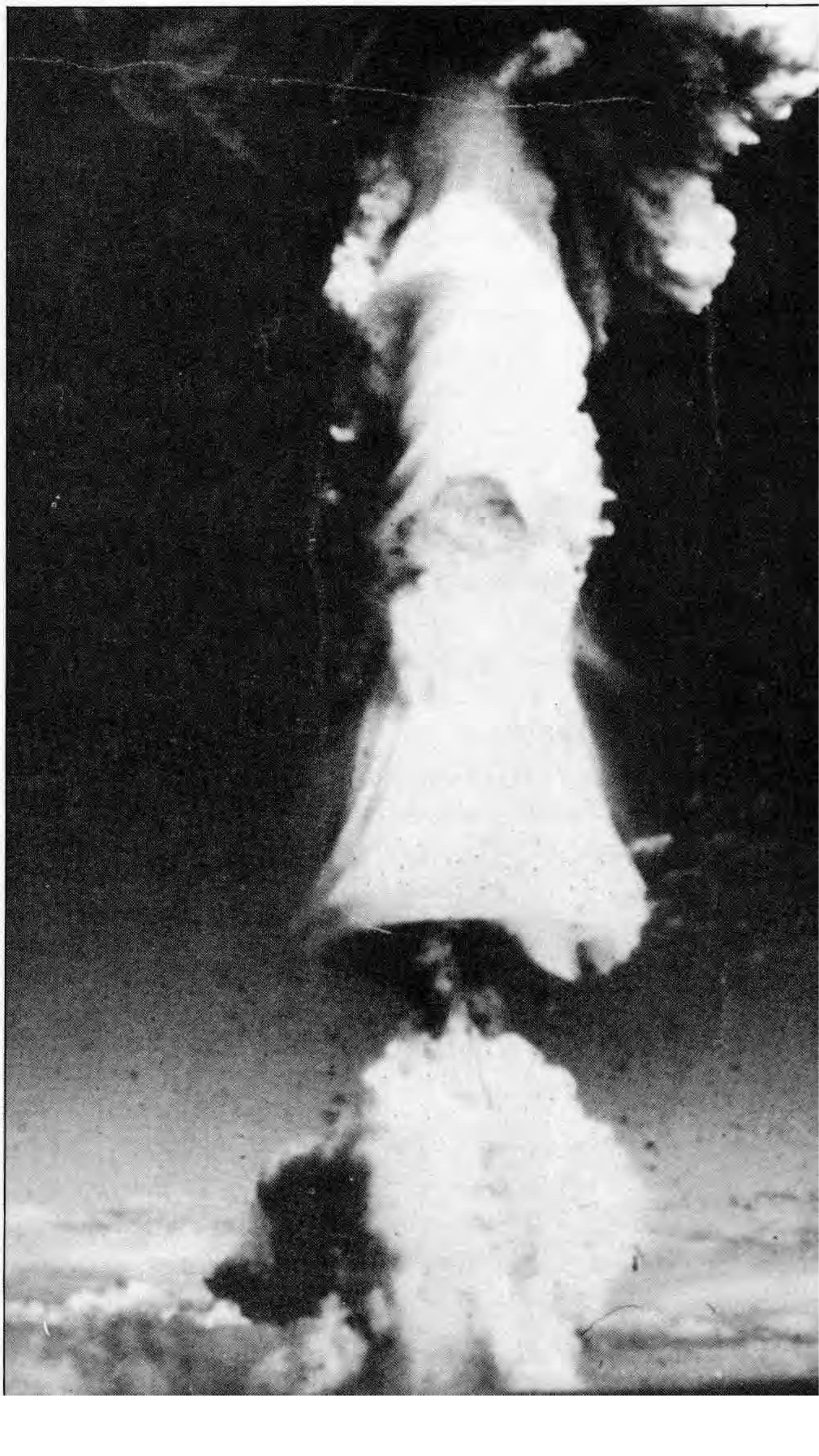
فإن النار بالعودين تُذكى　　و إن الحرب أولها الكلام

وكما يقول ج . ي . نيف Nef في كتابه **الحرب والتقدم الإنساني "In War and Human Progress" إن الحروب الشاملة في أيامنا هذه هي نتيجة سلسلة من الأخطاء العقلية»**[٧].

وهي تبدأ في عقول البشر ويزيد الجهل من الشكوك والأحقاد وهي المواد التي تتغذى عليها الحروب لذا **توصلت اليونسكو إلى أن التدفق الحر**

« السعي إلى السلام مغامرة مبهجة .. والطريق تعاون يضع في اعتباره الخصوصية الثقافية لمناطق العالم .. »

للأفكار (*) وتبادل المعلومات والمعرفة بين الدول سوف يبدد شبح الحرب الذي يولد الشك والكراهية ويوجد التفاهم الذي يمهد السبيل بدوره لحسن النية بين الأمم. لذا قيل بضرورة بناء حصون واستحكامات السلام في العقول أيضا. لذا عقدت اليونسكو مؤتمرًا مهما في مدينة ياموسوكرو العاصمة الجديدة لكوت دفوار في الفترة من ٢٦ يونيو إلى أول يوليو ١٩٨٩م ضم العديد من الخبراء والساسة والصحفيين والعلماء وأصدر المؤتمر وثيقة دولية في



شكل إعلان اسمه إعلان ياموسوكرو جاء فيه ما يلي :

«إن البشر لا يستطيعـــون العمل من أجل مستقبل لا يمكن أن يتخيلوه ولذلك فإن مهمة المؤتمر هي تكوين رؤى يستطيع الجميع أن يؤمنوا بها» .

سعي نحو السلام

«إن السعي إلى السلام مغامرة مبهجة لذلك فإن المؤتمر يقترح برنامجًا جديدًا يضع بنودًا عملية وفعالة لرؤى ومداخل جديدة إلى التعاون والتعليم والعلوم والحضارة والاتصال واضعًا في الاعتبار التقاليد الثقافية لمختلف أجزاء العالم . ويتم بالتعاون مع المنظمات والمؤسسات الدولية بما في ذلك جامعة الأمم المتحدة وجامعة السلام في كوستاريكا ومؤسسة هوفييه بوانييه الدولية للبحث عن السلام في ياموسوكرو»[٨] .

وتولي المنظمات الدولية عناية لعمليات الإعلام ونظمه كمكونات أساسية للتنمية التربوية والاجتماعية والثقافية من أجل تعزيز التفاهم والسلام العالمي . بل إن الإعلان التاريخي المعتمد بالإجماع بشأن المبادئ الأساسية الخاصة بإسهام وسائل الإعلام الجماهيرية في دعم السلام والتفاهم الدولي وتعزيز حقوق الإنسان (*) ومكافحة العنصرية والفصل العنصري والتحـــريض على الحرب لم يكن إلا تتويجًا لسلسلة من الحلول الخاصة التي نبعت من الإحساس بالحاجة إلى نظام عالمي جديد للمعلومات والإعلام .

ذلك أن الإعلام قد يكون أداة للسلطة أو سلاحًا للثورة أو إنتاجًا أو وسيلة للتعليم ويمكن أن يخدم أهـــداف التحـرر أو العسف وأن ينمي شخصية الفرد أو يصب البشر في قالب واحد .

إن التفاؤل يمـلأ بعض المفكرين في قدرة الإنسان على فهم طبائع الأمور والحكم عليها إذا أُتيح له أن يفهم ويستخلص ونُشِّئ على الفضيلة . **يقول وليم جودوين William Godwin** في كتابه **عدالة السياسية Political Justice** ١٧٩٣م «أرني في جلاء لا لبس فيه أن التصرف على نحو ما معقول في حد ذاته أو أنه موف لغايتي ، فستجدني ألتزم بكيفية التصرف في هذه مادامت الآراء التي تقترحها عليّ ماثلة في ذهني» .

ويصل جودين باستدلالاته إلى النتائج المنطقية التي كان لابد أن ينتهي إليها فيقول «وإذا جعلت مقتضيات العدل الواضحة في متناول كل قدرة فسيصبح النوع البشري كله معقولا وفاضلا . . إلخ»[٩] .

وفي رأي العالم «دان» أن الأشياء الصحيحة متى أمكن توصيلها بواسطة بعض الناس إلى بعضهم الآخر فإن تغييرًا يمكن أن يحدث في مواقف الدول بعضها تجاه بعض ، وهذا مما يجعل الوصول إلى مرحلة السلام أمرًا ممكنًا . . وهذا فرض فني يعتمد

> «الظلم مبعث الحروب في دنيانا، وردعه واجب حتى يسود العدل..»

على معلوماتنا للعمليات التي تتصل باستخدام الأفكـار والـــرموز لتغيير أو تعـديل سلـوك الناس[١٠] .

تعددت الأسباب

إذًا فالحرب تبدأ في عقول البشر وأولها نجوى وكلام وهي نتيجة لسلسلة من الأخطاء العقلية ويأتي بها الجهال والأغبياء وتذكيها أمور كالحقد والجهل والحســد ، وهي بئس المرضعـــة وبئس الفاطمة ، وتوجب جهدًا على كافة المستويات لجعل السلم يحل بدلا منها ابتداء ، ومحور بواعثها من العقــول والنفوس التي استقـرت بها أو التي تراوحها . . إلا أن السؤال الأكثر إلحاحًا هو: **ما سبب نشوب الحرب؟** وهو سؤال سهل وربما كان جوابه بدهيا عند البعض . . ولكن الذين يسألون أنفسهم قليلون في نظرنا . وهناك أسباب عديدة للحروب وليس أحدها حاسمًا في حد ذاته . **ففي المؤتمر الذي عقـد في عام ١٩٢٥م** عن أسباب وعلاج الحروب **ذُكرت ثمانية أسباب سيكولوجية وستة اقتصادية وسبعة سياسية وثمانية اجتماعية** كأسباب رئيسة تتصل بالدافع إلى الحرب ، **هذا بالإضافة إلى أسباب كثيرة ثانوية**[١١] .

لذا فإن مجرد القول بإيداع السلم عقول ونفوس البشر لا يعني الإقناع برضا الظلم وقبوله وإلا صار استسلامًا وضياعًا للحقوق وذلة وهوانًا ولصارت القوة هي معيار الحق .

مثلٌ من الماضي القريب

ولو نظرنا إلى اتفاقات أنهت حروبًا على أسس غير عادلة ، لوجدنا أنها ما كانت أكثر من هدنة يعود الصراع بعدها على أشده ، ولو قرأنا بعض ما كتب عن اتفاقية فرساي التي أنهت الحرب العالمية الأولى لوجدنا أنها خير شاهد على الذي نقول : فقد وقع الألمان على معاهدة تتصف بالمرارة والانتقام والشراهة والطمع ، ولم تؤد هذه الشروط المجحفة إلا لتهيئة السلام لفترة ثم عادت الحرب فاشتعلت . وكتب **اللورد كينز** الاقتصادي البريطاني الشهير وصاحب النظرية المعروفة باسمه عن معاهدة فرساي **يقول** «لم يهتم الساسة المجتمعون في فرساي بمستقبل أوربا الاقتصادي أو بمحاولة توفير أسباب المعيشة فإن ذلك لم يكن همهم أو شاغلاً لأفكارهم فكل ما فكروا فيه ، الطيب والرديء كان يتعلق بالحدود القومية وتوازن القوى وزيادة النفوذ الاستعماري ومحاولة كسر عدو خطير والانتقام منه وأن يحملوا على أكتافه مصاعبهم المالية وأزماتهم الاقتصادية كافة بغرض التعويضات الثقيلة على المنهزمين» .

وكتب رئيس وزراء إيطاليا السابق السنيور «نيتي» يقول «لم يُترك للألمان شيء أو يُسمح لهم بالمناقشة ولم يكن أمامهم سوى التوقيع على معاهدة الصلح . وكان هذا مخالفًا للقوانين والعهود والتقاليد كافة . إلخ إلى أن يقول : «وقد اضطر الألمان إلى التوقيع على المعاهدة تحت وطأة الجوع والتهديد بالثورة في وطنهم غير أن الديمقراطية الجديدة التي أسست عصبة الأمم لم تسمح لنفسها بأن تعطي الألمان ما أعطته أوربا في القرون الوسطى للمتهم من حق الدفاع عن نفسه»[١٢] .



من ضحايا الحروب

نعم . . . ولكن

إذًا فـالظلم هو مبعث كل حـرب في دنيانـا، وردعه واجب، إذ لا يصلح الـدنيا غير العدل ورد المظالم إلى أهلها، وهل أظلم الدنيـا وأفسدها غير الظلم وطـول ليل المظلـومين. لذا فإن زرع المحبـة والسلام في العقول يكون قبل نشوب أي صراع وفي المناطق التي لم تعرف الحرب وليـس فيها بذور ظلم ويُمنع وقوعه إذا ظهرت بوادر على ذلك.

أما بعد وقـوع الظلم فلا بد وأن يـؤخذ على يد الظالم وقتال الباغي وإحقاق الحق.

وما شُرع الجهاد إلا دفعًـا للظلم والعدوان وإلا ضـاعت الحقوق وانتُهكـت الحرمات ولضـاع أغلى شيء في الوجود وهو الدين عياذًا بالله.

ولا يغرنـا الاستقرار الوهمي وسكـون المظلومين إلى حين فهما نار تحت الرماد، وسينتفض من طال ليل ظلمهم. فعلى دعـــاة الســلام وأصحـــاب التسميات المبهجـة مثل مجلس الأمن وقوات حفظ السلام أن تجعل تسميتها مجلس العدل وقوات منع الظلم وألا يكون الخصم حكما.

ويحضرني قول الشاعر:

وما هو إلا الغبن أن يقبل الفتى
سلامَ الذي لا يرتضي غير حربه

وقول الآخر:

ولم أر ظلمًا مثل ظلم ينـــالنـــا
يُســاء إلينـا ثم نـؤمر بـالشكـر

وقول الثالث:

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى
عـدوًا لـه ما مـن صداقتـه بـد

ففي العقـول سلم، ولكن فيها جهـاد. وفيها محبـة ولكن فيها إبـاء. وفيها كـلام الله الذي حـرم الظلم على نفسه وجعله محرمًـا بين خلقه وأَمرُه بألا نَتَظَالم واستعاذة رسوله الكريم من أن يَظلِم أو يُظْلَم أو أن يجهلَ أو يُجهَل عليه. **فاللهم رب المستضعفين والمظلومين يا من توعدت الظالمين بالانتقام ولو بعد حين وبأن تنتقم ممن رأى مظلـومـا وهـو قـادر على نصرتـه ولم ينصره أن تزرع في النفـوس والعقول محبـة العـدل والجهـاد ونصرة المظلـومين وكـراهيـة الظلم والظالمين إنك ولي ذلك والقادر عليه.**

الهوامش:

١ ـ محمد مندور ـ فن الشعـر ـ القاهـرة ـ المكتبة الثقافيـة ـ ١٢ ـ وزارة الثقافية والإرشاد القومي ـ الإدارة العامة للثقافة ص ٨ و ٩.

٢ ـ صلاح الديـن حافظ ـ الانحياز الإعلامي وحوار الثقـافات ـ مجلة الدراسات الإعلامية للسكان والتنميـة والتعمير ـ القاهرة ـ العدد ٦٥ أكتوبر وديسمبر ١٩٩١م ص ٣ ـ ٩.

٣ ـ في بعض تعريفات التنشئة ـ راجع القسم الأول من:

سامية أحمد أحمد علي ـ نموذج القدوة في برامج التليفزيون ـ دراسة تحليلية ـ القاهرة ـ المكتبة الثقافية الهيئة العامة للكتاب ١٩٨.

٤ ـ مختار التهامـي ـ الصحافة والسلام العالمي ـ القـاهرة ـ دار المعارف ١٩٦٨م.

٥، ٦ ـ أحمد بـدر ـ الإعـلام الدولي دراسـات في الاتصال والـدعايـة الدولية ـ الكويت ـ وكالة المطبوعات ١٩٨٢م ط ٣.

٧ ـ مـارشال مـاكلوهان. كيف نفهم وسـائل الاتصال ـ دار النهضة العربية ـ القاهرة ـ ١٩٧٥م ص ٣١.

* القول بالتدفق الحر للأفكار ـ وحقوق الإنسان ـ يجب أن يؤخذ من المفهوم الإسلامي بحيث لا يعني الأفكار الإلحادية والإباحية مثلا وهذا التحفظ يجب ألا يتطرق إليه الشك من جانب المسلمين.

٨ ـ مجلـة الدراسات الإعـلامية للسكـان والتنمية والتعمير ـ القـاهرة ـ عالمية ـ إعلان ياموسوكرو حول السلام في عقول البشر ـ العدد ٥٧ أكتوبروسبتمبر ١٩٨٩م ص ١٥٢ ـ ١٥٤.

٩ ـ إسماعيل علي سعـد ـ الاتصـال والـرأي العـام مبحث في القـوة والإيـديولـوجية ـ الإسكندريـة ـ دار المعـرفة الجامعيـة ١٩٨١م والملحق الخامس في الملاحق الانجليـزية ص ٢٣٧ أو ص ١٢ من الملاحق

١٠، ١١ ـ أحمد بـدر ـ الإعـلام الدولي ـ مرجع سـابق ـ ص ١٨٧، ١٨٨.

١٢ ـ سلسلة قادة الحرب ـ أدولف هتلـر ـ المكتبة الحديثة ـ بيروت ـ ط ١ ١٩٧٤ ص ٢٤ ـ ٢٦.

رؤيا صالحة.. قادته للإيمان

في إحدى قرى أثيوبيا (الحبشة) وُلد «ملقاه» وهـذا اسمـه، **لأب يهودي وأم نصرانية، وفي صباه المبكر درس التوراة والإنجيل، واختار أن يصير نصرانيًا كـأمه،** ولم يكن اختيـاره نابعًـا عن قناعة بالديانة النصرانية، ولكنه كان للأفضلية التي يحظى بها أتبـاع هذه العقيدة في بـلاده، فأثيـوبيا ـ كما هو معـروف ـ كـانت أحد معـاقل النصرانية في أفريقيا، منذ عهد **هيلا سلاسي** وحتى الانقلاب عليـه، والكنيسـة الحبشيـة كـانت إحـدى أقـوى كنـائس أفريقيـا لا يتفـوق عليهـا في النفوذ سـوى كنيسـة الإسكنـدريـة حيث مقر بـابـا الأقبـاط أو نصارى الشرق.

درس «ملقاه» التوراة والإنجيل. فلم يجد ذاته في أي منهما، إذ رأى في الأولى مجمـوعـة من الأقاصيص (الأساطير التي عمـد الكهان والأحبار إلى حشـوها بكل مـا هو غـريب، بعـد أن حرّفـوا الكلم عن مـواضعه، وأسـاؤوا إلى الأمانـة، وحملوا وزر تحريف أحد الكتب السماوية، وكان طبيعيًا أن لا يتقبل عقل «ملقـاه» مـا في التـوراة المحـرفـة من خرافـات وأباطيل، فنبـذها إلى دراسـة «الإنجيل» الذي تؤمن به والدته، فلم يكن حظه معه بأحسن من حظـه مع التـوراة فـالتنـاقض بين نصـوص الأنـاجيل واضح، ثم إنها لا تقـدم تفسيرًا للحيـاة والكـون، ولا تحاول أن تنظم أية عـلاقة في شـؤون الدنيا أو الآخرة، فالأنـاجيل ليس فيها ما يدل على إعجـاز أو أنها الكتـاب المنـزّل على عيسـى عليـه السلام.

أما **الإسلام** فلم يحاول أن يدرسه، ولم يسع إليه لحظة، **فالـدعاية الكنسيـة القوية والمؤثـرة، تصور الإسلام على أنه دين للمتخلفين، وتنسب كذبًا إلى المسلمين أنهم كانوا تجار العبيد!!**

كبر الصبي «**ملقاه**» صار شابًا، كان لا بد أن يبحث عن مهنـة تليق بمستـوى أسرتـه الاجتماعي وتتيح له أن يحيـا حياتـه في بحبوحـة ورغد عيش، ووجد في السلك الكنسي بغيته فهو لن يحظى فقط بـالاحترام، ولكنـه أيضـا سيحظى بـالمرتب الكبير والسيارة، وسـاعده حفظـه للتوراة على الالتحـاق بالعمل في الكنيسة، صار قسّـا يشار إليه بالبنان، وتقبل العامة يديه وينادونه «أبانا».

عمل «ملقـاه» لدى الكنيسـة ست سنـوات، أعطتـه خلالها الـراتب السخي، والسكن الأنيق، والسيارة الفاخرة، وفي المقابل أعطاها إخلاصه، إذ عمل بكل جد في الدعوة إلى النصرانية دونما كلل أو ملل، خاصـة وأنه قد صـار زوجًا وأبـًا مسؤولاً عن ثلاثة أطفال في بلد تتهـدده المجاعة كل يوم بل كل لحظة، وتفتك بأطفاله وشبابه وشيوخه.

رؤيا صالحة

ظل «ملقاه» يعمل لسنواتٍ في خدمة الكنيسة بإخلاص التابع الأمين الذي لا يناقش بل يفعل ما يؤمر به، حتى **كانت ليلة فاصلة، إذ رأى فيها فيما يرى النائم رجلاً يقترب منه في المنام ويوقظه هاتفًا به** أن يقـرأ شهـادتي: **لا إله إلا الله محمـد رسـول الله، وسورة الإخلاص: ﴿قل هو الله أحد. الله الصمد. لم يلد. ولم يولد. ولم يكن له كفوًا أحد﴾**، فقام من نـومـه مفـزوعًـا، وقـد رَوَّعتـه تلك الـرؤيـا التي لم يستوعبها، وإنما فسرهـا بفهمه القاصر على أنها من الشيطان.

وتكررت الرؤيا ليلتين أخريين، ورأى في الليلة



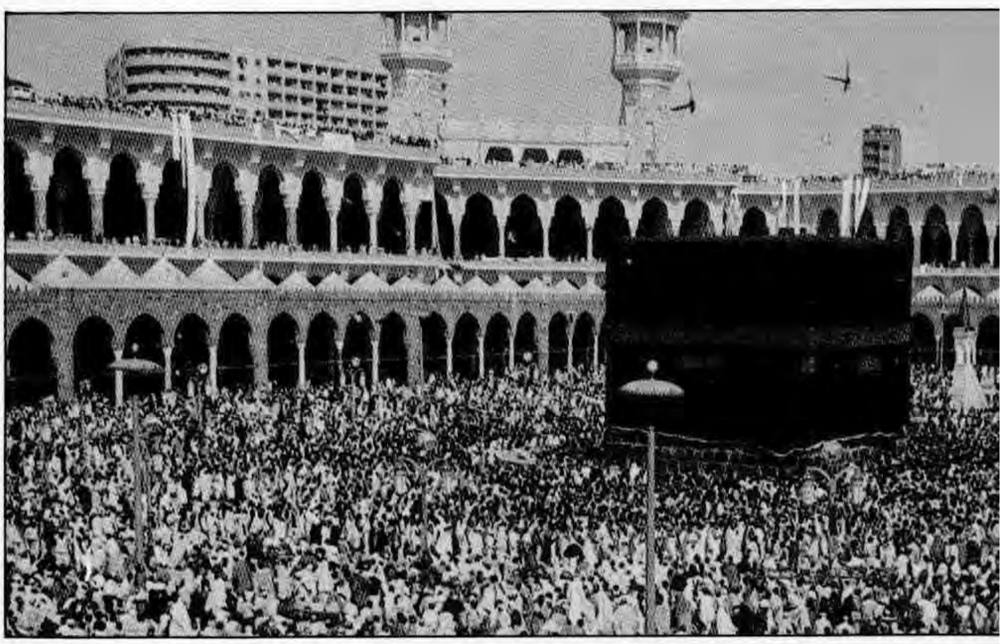
الثـالثة نـورًا يضيء أمـامـه الطريـق، ورجلاً يقـرئه الشهـادتين وسورة الإخـلاص، فأدرك من فـوره أن هذه رؤيـة حق، وليست من عمل شيطان رجيم، فالنـور الذي أضـاء سبيله في الـرؤيا قـد تسرب إلى وجدانه، وأنار بصيرتـه، فأصبح من يومه وفي قرارة نفسه إيمان عميق بأن عقيدة الإسلام هي الحق، وما دونها باطل، ولم يطل به التفكير لأنه بحكم دراسته اللاهوتية كان مطلعًا على البشارات العديدة برسالة محمـد عليه السـلام لذا أشهـر إسلامـه عن قناعـة وحدّث زوجته في الأمـر، عارضًا عليها الـدخول في

> ”عقيدة الإسلام حقٌ، وماسواها بــاطـلٌ..“

دين الحق، فجاوبته بالإيجاب، ودخلت معه في عقيدة التوحيد، وكذلك فعل أطفاله الثلاثة.

كان أول ما فعله «ملقاه» بعد إشهار إسلامه أن قام بتغيير اسمه إلى «**محمد سعيد**» معتبرًا ذلك اليوم يوم ميلاده الحقيقي. شاكرًا لله تعالى ما أنعم به عليه من نعمة الهداية بعد ضلال.

استقبلت الأوساط الكنسية الأثيوبية خبر **إسلام «محمد سعيد» بغضب شديد،** تجاوز ردود الفعل المتعقلة إلى ردود فعل هستيرية، إذ لم تكتف بطرده من الوظيفة، وتجريده من السيارة والمنزل بل سعت حتى **أدخلته السجن،** ليلقى صنوفًا وألوانًا من التعذيب والتنكيل في محاولة لرده عن إيمانه، وليكون عبرة وعظة لكل من يفكر في ترك النصرانية والالتحاق بركب الإسلام.



تنكيل بالقلب المؤمن

تحمل «**محمد سعيد**» ألوان التنكيل صابرًا محتسبًا أجره عند الله، ولم يتزحزح إيمانه قيد أنملة، ولسانه يلهج بالقول، **سبحان الله، الحمد لله، لا إله إلا الله**». وحين لم تجد معه وسائل التعذيب - وما أكثرها - اضطر القساوسة إلى تركه لكيلا يتحول إلى رمز وقدوة، تنير الطريق لكثير من رعايا الكنيسة إلى درب الحق والإيمان.

خرج «**محمد سعيد**» من السجن أقوى إيمانًا

> **«أسلم على يديه ٢٨٠ شخصًا وأصبحوا قاعدة دعوية..»**

وأشد تصميمًا على إيصال دعوة الحق إلى غيره من بني جلدته، إذ زادته محنة السجن ثباتًا وحرصًا على أن يصبح داعية للإسلام، بعدما كان قسًا يدعو إلى النصرانية، وجعله الله سببًا في هداية نحو ٢٨٠ شخصًا اعتنقوا الإسلام على يديه.

محمد سعيد . . الداعية

استفاد «**محمد سعيد**» بلا شك من دراسته العميقة للتوراة والإنجيل في استكشاف الكثير من الإعجاز القرآني، ذلك أنه بحكم تلك الدراسة قد اطّلع على ما في الأناجيل من تضارب، وكونها ليست هي ما أنزل على **عيسى** عليه السلام، ثم إنه بحكم دراسته للتوراة ومعرفته طبيعة اليهود، لقد توصل إلى ما فيها من تحريفات خرجت بالتوراة الأصلية عن محتواها، وأثمرت توراة أخرى لا علاقة لها بما جاء به **موسى** عليه السلام.

وقبل هذا وبعده فإنه أيضا بحكم عمله السابق كقس يدرك تماما الأساليب غير السوية التي يلجأ إليها المنصّرون من أجل جذب الفقراء إلى الديانة النصرانية، فهم يستغلون فقر الناس وعوزهم، بالتظاهر بمواساتهم ماديًا ومعنويًا، والاهتمام بهم صحيًا وتعليميًا، وصولاً إلى اكتساب قلوب البسطاء ومن ثم السيطرة على عقولهم، وإقناعهم بأن في النصرانية خلاصهم من عذاب الآخرة وفقر الدنيا!!

وقد مَنَّ الله - عز وجل - على «محمد سعيد» بزيارة بيته الحرام، أما والده فقد آل مصيره إلى السفر للكيان الصهيوني مرحلاً مع مجموعة «الفلاشا» بعد أن أصر على عدم التزحزح عن الضلال..

أمنيات خاصة وعامة

و«**محمد سعيد**» يقضي أوقاته اليوم في حفظ القرآن الكريم، وأمله أن يتمكن من تحقيق ذلك خلال نصف عام، مع ما في ذلك من مشقة لكونه من غير الناطقين باللغة العربية، لكنه الإيمان القوي يقوده إلى محاولة تحقيق هذا الهدف النبيل ليستطيع، الوقوف على أرضية صلبة وهو يدعو إلى الله تعالى ودينه القويم.

وأسلوبه في الدعوة إلى الله يعتمد على معرفة عقيدة من يدعوه من غير المسلمين ومن ثم مناقشته في عقيدته وإظهار بطلانها، ومخالفتها للفطرة والعقل، ثم بعد ذلك يقوم بشرح ما في الإسلام من نواح خيّرة عديدة، مبينًا أنه الدين الحق الذي اختاره الله للبشرية منذ بدء الخليقة، فالإسلام يعني التسليم لله بالربوبية والطاعة، والانقياد لأوامره - عز وجل - واجتناب نواهيه.

وأمنية **محمد سعيد** الخاصة أن يتمكن من هداية والده ووالدته إلى دين الحق، أما أمنيته العامة، فهي أن يستطيع أن يكون أحد فرسان الدعوة الإسلامية وأن يوفقه الله لما فيه خير لأمته، وأن ينصر أمة الإسلام ويُعلي شأن دينه إن شاء الله.

صفات المنافق

● ورد في حديث لأبي هريرة رضي الله عنه أن آية المنافق ثلاث. فهل هذا النفاق يخرج المسلم من الإسلام؟

ل. س. س.

الكويت ـ جامعة الكويت

□ أصل لفظ الحديث كما هو عند مسلم رحمه الله: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «آية المنافق ثلاث، إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان» وورد عند البخاري ومسلم رحمهما الله من حديث عبد الله بن عمرو «وإذا خاصم فجر».

والنفاق أصله إبطان الكفر وإظهار الإسلام وهو أعظم من الرياء وأخطر من الكفر، فالذي يبطن الكفر ويظهر الإيمان فهذا خطره يتعدى ذلك بفعل تسمِّيه بالإسلام فيوثق به غالبًا، لكن هل من اتصف بهذه الصفات الأربع أو اتصف ببعضها يكون منافقًا حقًا مع أنه مؤمن حقًا ظاهرًا وباطنًا؟

١ ـ قال الخطَّابي رحمه الله: الحديث ورد في رجل معين، وقال أيضًا إن معناه التحذير للمسلم من أن يعتاد هذه الخصال التي يخاف عليه منها أن تُفضي به إلى حقيقة النفاق.

٢ ـ وقال النووي رحمه الله ما فحواه: إن الأكثرين من المحققين قالوا إن الخصال هي خصال المنافقين، فإذا اتصف بها أحد من المصدَّقين أشبه المنافق فيطلق عليه اسم النفاق على سبيل المجاز.

قلتُ: وهذا يعني أن النفاق لا على الحقيقة، فلا يخرج من اتصف بواحدة من هذه الصفات عن الإسلام. لكنه نفاق صحيح في حق من يعامله من الخلق.

والكذب وإخلاف الوعد والخيانة والفجور حال الخصومات لا شك أنها صفات عظيمة الخطر جليلة الإثم، فكم جر الكذب على صاحبه وغيره من شر وبلاء، وكم خرّب إخلاف الوعد من مودة وأخوة ومحبة، وكم جلبت الخيانة من شر وحمق ووبال، وكذا الفجور كم أدى إلى ظلم وبغي، ولهذا فرأي الخطابي وجيه لأنه **لا يليق بالمسلم أن يكون متصفًا بواحدة منها، فيكون آثمًا وظالمًا لنفسه وضعيف الإيمان قليل الحياء.**

وقول النووي وجيه كذلك، **إذ لا يخرج هذا الأمر المسلم عن دينه، لكنه سبيل قوي لاستمراء هذه الصفات، ومع المداومة عليها فإنها تجر صاحبها إلى قعرٍ مهلكة قد لا ينجو بعدها.**

ولهذا وردت نصوص كثيرة تحذر من هذه الصفات وتزجر عنها لكونها سببًا لخراب القلب وقد تجر المتصف بها إلى التساهل في كل شيء في حياته وهذا خطره بيّن.

شروط التوبة

● ما شروط التوبة؟

سلامة بن عيدان الوحيدات

الأردن

□ التوبة أمر ضروري في حياة المسلم ولا بد، فإنّ المسلم بحكم نسيانه وقصور نظره، وعجلته يخطئ سواء كان الخطأ حسيًا أو معنويًا.

من أجل ذلك أمر الله سبحانه وتعالى بالتوبة ودعا إليها، ورتب على ذلك الأجر الجزيل، كما ندب إليها النبي ﷺ وحث عليها أبدًا قبل الموت.

أما شروطها فهي كما يلي:

١ ـ الإقلاع عن الذنب حالاً، فإنه ليس من العقل ولا من الجائز شرعًا التوبة مع البقاء على الذنب بحجة عدم القدرة ونحو ذلك أو بحجة الفرض، أي فرض الذنب من قِبَل من يستطيع الإجبار على اقترافه، ولكن في هذه الحال يتوب المسلم ويقلع قلبيًا وينكر عقليًا كما قال تعالى ﴿إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان﴾. ولهذا ثبت، وهو قول جمهور أهل العلم من أهل الحديث، أنّ طلاق المكره بالقوة لا يقع.

٢ ـ العزم على عدم العودة لهذاالذنب وسواه مهما دعت الأحوال، خاصة ذنوب الكبائر، ثم إن معاودة الذنب يحيل الأمر شيئًا فشيئًا إلى التلذذ والاستمرار والتهاون، فتقبله النفس، وهذا أمر مشاهد ممن يكرر ارتكاب المعصية. فلا بد إذًا من العزم الإيماني الصادق بعدم العودة حال المنشط والمكره إلا ما بيّناه في الأول.

٣ ـ الندم على وقوع الذنب الفائت والاستغفار منه وكرهه وتجنب دواعيه من مخالطة أو قراءة ونحو ذلك. والندم عمل قلبي جيد وذهني قوي، وكلما اتفق أن الندم حصل من كافة الحواس كان هذا أدعى للنفور من الذنوب والندم على اقترافها، كما أن هذا الأمر يُعطي القلب حياة طيبة ويعطي النفس صفاءً كريمًا ويعطي الفعل قوة بالغة حتى لا يتكرر الذنب.

٤ ـ وهذا الشرط الرابع مهم لتعلقه بحقوق الخلق، ولا بد من نظره والاطلاع عليه خشية التساهل فيه، أو نسيانه، وقد رأيت بعض الناس لا يلقي له بالاً.

وهذا الشرط يتعلق به قبول التوبة ولا ينفك عنه، وقد وردت عدة نصوص حوله تبينه وتدعو إلى الأخذ به لخطورته. ولأهمية هذا الشرط كان الأخيار من هذه الأمة والصالحون يحذرونه جدًا، فإذا وقع منهم شيء توجبه بادروا إلى تطبيقه.

وهذا الشرط هو رد حقوق العباد القولية والعملية.

ومثال هذا ما تُسببه التهم الظنية لبعض المسلمين من آثار سيئة، وكذلك ما يسببه الحسد من الحاسد لتنزيل قدر المحسود في تجارة أو عمل أو زواج أو صداقة ونحو ذلك.

فكم ألحقت الظنون السيئة وكم ألحقت التهم الباطلة ببعض المسلمين السوء، وكذلك نتيجة الحسد أو الحقد.

فهنا لابد مع توافر الشروط الثلاثة من توفر الشرط الرابع وهو طلب العفو ممن ناله سوء بصورة من الصور وردّ حقه المعنوي عليه وظيفيًا أو ماديًا أو سريًا ونحو هذا. وكذلك ما يتعلق بالأمور العملية، فهنا لا بد من رد الحقوق إلى أصحابها، فمن ظلم أحدًا أو احتال عليه أو كذب أو شهد عليه شهادة زور فإنه من اللاّزم رد حقه المالي إليه، ولا يكفي مجرد التوبة.

ولو نظر المسلم إلى حقيقة هذا لوجده منتشرًا بين الناس ما بين جاهل ومتساهل، ولا ريب أن هضم الحق ماديًا أو معنويًا شر خطير يجب وعيه والحذر منه، وأخذ النفس مأخذ الجد دائمًا.

من تجاربهم



تجربة البارودي مع الشعر والحزن والحنين للوطن

بقلم : د. أبو الحسن عبد الحميد سلام

البارودي في سطور

● ولد محمود سامي البارودي عام ١٨٣٩م و تعلّم في المدرسة الحربية بالقاهرة وتقلّب في مناصب الجيش والإدارة وسافر في بعثة رسمية إلى فرنسا وإنجلترا وكان من قوّاد الثورة العرابية. وعندما احتل الإنجليز مصر عام ١٨٨٢م نُفي إلى جزيرة سيلان (سيرلانكا) حيث أقام ١٧ عاما عاد بعدها إلى القاهرة وتوفي عام ١٩٠٤م، ويُعَدُّ البارودي باعث النهضة الحديثة في الشعر العربي حيث خرج به من أسر الصنعة البديعية المتكلّفة إلى رحاب اللغة الشعرية في عصورها الأولى وكان تأثيره عظيماً في المدارس الشعرية التالية له.

الإبداع الشعري الأصيل هو الذي تتفجَّر في متلقيه أفكاره وقيمه الموضوعية والإنسانية والجمالية معًا في أي مكان وفي أي زمان، بلا سابق تمهيد أو إنذار.

فحين تشعر بشعور أو بعاطفة أو تتعرض لموقف ما في وقت ما، وتبحث عن تعبير موجز تصور به لنفسك - حتى وإن كان ذلك داخليا في شكل مناجاة أو هَيْنَمَةٍ جانبية ذاتية -

فإنك تجد بيت شعر بارزا أو قولاً فذا يتجسد بالنور على شاشة ذهنك كتابة ويدعو لسانك إلى تجسيده بوساطة الصوت المسموع أو المهموس أو الصوت الداخلي (الهاتف)، الأمر الذي يدعونا إلى تأمّل هذا البيت:

«أين أيام لذتي وشبابي أتراها تعود بعد الغياب»

فهذا البيت يبدأ باسم مبنيّ صدامي هو «الخبر المقدم»: «أين» ليشكل استفهامًا يعكس حالة الحسرة وحالة التمني التي لا تتحقق، ويشي بإدراك الشاعر لاستحالة تحقق هذا التمني، ومع ذلك فهو يسأل، يعكس دأب الإنسان وطموحه وأمله الذي لولا أن منّ الله به عليه لفني من فوره بعد أول بادرة يأس تتطرق إلى نفسه حالة فشله في تحقيق ما يريد أو انهيار جهد دؤوب، أفنى زهرة شبابه فيه ليحقق ذاته بين ذوات الآخرين في مجتمع متشابك ومتغير العلاقات والدوافع والتفاعلات. والتساؤل هنا نوع من التسلي، نوع من الحديث إلى النفس بصوت مسموع كما فعل المتنبي حيث قال:

«قد سألنا ونحن أدرى بنجدٍ أقصيرٌ طريقنا أم يطول»

التعرية النفسية في شعر البارودي

لا أحد يخلو من الألم، ولا قيمة لحياة بلا ألم، لأن الألم كالكتابة على الحجر لا تمحى أبدا إلا بعوامل التعرية البيئية، والمشاعر لا تتعرض للتعرية البيئية وإنما تتعرض للتعرية الذاتية وهي كشف النفس لذاتها. وهذا ما فعله **البارودي** حين فاضت نفسه بألم الفراق والاغتراب فهتف يخاطب الدهر مع علمه بأن الدهر لا يخاطب:

«أَعِد يا دهرُ أيّام الشبابِ» . . . . »

ولأنه يعلم بأن كل مولود إلى شباب فكهولة ثم شيخوخة فموت وكل ظاهرة تمر بتلك المرحلة أو الرحلة الدائرية نفسها، تحقيقا لكمال صورة الإبداع الذي ينتهي من حيث بدأ، لذلك يستدرك في عجز البيت نفسه:

« . . . . وأين من الصبا درك الطلاب»

يستحيل أن يدرك الإنسان ما يتطلع إليه ويطلبه من عودة الصبا إليه ومع إدراكه لاستحالة مطلبه، إلا أنه مع ذلك لا يكف عن التعبير عن هذا المطلب نفسه، وإنما ذلك لشعور بالفقد الاجتماعي، حيث نفي إلى جزيرة - سرنديب في (سيرلانكا) الآن أو (سيلان) منذ عدة سنوات - وهو يستشف لوم اللائمين لهذا الإلحاح التساؤلي:

«وكيف تلذّ بعد الشيب نفسي وفي اللذات إن سنحت عذابي»

. . . .

من تجاربهم

"الغربة فجّرت شاعريته فألهمته أعذب قصائده"



«كيف لا أندب الشباب وقد أصبحت كهلاً في محنة واغتراب»

لذلك يستنجد مروءتهم للكف عن لومه على نهج قدامى الشعراء في مخاطبة صديقين:

«يا نديميّ في سرنديب كُفّا ... عن ملامي وخلياني لما بي»

ولأنه يدرك حجتهم في لومه وهو يدعو القادة ورجال الدولة إلى الأسلوب الأمثل في قياد الأمّة فإذا به دائم النواح والهتاف واللوم:

«أمران ما اجتمعا لقائد أمة ... إلاّ جنى بهما ثمار السؤدد
جمع يكون الأمر فيما بينهم ... شورى، وجند للعدو بمرصد»

. . . .

فبادروا الأمر قبل الفوت وانتزعوا ... شكالة الريث فالدنيا مع العجل
وطالبوا بحقوق أصبحت غرضا ... لكل منتزع سهما ومختتل
حتى تعود سماء الأمن ضاحية ... ويرفل العدل في ضاف من الحلل»

لذلك يبرر صيحة الألم وانطلاق ذاته من عقالها في شعر يتمثل الغربة والاغتراب معا. الغربة الجسمية إذ انتقل من وطنه إلى بلاد غربية بعيدة تغيّر اسمها في أكثر من مرة في حقبة من الزمن (سرنديب) و(سيلان) و(سيرلانكا). والاغتراب إذ يغترب نفسًا ومزاجًا، حتى ولو كان في موطنه وبين أهله.

البارودي بين الغربة والاغتراب

وعلى ما تقدم فإن للبارودي شعرًا تتمثل فيه غربته، كما أن له شعرًا مثلت فيه مظاهر اغترابه:

إن ابن آدم في الدنيا على خطرٍ ... لا يستقيم له قصد ومنهاج
كأنما هو في فلكٍ تحيط به ... من جانبيه أعاصيرٌ وأمواجُ»

وللاغتراب سبب يعرفه البارودي:

«لا يهدأ الدهر من ظلم يحاوله ... فإن قضى وَطَرًا من غَدْرَةٍ عادا
يسطو بهذا، ويرمي ذاك عن عُرُضٍ ... كطاردٍ يقتفي صيدين إذ عادى
أباده الدهر رغمًا بين أسرته ... كما أباد بريح صرصر عادا
فاعرف إلهك، واحذر أن تبيت على ... وزرٍ، ولا تتخذ ظلم الورى عادا»

فالبعد عن معرفة الله منشأ الاغتراب عنده فهو يعمق هذا المفهوم في كثير من أشعاره، حيث ينسى الخلق كثيرًا أنهم إلى زوال فيتصارعون من أجل السطوة والسلطان ويغتربون عن الفطرة الإنسانية فيحجرون بعضهم على بعضٍ ويتسلطون:

بلينا وسربال الزمان جديد ... وهل لامرئٍ في العالمين خلود
قضى آدم في الدهر، وهو أبو الورى ... وكلُّ الذي من صلبه سيبيد
فما هذه الدنيا وإن جلّ قدرها ... سوى مُهلة نأتي لها ونعود
تبوخ بها الأنفاس وهي نسائم ... وتعفو بها الأبدان وهي صعيد
فيا ضاربًا في الأرض يرتاد غاية ... رويدك إنّ الفوز منك بعيد»

. . . .

إلى الله أشكو أنني بين معشرٍ ... سواء لديهم طيب وخبيث

وفي الغربة هو أكثر من قال شعرا:

«سرى البرق مصريّا فأرقني وحدي ... وأذكرني ما لست أنساه من عهد
«ترحّل من وادي الأراكة بالوجد ... فبات سقيًا لا يعيد ولا يبدي
سقيما تظل العائدات حوانيًا ... عليه بإشفاق، وإن كان لا يجدي
يخلن به مسا أصاب فؤاده ... وليس به مسٌّ سوى حُرَقِ الوجد»

والبارودي وإن بدا ناصحًا لغيره، إلا إنه لفرط لوعته لا ينتصح هو نفسه ـ غالبا ـ بما ينصح به:

«لا عيش إلا للنفادِ ... فاحبب حياتك، أو فَعَادِ
وابخل بنفسك أو فَجُدِ ... كل الأمور إلى فسادِ

فهذه الحكمة البالغة وتلك البصيرة النافذة لم تجعله محبًا لحياته، ربما لأن الوسط البيئي من حوله قد جعله غريبا عنه، مغتربًا عن نفسه. إذ ظل على مبدئه لا يتغير في حبه لدينه ووطنه وعشيرته، وما أحس بحب أحد له:

«كيف لا أندب الشباب وقد أصـ ... ـبحت كهلاً في محنة واغتراب»

. . . .

« ومن عجب الأيام أني مولع ... بمن ليس يعنيه بكائي ولا سهدي
أبيت عليلا في «سرنديب» ساهرا ... أعالج ما ألقاه من لوعتي وحدي
أدور بعيني لا أرى وجه صاحب ... يريع لصوتي، أو يرق لما أُبدي»

فغربته كانت بسبب محنته، حيث وقف في مواجهة **الخديوي**، **والاحتلال البريطاني** الذي دهم **مصر** عام ١٨٨٢م وموقفه قبل ذلك من **الضباط الجراكسة**، فغربته تدفعه إلى تذكر شبابه واغترابه النفسي يدعوه إلى مقارنة شبابه بكهولته. لذلك فلا مبرر للومه، إذ من حقه بوصفه بشرًا أن يحزن وأن يغضب وأن يستشعر الفقد، بعد أن كان صاحب دعوة إلى تسليح الجيش وتزويده بالمعدات الحديثة ومشاركته في المعارك، وصاحب التجارب الشخصية والإبداع الشعري العريض.

فبعد أن كان **وزيرًا للحربية** ومصلحًا لأحوال **الضباط والعسكر المصريين** في وزارة **(رياض باشا)** بزيادة مرتباتهم وتعديل النظم والقوانين العسكرية، وبعد أن كان **رئيسا للوزارة** وصاحب الوقفة الوطنية الشجاعة أمام **خديوي مصر**، من خلف **أحمد عرابي** في ١٢ أبريل عام ١٨٨١م. وخطيبًا يلهب حماسة الجند والجماهير، من حقّه أن يستشعر فقدًا اجتماعيا، وقد عزل ونفي عن أهله ووطنه. من حقّه أن يستشعر فقد حماسة الجند والجماهير، والحجب عن دوره الوطني بل الاجتماعي وهو بشر، فلئن تألّم فذلك قمة التعبير عن قيم الإنسانية

الخالدة، من حقّه أن يستشعر الظلم وهو الذي طالما انحاز للعدل والإنصاف والشورى:

يــا أيها الظــالم في ملكــه … أغــرّك الملك الــذي ينفــد
اصنع بنــا مــاشئت من قســوة … فــالله عــدل، والتــلاقي غــد»

وإذا كان ما تبقى للرجل من حياته الحافلة هو شعره في أصالته وجدته، فإن أبرز ما تبقى من هذا الشعر على جودته هو شعره الذي يضمنه أحزان نفسه وألمها:

أبيت في غــربــة لا النفس راضيــةٌ … بها، ولا الملتقى مـن شيعتــي كثب
فــلا رفيق تسرّ النفس طلعتــهُ … ولا صــديق يــرى مــا بي فيكتئب»

. . . .

«لا في «سرنـديب» لي إلفٌ أجـاذبـه … فَضْلَ الحديثِ، ولا خـلٌ فيرعـى لي
أبيت منفــردًا في رأس شــاهقــة … مثل القطــامي فــوق المربأ العــالي»
إذا تلفّت لم أبصر ســوى صــور … في الــذهن يـرسمهــا نقـاش آمـالي
تهفـو بي الـريح أحيـانًـا، ويلحَفني … بــرد الطــلال بُرد منــه أسهال
ففي السماء غيــوم ذات أروقــة … وفي الفضـاء سيــول ذات أوشــال
فلـو تـراني ــ وبـردي بـالنـدى لَثِق … لخلتني فــرخ طير بين أدغــال»



د. محمد حسين هيكل
شعره مرآة بيئته وزمانه



مصطفى صادق الرافعي
كان أشْعَر معاصريه

إن تلك الصورة التي يصف بها حاله لهي أعمق تصوير لحالة الفقد والألم. وهي ومثيلاتها مما قال في منفاه أكثر مـا في شعره خلـودًا ذلك لأنها حفر على الصخر:

أبيت حـزينـا في «سرنديب» سـاهـرًا … طــوال الليــالي، والخليـون هُجَّــدُ
إذا خطرت مـن نحو «حلـوان» نسمة … نــزت بين قلبي شعلــة تتــوقّــدُ
وهيهـات مــا بعـد الشبيبـة مـوسم … يطيب ولا بعــد الجزيــرة معهــد
شبــاب وإخـــوان رزئت ودادهم … وكل امـرئ في الدهر يشقـى ويسعد»

فهـذا الحنين الذي يبثـه في صوره الشعـرية تجعلـه شاعـر الحنين الأول في الأدب العربي الحديث بلا منازع.

التجديد في شعره

وإذا كان النقد هو العين الثالثة للإبداع فتلك بعض آراء النقاد والدارسين

«وقف في وجه الاحتلال الإنجليزي فتغرّب سبعة عشر عامًا»

لشعره يقول د. **محمد حسين هيكل**: بدت شخصيته بـارزة في شعره، وبدا شعره مـرآة بيئته وزمـانه، فلو أنـه عاصر الأقدمين وعـاش بينهم لكان لـه ما **للأخطل والفرزدق ولأبي فراس وبشار** من ذاتية يمتـاز بها عن غيره، ويقف بها في الصف الأول من هؤلاء الأقران المبرزين»

ويشارك د. **جمال الدين الـرمادي الـدكتور هيكل** في تقويم عمـل الرجل وتجربته:

«.. جعلنا نكاد نسقط من حسابنا هذه الألف من السنين، التي انقضت بين بدء انحلال **الشعر العربي**، وبين هذا الشـاعر الذي بعثـه إلى الحياة من جديد. فإذا كان البارودي قد بعث **الشعر العربي** واللغة العربية من مرقدهما، وردّ إليهما حياة ذبلت قـرونًا متعاقبة، فعملـه هذا إبداع لا ريب فيـه، وهو في عصر جديد كله.

وهو جدير لهذا أن يتسنّم ذروة المجد، وأن يجلس بين الخالدين»

أما د. **محمد صبري** فيرى أن «البارودي يمثل طور الانتقال أحسن تمثيل بشخصيته البـارزة في الشعر، فهو صلة متينـة بين شعر العرب القـديم والشعر العصري، وهو محيي دولة الشعر بعد العدم»

غير أن **مصطفى صـادق الـرافعي** يرى شـاعريـة البارودي مـن منظور مختلف:

«.. لم يكن شاعرنا كامل التصرف في فنون المعاني وإن كان أشعر من جميع معاصريه بلا مراء. غير أنـه أتم ذلك النقص بما أتقنه من جمال الصنعة وبديع الرواء. وأما نمط البارودي في النظم فهو غاية ما دارت له الألسنة، عذوبة تكاد ترشف، وجزالة تلعب بالنفس، وسلامة يستريح في ظلها القلب».

الألم الرومانتيكي

وإذا كان تصوير الألم من نصيب المدرسـة الرومانتيكية، فإن الألم في شعر البـارودي «أشبه بألم الـرومـانتيكيين الذين يتفشى الألم في شعـورهم وينطبع في شعرهم، وهو ألم يدل على رهافة شعـورهم إلى حد لا تستقر معه نفوسهم، بل تظل في اضطراب دائم وحيرة متصلة.»

من هنا فإن تجربته في المنفى زودته بأسلوب جديد في الكتابة لم يعرفه الأدب العربي القديم إلا لمامًا في بيت أو بضعة أبيات **للمعري** مع اختلاف الدافع، وتوحّده في وقت واحد عند **المعري والبارودي** إذ عاشا في عزلة وحبس، حبس

من تجاربهم

«هل ثمة تشابه - في العُزلة - بينه وبين المعرّي؟»



النظر والعزلة الاختيارية عند الأول، وحبس المنفى والجسد والنفس عند الثاني، وإذا كان حبس الأول اختياريا فقد انعكس على شعره .

«كأنّ نجـوم الليل زرق أسنـــــة ... بها من علـــى ظهـــر التراب طعين»

فالمعري يصف النجوم بالسيوف اللامعة الحادة التي تطعن كل مخلوق على ظهر الأرض فذلك إحساس رومانتيكي بالألم، عرفه **المعري** في بيت هنا أو بيت هناك، وربما عرفه **المتنبي** في بعض شعره حيث يقول :

«مـالنـا كلنـا جَـوٍ يـا رسـول ... أنـــا أهـــوى وقلبك المتبـــول

كلما عـــاد مـن بعثت إليهـــا ... غـــار مني وخـــان فيها يقـــول

أفسـدت بيننـا الأمـانـات عينـا ... هـا وخـانـت قلـوبهن العقـول»

ولكن **البارودي** تمثل الألم على طريقة الرومانتيكيين تمثلا شديد الشبه باتجاههم، مع أنه لم يتصل بالثقافة الغربية اتصال **خليل مطران** الذي «هذب الألم تهذيبا جديدا» بتعبير د. **جمال الدين الرمادي**.

فها هوذا يصور حاله في :

«فســواد الليل مـــا إن ينقضي ... وبيـاض الصبح مـــا إنْ ينتظــر

لا أنيس يسمع الشكـــــوى ولا ... خبر يـأتي، ولا طيـف يمـــــر

بين حيطـــان وبـــاب مـوصـــد ... كلما حـــركـــه السجـــان صرّ

يتمشى دونـــــــــه حتى إذا ... لحقتـــــه نبأة مني استقـــــر

كلما درت لأقضي حـــاجـــــة ... قـالت الظلمة : مهـلا لا تـدر»

وها هوذا يصور لوعته حيث يرثي زوجته التي جاءه نعيها عام ١٨٨٥م وهو في منفاه فيقول شعرًا حزينًا، يذكرنا بقصيدة (**أحمد بن دؤاد**) حيث يرثي زوجته فيركز على رضيعها منه في حين يـركـز **البارودي** على الفقيدة نفسها وعلى حاله بعدها :

«لا لـوعتي تـدع الفـؤاد ولا يـدي ... تقـــوى على رد الحبيب الغـــادي

يـــا دهـــر فيم فجعتني بحليلـــة ... كـــانت خـلاصـة عُـدّتي وعتـادي

ويخص موت ولده بمرثية يبث فيها مشاعره نحو ابنه الفقيد :

«كيف طـوتك المنـون يـا ولـدي ... وكيـــف أودعتك الثـرى بيـدي»

وهكذا كـان البارودي أحـد كبار شعـراء النزعـة إلى الألم، حيث كان الألم دافعا لهدير شلالات عبقرية من الشعـر جعلته بالفعل أحد الشعراء المعدودين في مجاله .

○ ○

من المكتبة السعودية





د. سعد البازعي

- **العنوان: ثقافة الصحراء دراسات في أدب الجزيرة العربية المعاصر**
- **المؤلف: د. سعد البازعي**
- **الناشر: المؤلف ــ الرياض ــ ط (٢) ١٤١٢هـ ــ ١٩٩١م**

فصول هذا الكتاب معظمها ـ في الأصل ـ محاضرات ورؤى نقدية منبرية، ألقيت على جمهور من المستمعين لا القراء، باستثناء عدد قليل من هذه الدراسات أعدت في صيغة مواد كتبت خصيصًا للنشر.

وتردد المؤلف أمام فكرة إصدار هذه المواد في كتاب. يقول في مقدمته: «مضت فترة ليست بالقصيرة وأنا أقاوم فكرة إصدار هذا الكتاب أو أؤجلها، ليس لأنني لم أجد محتوياته خليقة بالإصدار وإنما لأنني كنت أتطلع نحو دراسة واحدة متماسكة هي جماع الدراسات المتفرقة. كان طموحي، بتعبير آخر، أن أتوفر على تلك الدراسات فأعيد صياغتها بشكل كتاب ذي أطروحة أساسية تنبع منها الأبواب والفصول ثم تنصب ثم خاتمة».

ولم يجد المؤلف ــ في النهاية ـ مفرًا من تقديم هذه المواد أو الدراسات والرؤى النقدية، كما هي حين قدمت في أوقات متباعدة، وفي أماكن متفرقة، مكتفيًا بتعديلات طفيفة.

ولهذا فالكتاب ينقسم إلى أربعة أقسام على النحو التالي: أولا ـ الإطار المحلي ـ دراسات عامة:

يطرح فيه: الشعر الجديد ــ ثقافة الصحراء: ملامح الهوية المحلية ــ القصيدة وجغرافية الوعي ـ الانبعاث: تداخلات القصيدة والوطن ـ قراءة لأمسية الأحساء الشعرية.

ثانيا ـ الإطار المحلي ـ دراسات فردية:

يدور حول: المعادلة بين طرفين في شعر أحمد الصالح ــ قصيدتين لمحمد جبر الحربي: تداخلات العشق والوطن في «نحن وهم»، فاصلة الرفاق ــ قراءة لقصيدة «خلف فاصلة يرتمي قاتلي» ــ مرآة الحداثة المشروخة، قراءة أولية لأربع قصص لمحمد علوان ـ من المرآة إلى تجليات الإلهام، قراءة لقصة جار الله الحميد «رائحة السيدة الصغيرة» ـ دلالات الضجيج، قراءة في مجموعة صالح الأشقر «ضجيج الأبواب».

ثالثا ـ الإطار الخليجي: دراسات عامة:

يدور حول محورين: حول مفهوم الحداثة في الشعر العربي الخليجي المعاصر، القصة القصيرة وذاتية الخطاب: نماذج من البحرين والسعودية.

رابعًا ـ قراءات في الصحافة الأدبية

يتناول أعمالا إبداعية من خلال: ملحق «اليوم الثقافي»، ملف «أصوات».

هذه نظرة عامة إلى محتويات الكتاب وأقسامه الأربعة، لعلها كافية لإعطاء صورة معبرة عن مادة هذا الكتاب.

إبداعات جديدة

ومن الملاحظ أن الكتاب يركز ــ بوجه عام ـ على أدب الشباب، من خلال رصدٍ لإبداع الأجيال الجديدة تحليلا واستنتاجًا وتقويمًا.

ومن الملاحظ ــ أيضا ــ أن هذا الكتاب لا يتناول الفنون الأدبية كافة من قصيدة، وقصة قصيرة، ورواية، ومسرحية، بل يقتصر على القصيدة والقصة القصيرة.

ومن الملاحظ ـ كذلك ــ أن المؤلف حدد مجال بحثه في إطارين هما: الإطار المحلي (السعودي) والإطار الخليجي، دون أن يغفل أهمية الإطار العربي، عبر إشارات عامة إلى هذا الإطار.

لكن ما الذي يقصده المؤلف بالعنوان العام لكتابه «ثقافة الصحراء»؟

يقول المؤلف ـ في مقدمة كتابه ـ موضحًا هذا المفهوم الذي يحمل الكتاب عنوانه ودلالته: «مادمت في سياق الحديث عن مفهوم «ثقافة الصحراء» فإني أود أن أشير باعتزاز إلى أن الفضل في وصول ذلك المفهوم إليّ يعود إلى الأستاذ الناقد عبد الله نور الذي أكد على أننا نحتاج في السعودية على وجه الخصوص إلى ثقافة الصحراء لأنها هي تراثنا الخصوصي الذي يجعلنا في دائرة الثقافة العربية العالمية». والواقع أن هذا التأكيد يدخل ضمن إطار نقدي بدأ يتشكل في بلادنا منذ بواكير النهضة الأدبية الحديثة في منتصف الخمسينيات الهجرية حين صدر كتاب وحي الصحراء، وحين بيّن أدباء رواد مثل حسين سرحان أن «كل أديب لا يستوحي أدبه من الطبيعة الماثلة أمامه في كل شيء فليس لأدبه قيمة ولا ينبغي أن يلفت أنظارنا أو يستحق منا الاهتمام، والطبيعة العارية والطبيعة الكاسية هما عندي بمكان واحد بل قد يستلهم الكاتب البارع والشاعر المجيد من جبال الحجاز الجرد ومفاوز نجد المقفرة أسمى وأمتع مما يستلهمه من غابة بولونيا في باريس ورياض سويسرا...».

استطاع المؤلف أن يحقق هذا المفهوم لثقافة الصحراء، فجاء عنوانًا لكتابه، ومحورًا لموضوعه، من خلال كثير من النصوص الإبداعية المختارة سواء أكانت شعرية أم قصصية.

يقدم المؤلف مثالاً بقوله حول هذا المفهوم: «مفهوم ثقافة الصحراء مثلاً هو نتيجة التأمل في مدلولات شعرية مثل قول محمد جبر الحربي «أنا بدوي جفت مراعيه»، وقول محمد الثبيتي «وتلك في هاجس الصحراء أغنيتي»، وإعلان جار الله الحميد «إني أنتمي للقيظ من هذي البراري»، وعنوان غيداء المنفي «بدوية مهزومة في ضيافة ليل حضري»، إلى غير ذلك من مقولات تتضمنها القصة القصيرة والشعر على حد سواء».

لأن الأدب يأتي وليد بيئته وابن ثقافته فلا بد أن يعبر هذا الأدب عن ملامح البيئة التي ينتمي إليها من ناحية، والثقافة التي ينتسب إليها من ناحية أخرى.

وهذا ما نراه واضحًا في النماذج التي درسها المؤلف دراسة تحليلية نقدية، من خلال رؤى جديدة تسهم في تقريب المسافة بين المبدع والمتلقي.

وفي الوقت ذاته، يلقي المؤلف أضواء على قضايا وظواهر في الحركة الأدبية المعاصرة في السعودية، منها على سبيل المثال لا الحصر: الشعر الجديد أو شعر التفعيلة أو ما يسمى ـ خطأ ـ الشعر الحر، علاقة الشفوي بالكتابي، قلة النقد الأدبي، مفهوم معاصر، مفهوم الحداثة، ذاتية الخطاب، ظاهرة الصمت.

إن كتاب «ثقافة الصحراء» يطرح أفكارًا جديدة، ويثير قضايا أدبية ونقدية، ويحلل نصوصًا إبداعية في أدب الجزيرة العربية المعاصر.

من المكتبة السعودية







د. عبد القادر طاش

● **العنوان: المسلمون في الاتحاد السوفييتي/ مشاهدات وشهادات صحفية.**
● **المؤلف: د. عبد القادر طاش.**
● **الناشر: كتاب «الشرق الأوسط» (ط أولى) ١٤١٢هـ — ١٩٩١م.**

قام الكاتب برحلة إلى ما كان يُعرف بالاتحاد السوفييتي في أكتوبر ١٩٩٠م فشملت رحلته موسكو ومدينة طشقند عاصمة جمهورية أوزبكستان الإسلامية ومدينة سمرقند في الجمهورية المذكورة نفسها، ولعل بداية الرحلة هي أطرف ما فيها حيث يقول الكاتب إنه أعدّ للرحلة إعدادًا جيدا فقرأ الملفّ الذي يحتفظ به عن الاتحاد السوفيتي والمسلمين فيه، وطلب من مكتب جريدة «المسلمون» بالقاهرة والتي يعمل نائبا لرئيس تحريرها - إعداد ملف آخر، ووصل القاهرة يوم الأربعاء بعد أن تمّ الترتيب مع القنصلية السوفيتية للحصول على التأشيرة يوم الخميس، لكنه فوجئ بالقنصل يقول له: لا يمكن أن تمنح تأشيرةً إذا لم تكن هناك دعوة من جهة رسمية في الاتحاد السوفيتي، أو ترتيب مسبق مع شركة السياحة السوفيتية، هكذا هي الأنظمة!

وبعد محاولات، وفي مناخ الاغتباط بعودة العلاقات السعودية السوفييتية، وافق القنصل عل منحه التأشيرة وكان مقررًا أن يسافر يوم الجمعة، واتصل بالدكتور سامي عمارة مدير مكتب جريدة «الشرق الأوسط» في موسكو لإخباره بموعد الوصول، وكانت المفاجأة إذْ لا يمكن له أن يقيم في موسكو إذا لم يتمّ ترتيب مسبق للإقامة في فندق من جهة رسمية أو شركة سياحية هكذا هي الأنظمة!

اعتذر له الدكتور سامي عمارة بلطف حيث لن يتمكن خلال يوم واحد من ترتيب الأمر، واقترح تأجيل السفر لمدة أسبوع، فتأجّل السفر إلى يوم الأحد على أمل أن تُحلّ المشكلة!

في مساء الخميس التقى بالمستشار السياسي للسفارة السوفييتية فعرض عليه الأمر فكرّر «هكذا هي الأنظمة» وقال إن سفارات الاتحاد السوفييتي رفضت إعطاء تأشيرات لأكثر من أربعين ألف رجل أعمال غربي بسبب عدم توافر إمكانات إقامتهم في موسكو التي لا يوجد بها سوى عدد محدود من الفنادق!، وأضاف: «لا تحاول المغامرة» وأقترح تأجيل السفر!

وبدأت الاتصالات ببعض شركات السياحة، وبذل السفير المصري في موسكو الأستاذ أحمد ماهر مجهودا، ثم فرجت على يد مفتي المسلمين في آسيا الوسطى وقازقستان محمد صادق محمد يوسف الذي قال: كل شيء يُرتّب دون إبطاء وسيكون ممثلي الشخصي في استقبالك بمطار موسكو..

ولعل في قصة الرحلة ما يغني عن الكثير من القول عن البيروقراطية التي اشتهر بها النظام السابق..

وعليكم السلام:

وصل المؤلف إلى موسكو ووجد في استقباله اثنين من مسلمي «الاتحاد السوفييتي»، عرفهما من «الطواقي التي يلبسانها، أحدهما كان مبعوث مفتي آسيا الوسطى وقازقستان، لمرافقته خلال الزيارة، أقام في فندق متوسط المستوى، قضى أربعة أيام في موسكو، شاهد الكرملين والميدان الأحمر وتجول في الأسواق وركب حافلات النقل العام وأقام الصلاة في مسجد موسكو، وزار جامعتها ومكتباتها، والتقى ببعض المسؤولين وتحاور مع بعض المثقفين، ثم أعطانا معلومات عن خلفية النظام الشيوعي الذي عاش في ظله ما كان يُعرف بالاتحاد السوفييتي لسبعين عاما ومحاولات التغيير التي قام بها خروشوف ثم استئنافها في عهد جورباتشوف.

حين دخل في الطائرة المتجهة إلى طشقند عاصمة جمهورية أوزبكستان الإسلامية قالت له مضيفة الطائرة: «السلام عليكم» فكانت أول رمز لعالم آخر هو مقبل عليه، ثم تحدثت المضيفة مع الركاب باللغة الأوزبكية (القريبة من التركية) ولاحظ الكاتب السعادة على وجه مرافقه المسلم الذي قال له: «لم نكن قبل سنوات نسمع لغتنا القومية بعد أن كانت اللغة الروسية هي المهيمنة، الآن أصبحت لغتنا هي اللغة الرسمية لجمهوريتنا بعد أن كانت محرّمة!».

تجوّل في المدينة الإسلامية - طشقند - والتقى بسماحة مفتي آسيا الوسطى وقازقستان الشيخ محمد صادق محمد يوسف وتناول الغداء على مائدته وشاهد النقوش الإسلامية التي تزيّن مكتبه، وحضر صلاة الجمعة في المسجد الكبير، وقبل الصلاة ألقى المفتي درسًا باللغة الأوزبكية، ثم قام الإمام بإلقاء خطبة الجمعة باللغة العربية، وبعد الصلاة قام المصلون جميعا بأداء السُنّة ثم قاموا بالتسبيح وراء الإمام، ثم قام أحد حفظة القرآن بتلاوة آيات بيّنات، ثم قاموا بالسلام على المفتي ومصافحة بعضهم بعضا، وتطرق الحديث إلى قضية فلسطين، فأنكر المفتي في درسه الأسبوعي على اليهود الغاصبين أعمالهم الإجرامية، وطالب مسلمي آسيا الوسطى أن يتذكروا أن مسجدهم الأقصى لا يزال يئن تحت الأسر اليهودي. واغرورقت عينا الكاتب وهو يشاهد حرارة إسلام هذه الجموع التي حاول الملاحدة قطع صلتهم بإخوانهم المسلمين في الخارج، وتأثر أكثر حين رآهم يقومون بأداء صلاة الغائب على أرواح الشهداء الذين كانت إسرائيل قد قتلتهم أثناء زيارة الكاتب لطشقند.

ثم أطلعنا على بداية دخول الإسلام إلى هذه الديار في عصر الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بقيادة الصحابي حذيفة بن اليمان عام ١٨هـ (٦٢٨م). ثم في عهد الوليد بن عبد الملك فُتحت بخارى وسمرقند وفرغانة وطشقند حيث كانت هذه البلاد تُعرف باسم بلاد ما وراء النهر، وقامت هناك ممالك إسلامية قوية في القرنين الثامن والتاسع الميلاديين، وظهرت فيها جماعة خيّرة من المحدثين والفقهاء والعلماء كالإمام البخاري والمحدث عبد الله بن المبارك والإمام الترمذي والإمام السجستاني والإمام السرخي والإمام فخر الدين الرازي وغيرهم، وقد كانت إمارتا موسكو وكييف تدفعان الجزية لدولة التتار المسلمين فترة تصل إلى قرنين ونصف القرن إلى أن ضعفت دولة التتار المسلمين وجاء القيصر الروسي إيفان الثالث ليعلن استقلال موسكو ويشن حربًا صليبية على المسلمين، وفي عام ٩٦٠هـ (١٥٥٢م) قام إيفان الرابع المسمى بالرهيب — لكثرة ما ألحق بالمسلمين من قتل وذبح - بغزو الأقاليم الإسلامية وضم إليه قازان — عاصمة تتاريا - واستراخان وسائر أراضي المسلمين الخصبة الواقعة على نهر الفولغا ثم أكمل خلفاؤه غزوهم للقفقاس التي كانت خاضعة للخلافة العثمانية السنية والدولة الصفوية الشيعية، ثم سقطت بقية البلدان الإسلامية في أيدي الروس تباعا، ولما جاءت الثورة البلشفية عام ١٩١٧م عمد قائدها «لينين» إلى خداع المسلمين ليكسبهم إلى صفه فأصدر بيانًا موجها إليهم يقول فيه: إننا نعلن احترامنا لدينكم ومساجدكم، وأن عاداتكم وتقاليدكم حُرَّة لا يمكن المساس بها وكذلك حقوقكم الدينية والمدنيّة، ثم كشف عن حقيقته بعد انتصاره على خصومه الآخرين بأن بدأ

حملته الإرهابيّة ضد المسلمين عام ١٩١٨م، وقامت حملات الإلحاد على قدم وساق.

آثار إسلامية:

وصل المؤلف إلى قرية «خرتنك» التي تبعد نصف ساعة عن سمرقند (والتي دفن فيها الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري) تجول فيها وفي مدينة سمرقند وشاهد آثارها الإسلامية وأسواقها التي تشبه أسواق المدن الإسلامية، وأهداه إمام مسجدها كتابًا عن المسلمين في «الاتحاد السوفييتي»، وثمة خلاف حول عددهم، فيقول بعضهم: إنهم أربعة وخمسون مليونا، ويقول آخرون بل يرتفع العدد إلى سبعين مليونا، وأهم ما في الأمر أن البلاد تشهد صحوة إسلامية متناهية، ولعل تأثير الجهاد الأفغاني كان واضحًا عليهم للموقع الجغرافي القريب. واليوم ـــ بعد التطورات التي حدثت ـ أصبح المسلمون يقولون «نحن هنا»، فقد طالبوا بحقوقهم وبدؤوا يعبّرون عن أنفسهم في المطالبة بخفض نفقات الحجّ، وإقامة المؤتمرات الإسلامية، ومناقشة قضاياهم التي كانت لا تناقش، وتشييد المساجد الجديدة، وإعادة فتح الكثير من المساجد التي كان الشيوعيون قد أغلقوها، وتوسيع مجال التعليم الديني، وإقامة المعاهد لذلك، وتكوين مجموعات دراسية في المساجد لكبار السن من الرجال والنساء، وإحياء التراث الإسلامي، وإعادة الحرف العربي إلى الكتابة الأوزبكية فضلاً عن الجوانب الاقتصادية مثل تطوير صناعة النسيج وتأسيس الشركات الزراعية بالتعاون مع هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية بالسعودية.





د. زيد بن عبد الكريم الزيد

- **العنوان: العفو عن العقوبة في الفقه الإسلامي**
- **المؤلف: د. زيد بن عبد الكريم الزيد**
- **الناشر: دار العاصمة / الرياض. ط١: ١٤١٠هـ/ ٥٩٨ص**

يُعد الكتاب رحلة علمية في آفاق سماحة ديننا الإسلامي الذي يحث على التيسير لا التعسير، حلّق فيها المؤلف في زاوية فقهية؛ هي «العفو عن العقوبة»، والكتاب في أصله أطروحة علمية حصل بها صاحبها على درجة الدكتوراة مع مرتبة الشرف الأولى من المعهد العالي للقضاء في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض..

بدأ الباحث كتابه بتمهيد حدّد فيه نطاق البحث وهو العفو باعتباره أحد مُسقطات العقوبة، وفي الأبواب التالية أورد بعض أدلّة العفو من الكتاب والسنّة وأوضح شيئًا من مشروعيّة العفو بأنه يصحّ بكل مادلّ على إرادة وليّ العفو في إسقاط العقوبة، وقسّم صُور العفو إلى أربع صُور هي: العفو عن الجريمة، العفو عن العقوبة كلها، العفو عن بعض العقوبة، إبدال العقوبة بعقوبة أخفّ، ورجّح رأي ابن القيّم وابن حزم في إطلاق يد القاضي في قبول كل ما يراه مثبتًا للعفو، كما تحدث عن العافي (الذي عفا) وقسّم القول فيه إلى أربعة فصول هي: في عفو المجني عليه، وفي عفو الوارث، وفي عفو الأب والوصي، وفي عفو وليّ الأمر ـ وقال: إن الأصل أن يكون العفو من المجني عليه ثم بيَّن خلاف الفقهاء في عفو المجني عليه عن عقوبات لا تثبت مع حياته ـ كالقصاص في النفس ـ ورجّح تصحيح عفوه عن دمه مطلقًا، أما عفوه عن ديته في الخطأ فتصحّ من الثلث فقط، وهو رأي الجمهور، كما بيّن عدم صحة عفو الورثة عن العقوبة في حياة المجني عليه، وتوصّل إلى أن العفو عن الدية والقصاص في النفس وما دونها والقذف والتعزيز، حق لجميع الورثة.

عقوبات تعزيرية:

وتحدث عن سلطة وليّ الأمر في العفو وقسّم مهمته قسمين: إمّا نائب عن قاصر، أو ممثل لجماعة المسلمين، وقال إن سلطته بصفته نائبًا عن قاصر، تماثل سلطة الأب والوصيّ.

أمّا سلطته كممثل لجماعة المسلمين، فقد فرّق فيها بين حالتين ـ الأولى: عندما يكون المجني عليه أو وليّه موجودًا، وهذه قسَّم فيها النصوص إلى نوعين: الأول: نصوص تحظر على وليّ الأمر العفو، وهي إمّا أن تمنع العفو على إطلاقه، كالعفو عن الزنى والسرقة ونحوها وتجعله جائزًا، ولكن للمجنيّ عليه أو لأوليائه فقط، كالقصاص والدية.

والنوع الثاني: نصوص أجازت للإمام حقّ العفو وذلك في العقوبات التعزيريّة لحق الله سبحانه وتعالى إلاّ ما استُثْنِيَ، ومن هذا: العقوبات التعزيريّة التي ورد النصّ بها.

أمّا الحالة الثانية فعند موت المجنيّ عليه وعدم معرفة وليّه. وقد بيّن فيها ترجيح قول الجمهور الذي أعطى لوليّ الأمر الحق في العفو عن القصاص على الدية متى تحقّقت المصلحة في ذلك، أما العفو مجانًا فلا يصحّ.

كذلك تحدث عن المعفوّ عنه وقسّم القول فيه إلى فصلين، الأول منها عن شروط المعفو عنه فقال إنه من كان ذا أهلية للعقاب وارتكب ما يوجبه، ثم وقع العفو عنه ممن يملكه، وتكون العقوبة مما يصح العفو عنها

وفي الفصل الثاني تحدث عن تعدّد المعفو عنهم، أي الجناة، وبيّن عدم تأثير العفو عن بعضهم في سقوط العقوبة عن الآخرين.

كما فصّل القول في محل العفو (العقوبة المُسْقَطَة بالعفو) وبيّن أحكامه في أربعة فصول:

الأول في العفو عن القصاص والدية وخلص إلى أن القصاص عقوبة يجوز العفو عنها من المجني عليه أو وليّه وأنه على مرتبتين، عفو مجاني، وعفو عن الدية، ويُستثنى من جواز العفو عن القصاص القتل غيلة.

ثم بيّن أن الدية تجمع بين معنى العقوبة والتعويض، وأنها حق آدمي يجوز للمجنيّ عليه أو أوليائه العفو عنها.

في الفصل الثاني تحدث عن العفو عن الحدود وفصّل القول فيها في ستّة مباحث:

الأول: في العفو عن عقوبة الزنى وتوصّل فيه إلى أن الشرع الإسلامي ضيّق سبل إثبات الزنى سترًا على الناس، ولما كان قد اعتبر الإقرار يكاد يكون هو الوسيلة الوحيدة، اشترط تكرار الإقرار، ومن ثم فإن من يقرّ ويكرر لا يطلب العفو بل يطلب التطهر بالعقوبة، ثم بيّن أن الزنى اعتداء على حق الله وحق المخلوق، وحق الله لا يجوز العفو عنه، وأن كل ما يملكه الإمام هنا ويمكن أن يأخذ صورة العفو هو المكان الذي يُغَرَّب فيه الزاني، ذلك أن التغريب من حيث أصله لازم حَتْم لكن المسافة التي يُغَرَّب إليها هي محل اجتهاد الإمام ونظره.

بالنسبة لحق الآدمي قال إن العقوبة تقام لحق الله فقط، أما حق المخلوق فلا عقوبة عليه في الدنيا، بل عقوبته أخروية علمها عند الله سبحانه.

في المبحث الثاني تطرّق إلى العفو عن عقوبة القذف فبيّن أن للقذف أربع عقوبات، الأولى هي الجلد ثمانين جلدة، وهي عقوبة حدِّية لحق الآدمي يجوز العفو عنها من المقذوف أو من أوليائه من بعده، والثانية هي تفسيق القاذف ـ وهي ليست عقوبة ملازمة للقاذف لا يتمكّن من الخلاص منها، بل إن بيده تفاديها بمجرد إعلانه التوبة.

والعقوبة الثالثة هي ردّ الشهادة، وقبول شهادته معلّق على توبته من القذف، فإذا تاب زال فسقه وبالتالي

مِنَ المكتبة السعودية

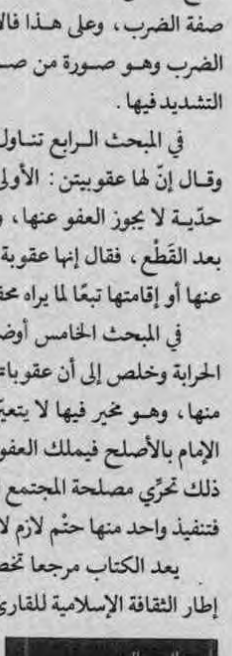
قُبلت شهادته، والرابعة خاصة بالأزواج وهي الفرقة الأبدية.

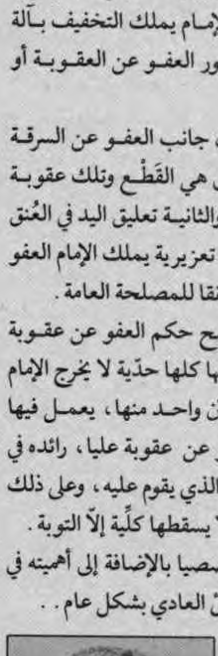
في المبحث الثالث بيّن حكم العفو عن عقوبة شرب الخمر، وقال إن ما ترجّح عنده هو أن عقوبة الشرب تجمع بين الحدّ والتعزير، منها أربعون جلدة حدًّا وللإمام أن يزيد إلى ثمانين تعزيرًا وبالتالي يجوز للإمام أن يعفو عنها أو عن بعضها لكن لا يجوز له النقص عن أربعين جلدة، إذ هي عقوبة حدّية متحتّمة لحق الله سبحانه، ثم بيّن أن سلطة وليّ الأمر في العفو عن هذه العقوبات تتّسع لتشمل جانبًا آخر هو أن له الحق في الاجتهاد في صفة الضرب، وعلى هذا فالإمام يملك التخفيف بآلة الضرب وهو صورة من صور العفو عن العقوبة أو التشديد فيها.

في المبحث الرابع تناول جانب العفو عن السرقة وقال إنّ لها عقوبتين: الأولى هي القَطْع وتلك عقوبة حدّية لا يجوز العفو عنها، والثانية تعليق اليد في العُنق بعد القَطْع، فقال إنها عقوبة تعزيرية يملك الإمام العفو عنها أو إقامتها تبعًا لما يراه محققا للمصلحة العامة.

في المبحث الخامس أوضح حكم العفو عن عقوبة الحرابة وخلص إلى أن عقوباتها كلها حدّية لا يخرج الإمام منها، وهو مخير فيها لا يتعيّن واحد منها، يعمل فيها الإمام بالأصلح فيملك العفو عن عقوبة عليا، رائده في ذلك تحرّي مصلحة المجتمع الذي يقوم عليه، وعلى ذلك فتنفيذ واحد منها حتْم لازم لا يسقطها كليّة إلاّ التوبة.

يعد الكتاب مرجعا تخصصيا بالإضافة إلى أهميته في إطار الثقافة الإسلامية للقارئ العادي بشكل عام..





عبدالعزيز الصقعبي

● العنوان: رائحة الفحم (رواية).
● المؤلف: عبد العزيز الصقعبي.
● الناشر: المؤلف.

منذ سنوات قرأنا لعبد العزيز الصقعبي - وهو مبدع جيد ــ مجموعته القصصية «لا ليلك ليلي ولا أنت أنا»، فرأينا استعدادًا طيبًا لإبراز حقائق إنسانية تجعل للحياة أبعادًا غير مألوفة، حتى عندما تكون أشبه بالتعليقات على بعض الأشياء العرضية أو التافهة!

كان إذ ذاك يبدو متأثرًا بقصص معيّنة لكبار مبدعينا، إلا أنه مع ذلك ظل محتفظًا بملامحه التي تبشر بخصوبة واعدة. ولكننا لما قرأنا «رائحة الفحم» من حيث هي رواية قصيرة Novella أصبنا بخيبة أمل؛ فمن ناحية رأينا محالاً أو إيغالاً في الخيال بطريقة دمرت الحبكة القصصية تدميرًا غير مبرر.

ومن ناحية ثانية لمسنا عرق الجهد المبذول في غير طائل، وكأنه ثمرة لإدارة طموح لم تسعفه عليه قدراته الحقيقية، حتى ظن أن مجرد «الديالوج» القصصي يمكن أن يخلق منه كاتبًا مسرحيًا. ولقد كشف ما جاء في الجزء الأول من روايته عن هذه الرغبة الدفينة، وذلك من خلال بطل الرواية. فثمة حوار مع ذاته يكسر حدة غنائياته الشاعرية في التصوير:

«لأتركك تتحدث عن نفسي كما أتوهمها أنا، وعندما أجد أنني مجرد بطل مأسوي يصلح لمأساة مسرحية تضج قاعة المسرح بالتصفيق بعد انتهاء فصولها الثلاثة. يالهذا العناء، لكم أنت مبدع حقًا حينما ترسم وجهًا مليئًا بالصخب» ص (١٠).

وبعد ذلك بقليل ص (١٥ ــ ١٦) غنائية جميلة يتخللها حوار ثم غنائية «ذلك الذي لا يحمل وجهًا يرتحل بحثًا عن أرض مملوءة بالكلأ» يعقبها حوار يقص فيه أو به أحداثًا يختمها بقول أحد المتحادثين ــ وهما سعيد وسعيد ــ «غائبًا كنت عيونًا تتلاشى في الأفق.. كنت الأرق».

وتتوالى الحواريات الذهنية التي يصفق فيها لنفسه «هائل.. هائل، أنت قادر على كتابة هذا العمل المسرحي» ونفسه تسأل «تلك الأجناس البشرية المتعددة، أأستطيع أن أكتب عنها؟» والجواب: «ولِمَ لا..؟ لقد دوّنت تصرفات كل واحد منهم بدقة»، والتعليق عليه من الآخر «ولكن من الصعوبة أن أوجد قضية لتصبح محورًا لهذا العمل المسرحي الذي سأكتبه» ص (٢١).

إن هذا الذي سميناه بالجهد المبذول في غير طائل - وأسهبنا في الجانب الخاص بحواريات الصقعبي التي تسرد كثيرًا ولا تفعل ــ يرجع أيضًا إلى أنه ينحت في صخر. فقد اختار تدمير الحبكة الروائية التقليدية، ووقف في صف مع أدباء الوجودية في محاولاتهم لإيجاد الرواية النقيض.

ويبدو هذا طيبًا بشرط، هو أن «الجوهر» أصعب من أن يطرح طرح التاريخ. ومن ثم يستعاض عن «متانة الشكل» بفضفاضية البنية باعتبارها أنساقًا لغوية تتعقد فيها وبها الدلالات الاجتماعية، وتتحطم تحركات الزمن على اطراد الوهم والحقيقة، والحلم والواقع وما يتفق لهذه جميعًا من إيقاعات متناغمة، وربما متنافرة في إطار «الحدوتة» المطروحة.

بالإضافة إلى أن لغته أثقلت بعبارات استهلكت نفسها اجترارًا وتكرارًا (مثلاً: مارس الصدفة، مارس الصدق، مارس الاحترام، مارس الفرح، مارس الأشياء - كذا!! - مارس العنف، مارس الغربة).. وقد احتكم بهذه اللغة إلى التداعي أساسًا، وهذه لعبة فنية شديدة الخطورة.

كذلك إلى غنائيات - وهي جميلة من غير شك - تردى فيها السياق كثيرًا ولا سيما في فوضى الدلالات على الوسط المحيط بشخصياته، وهذا ما أعاقه عن مَزْج جميع عناصر المواقف مزجًا مقبولاً ومعقولاً. ثم بدت كل الشخصيات - ومنها شخصية (سعيد) بطل الرواية - عوامل هدم للبنية الروائية.

والرواية بعد ذلك - وهي لا تكاد تدخل في هذا النوع الأدبي - حكاية ساذجة بله تافهة. فسعيد الذي يبدو كما لو كان يقتطع لنا جزءًا من سيرته الذاتية، مشجوج الجبهة، مخفق في دراسته، وعمل كمحاسب في متجرة صغيرة بحيّه أو بحارته السرايية. إلا أن هذا المشجوج مثقف ثقافة ذاتية، وهو أيضًا فنان متعدّد الجوانب.

ولما كان قد شَحَنَ نفسه ضد أبيه الذي يكرهه وضد عمه الذي دأب على مهاجمته، فقد صارت لديه قناعة (والكلمة مستخدمة عشرات المرات خطأ لأنها لا تعني ما يقصده وهو الاقتناع) بأنه مضطهد، وأنّ عليه أن يواجه العالم كله. وفي المواقف الأخيرة من الرواية يبوء بالإخفاق في حبه.

وعمه هذا كانت له بنت اسمها (هدى)، كان سعيد يحبها.. تزوجت بغيره وأنجبت بنتًا سمّتها (دينا). وتطل شخصية (شوق) زوجة لأخيه، وقد توفاها الله تاركة وراءها ثلاثة أطفال. وبجانب أخته، تبدو هذه الشخصيات باهتة بلا استثناء.

وفي حالات جنون وهذيان وهلوسة يكرّ راجعًا إلى صديق قديم، فيخبره هذا الصديق بأنه رأى (ليلى)، وكانت هذه تشرف على تمريضه في المستشفى الذي عولج فيه على ما ظهر في الجزء الأول من الرواية. وهنا - أي في الجزء قبل الأخير - يهرع إلى المستشفى ليفاتحها في الزواج بها، فيخبره الطبيب الذي عالجه بأن (ليلى) صارت زوجًا لأحد زملائه، وهنا مرة أخرى يدرك أن كل شيء كان سرابًا.

والغريب أن الرواية لا تنتهي بذلك، إذ لا تزال هناك (عفيفة) تشارك في تشكيل مدينة تحترق، ولم يستطع هو أن يمارس الحلم ليعيد بناء المدينة بيديه. سمعت أحدهم يقول: «ما علاقة الفحم بتلك الأسماء؟ شعرت برغبة في النوم - وكان إذ ذاك في المستشفى - لقد أجهدت كثيرًا هذه المرة.. هل ستسعد (عفيفة) بتلك المدينة السرايبية أم أنها ستحترق مع الفحم؟» ص (١١٢).

ولما أفاق من هذيانه، وجد أن (ليلى) ماثلة أمامه، فصرخ وسقطت حقنة الدواء من يدها.. وانتهى كل شيء. ص (١١٤).

طائر الحجل

بقلم: د. عارف تامر

الحجل طائر جميل ينتمي إلى رتبة الدجاجيات : **Galliformes** : وإلى فصيلة التدارج : **Phasianidae** التي تضم الحجل، والسماني «الغري» ، والتدارج «**Faisans**» والطاووس وغيرها. والحجل طائر عنيد، متوسط القدّ، يطارده الصيادون للظفر بلحمه الطيب المذاق، وللمتعة والتسلية، ولكن اصطياده ليس بالأمر السهل، فهو معروف بسرعة ظهوره واختفائه.

معظم أنواعه تتميز بالذَّنَب المحمر الذي يتضح خلال الطيران، وأكبر أنواعه هي التي تعود إلى الجنس «ALECTORIS».

يألف الحجل المناطق الصخرية ذات الغطاء النباتي قليل الارتفاع، ومنحدرات الأودية السحيقة، ويتميز غالباً بشريط أبيض يعلو العين من الجانبين، وحلق أبيض أو رمادي تطوقه قلادة من شريط أسود وقد يختفي هذا الطوق أو القلادة من بعض الأنواع، كما قد يختفي اللون الأبيض من منطقة الحلق ليحل محله اللون الأصفر الباهت أو الرمادي، كما يتميز بالأشرطة الملوَّنة بالسواد على الخاصرة، وتعتبر الأشرطة الموجودة على الخاصرة بألوانها المختلفة من علامات تمييز بعضه عن بعضه الآخر. أما لون المنقار والأرجل فأحمر وردي باستثناء بعض نادر، وبشكل عام لا يمكن تمييز الذكر عن الأنثى، وقد يكون الصوت من العوامل التمييزية، وقد تتقارب الصفات لدرجة أن الفروقات قد تضيق بين نوعين حتى يتشابه على الباحث المتخصص. وهناكَ تداخل في التسميات التي يطلقها الصيادون على الحجل. وتوجد تسميات متعددة لهذا الطائر تضمنتها موسوعات الطيور وبعض كتب التراث العربي، منها:

الحجل الأحمر، الحجل الرومي، الحجل الفلسطيني، حجل سيناء، الحجل التهامي، الحجل العراقي، الحجل البربري. وهنا نقدم صورة شاملة لحجل «سورية»، أما الحجل في البلاد الأخرى فستتحدث عنه معتمدين على أشهر الخرائط العالمية لتوزيع الطيور في العالم مع صور للمقارنة وكل هذا مقتبس من كتابنا المعد للطبع «طيورنا السورية» الذي كتبناه مع أسعد الفارس.

إن محبة الإنسان لهذا الطائر جعلته ينقله معه في تنقلاته وترحاله من قارة إلى أخرى وكثيراً ما نقل أزواجاً منه عن قصد، أو عن غير قصد، في سبيل توزيعه وتكثيره.

فالضباط الفرنسيون عندما كانوا في سورية أحضروا من فرنسا بعض أزواج من الحجل وأطلقوها في براري جرابلس ومنبج ومعرة النعمان، فتكاثرت ولا يزال يوجد منها بقايا، وهذا النوع هو المعروف «بالحجل الأزرق» "PEDRIS - Gris" الشائع

الحجل أحمر الساق



في **فرنسا وعموم أوروبا**. كما أن **هذا النوع من الحجل أدخل إلى الأراضي** الأمريكية، فانتشر بكثافة في جنوب **كندا** وشمال **الولايات المتحدة الأمريكية**، ولذلك لا نستبعد أن نذكر الحجل **التهامي** مثلاً وهو الغريب عن البيئة السورية في جنوب سورية. وقس على ذلك.

«الحجل أحمر الساق»
"Red - Legged - Partridge"

الاسم العلمي "Alectoris-Gufa". أخذ هذا النوع من الحجل اسمه من لون ساقه الأحمر، ومنقاره الأحمر أيضاً، بالرغم من أن هذين اللونين للأرجل والمنقار ليسا حكراً عليه وحده.

يبلغ طوله أربعة وثلاثين سنتيمترا، وتتميز أفراده البالغة بالحلة البنية الضاربة للحمرة على الرأس، وعلى أقسامه العليا لطخة متموجة صفراء، والخاصرة مخططة بالأسود، وبخط أبيض يعلو العين من الجانبين، وبشريط أسود يمتد من المآقي حتى خلف العين، ثم يهبط ليختلط باللون الأسود والتوشيات السوداء المتناوبة مع اللون البني في أعالي الصدر، والبياض المائل في الحلق، ويختلف لون اليافع قليلاً عن البالغ.

يتوزع هذا النوع في **أسبانيا والبرتغال وجنوب غرب فرنسا، وفي انكلترة والجزر الغربية في البحر الأبيض المتوسط**، وقد اشتهر وعرف بالحجل الأحمر، وصوته يشبه صفير الآلات البخارية.

«الحجل البربري»
"Barbary - Partridge"

الاسم العلمي A. Barbara ويبلغ طوله ثلاثة وعشرين سنتيمترا، ظهره بني ضارب للحمرة، وكذلك الرأس والخاصرة مخططة بأشرطة سوداء، والصدر بني محمر، والعنق رمادي، والأرجل حمراء، والمنقار أحمر والبطن أصفر، وقد تكون هناك علامة فارقة تميزه عن غيره، وهي شريط كستنائي اللون ملطخ بلطخ بيضاء يطوق جانبي العنق وأعالي الصدر بطوق جميل، ويضعف في المساحة كلما صعد حتى يصل إلى خلف العين، وفوق العين شريط أبيض شاحب يميل نحو الرمادي.

هذا النوع من الحجل لا يوجد في **سورية**، ويتوزع في المنحدرات والصحارى العشبية وفي المناطق المشجرة القليلة الكثافة من الشمال **الأفريقي وليبيا وتونس والجزائر المغرب**، ولذا يسمى بالحجل المغربي، أو البربري، وصوته لا يختلف عن صوت الحجل السوري «المقوقئ».

«الحجل المقوقئ»
"Chukat"

الاسم العلمي: "Alectoris - Chukat" والجسم معتدل بين الضخامة والصغر. يبلغ طوله ثلاثة وثلاثون سنتيمترا. يميل لونه العلوي إلى الربدة الرصاصية، وتعلو أمواج زرقاء الرأس والعجز - وأمواج حمر في الظهر والرداء. والعنق ومقدم الصدر الأعلى فيه بياض مطوق بالأسود، وذنبه قصير، كما أن صدره وبطنه تعلوهما أمواج صفراء عند البطن وعيناه مطوقتان بالأحمر، والحدقة خروبية اللون، والمنقار أحمر، ورسفاه وأصابعه حمراء فاتحة، ومخالبه حادة، سوداء اللون، والأنثى أصغر من الذكر.

يتميز الحجل المقوقئ بالطوق الأسود في عنقه، والذنب قصير وفيه الريشات التحتانية تميل إلى الحمرة.

وكما ذكرنا فإن الذكر أكبر من الأنثى ويتميز بالمهاز أو الكعب الذي ينبت في ساقه كل عامين، وأيضاً بصوته القوي، ورقبته المائلة إلى الطول، ورأسه الأكبر حجماً، وأيضاً بدفاعه عن نفسه أكثر من الأنثى، وهو أشبه بالحجل الرومي أو الصخري، ولكن السواد أقل انتشاراً في المآقي، والحلق شاحب مصفر كما أن القلادة السوداء والعنق وأعالي الصدر تبدأ بمساحة أوسع منها عند الحجل الرومي، أيضا الأشرطة على الخاصرة أقل عدداً وانتشاراً ولكنها أعرض من الأشرطة التي على خاصرة الحجل الرومي.

يقوم الحجل المقوقئ **ببناء العش على الأرض بين الشجيرات والأعشاب**، ويبطنه بالحشيش والريش الناعم، وتضع الأنثى من اثنتي عشرة إلى ثماني عشرة بيضة تحضنها لمدة شهر بمعزل عن الذكر، وعندما يتم التفقيس يقوم الذكر بالحراسة، والفراخ تستطيع السير وراء أمها منذ اليوم الأول، وهي عندما تشعر بالخطر تتفرق ولا يمكن العثور عليها، ومن المؤكد أن الفرخ ينام على ظهره ويمسك ريشة أو غصنا بأرجله حتى يصعب تمييزه.

يفرّخ الحجل المقوقئ مرة في العام، ومرتين في سنين الخصب، وعندما يتعرض البيض للتلف يتغذى الحجل المقوقئ بالبذور والطحالب واليرقات والحشرات والحبوب والأعشاب الغضة والحبوب، والحجل الصغير يتغذّى بالنمل، وقد قال بعضهم أن الحجل الذي لا يأكل بيوض النمل وهو صغير لا يعيش، ومن عاداته أن يجاور الأرض المزروعة بالقمح والشعير، وهو يقوم برحلات يومية تبتدئ من الفجر للتفتيش عن الغذاء، وكثيراً ما يقطع مسافات بعيدة.



الدراج مضاعف المهاز

ينتمي إلى فصيلة الطـــــاووس .. لـكنّـه عنــيد عنـيد!

يعرف الحجل بمعدته الحامية، لهذا فإن الماء من المواد الضرورية له ولذلك فكثيراً ما يرتاد الينابيع مرة أو مرتين في اليوم. أمّا في الجبال التي ليس فيها مياه فهناك «نبتة» لها «بصلة» صغيرة، وهي ذات جذور كجذور ــ البصل، ولها حبة معلقة بها كحبة البطاطا وتكون مليئة بالماء، ومن الواضح أن الحجل يستعيض بها عن الماء في شهور الصيف، لهذا كثيراً ما نشاهد حفريات هذا الطائر عليها بمنقاره، وكثيراً ما نشاهد قشور هذه الحبة أو القارورة الصغيرة.

يتوزع على قمم ومنحدرات الجبال، والسهول كثيرة الأدغال ذات الشجيرات القصيرة، وهو يطير طيراناً بطيئاً مستقيماً وسريعاً، ويُحدث ضجة كبرى عند طيرانه، خاصة إذا كان منزعجاً.

وهو يتوزع ويستوطن جنوب **أوروبا، وغرب آسيا وتركيا والعراق وبادية الشام وسورية وفلسطين والأردن ولبنان وشمال الجزيرة العربية حتى العقبة**. وهو حجل **سوريا** الشائع والأصيل الذي خلط الباحثون بينه وبين الحجل الأحمر الساق من جهة والحجل الصخري «الرومي».

هذا ومن الملاحظ أن السلالات الصحراوية التي تعيش في أرض سهلة ومنخفضة تكون عادة أصغر حجماً من السلالات التي تعيش في الجبال المرتفعة، ويتقن الحجل المقوقئ الركض أكثر من الطيران، والمسافة بين جناحيه من ثمانية إلى خمسة عشر سنتيمتراً.

«الحجل الرومي»
"Rock Partridge"

والاسم العلمي A. Grarca ويبلغ طوله أكثر من ثلاثين سنتيمترا. المنقار أحمر والأرجل حمراء أيضاً، والذنب أحمر من الأسفل، والظهر بني رمادي وأفتح لوناً من الحجل **السوري** - والرأس كذلك، والحلق أبيض، والقلادة السوداء موجودة ولكنها تصبح ضيقة نسبياً، والبطن ذو لمعة ومموجة صفراء، ولكن هناك علامات دقيقة تميزه عن الحجل **السوري**، منها اتساع اللون الأسود على المآقي، كما أن الأشرطة السوداء كثيرة على الخاصرة، وقليلة العرض، بعكس الحجل السوري المقوقئ وله أصوات مزعجة عالية عند النفور.

وهو يتوزع في **ايطاليا واليونان وبلغاريا ويوغسلافيا وجنوب فرنسا، وألمانيا**، ويستوطن فيها، وهو قليل الانتشار في أوروبا، ومن الملاحظ أن تكاثره وعاداته لا تختلف عن بقية المجموعة، ومن المؤكد أن الحجل الرومي أو الصخري موجود في جبال **سورية**، ويعتبر من طيورها المقيمة. فالمقوقئ يتميز بقلة السواد على الجبهة، إذ أن حزام الجبهة قليل الاتساع، كما أن العنق فيه اللون الأصفر الباهت أما الأشرطة على الخاصرة فهي أقل عدداً وأعرض رقعة من الحجل الصخري. أما الصخري فحزام الجبهة الأسود أعرض رقعة، كما أن هناك سواداً قليلا عند قاعدة المصراع العلوي من المنقار. أما العنق فيميل نحو البياض، ويتميز بكثرة الأشرطة البنية، والسوط على الخاصرة.



الدراج

«الحجل الشائع»
"Qartridge"

والاسم العلمي - "Qerdrix Qerdrix" ويبلغ طوله ثلاثين سنتمترا، حلته من الأعلى رمادية مقلَّمة بالبني وذلك على الظهر، وهذا الظهر قريب الشبه بظهر طائر الغري، الرأس أحمر شاحب، والقنة والمآقي وأغطية الأذن والذقن والحلق كستنائية فاتحة، والصدر شاحب نيلي أو أزرق، ويتميز بأشرطة بنية محمّرة على الخاصرة ومتقاطعة مع خطوط ناعمة شاحبة.

المنقار رمادي محمر، والأرجل رمادية داكنة، ويتميَّز بعلامة فارقة أساسية، وهي وجود بقعة كستنائية

غـامقـة في أسفل الصـدر على شكل «نضـوة الحصـان» وتظهر في الـذكـر أكثر من الأنثى.

ينتشر في **أوروبـا، وهم الحجل الـــوحيـــد في وسط وشمال** أوروبا، وبالنظر لانتشاره هناك سمّي **بالحجل الشائع، كما** ينتشر في شمال **تركيا** وغربي **آسيا**، وعلى الأخص في جنوب الاتحاد السوفييتي. ومن المؤكد أنه لا يختلف عن المجموعة بعاداته وتكاثره

«الحجل التهامي أو الرملي»
"Sand - Partridge"

والاسم العلمي Ammo Qer-drix وهو متوسط القد بين الحجل والغري. يبلغ طوله أربعة وعشرين سنتيمترا. ذنبه قصير ضارب إلى اللون الأحمر، والمنقار أصفر برتقالي، والأرجل صفراء باهتة.

الأنثى حلتها من الأعلى بنيّة، ومن الأسفل صفراء باهتة متموجة طولياً بأشرطة فاتحة لا تكاد تظهر، والذكر قرنفلي الظهر ورأسه شاحب، والبطن ضارب إلى اللون الأحمر البني، والخاصرة عليها أشرطة سوداء تجاذبها تموجات حمراء بلون الدم، ويتميز الذكر برقعة بيضاء خلف العين، ومما يجب ذكره أن في السلالات التي تعيش في فلسطين - كالحجل الفلسطيني من هذا النوع - قد توجد علامة - بيضاء - أمام العين بالإضافة إلى الوصف المذكور. ويرتاد الحجل التهامي المناطق المتكسرة ذات الحجارة الكثيرة التي توجد فيها النباتات العشبية وهو لا يوغل في الصحارى الرملية.

وهو يتوزع في جنوبي **بلاد الشام** وفي **سيناء** و**شرقي مصر**، وعلى جانبي **البحر الأحمر**، وعلى الأخص في المنحدرات الصخرية المطلة على سهول **تهامة**، ويذكر في المناطق الجنوبية من **القطر السوري**، وقد سمي بالحجل **التهامي** نسبة إلى **تهامة**، أو السهول المتفرعة منها، والمطلة على شواطئ **البحر الأحمر** الشرقية من الجنوب حتى العقبة.

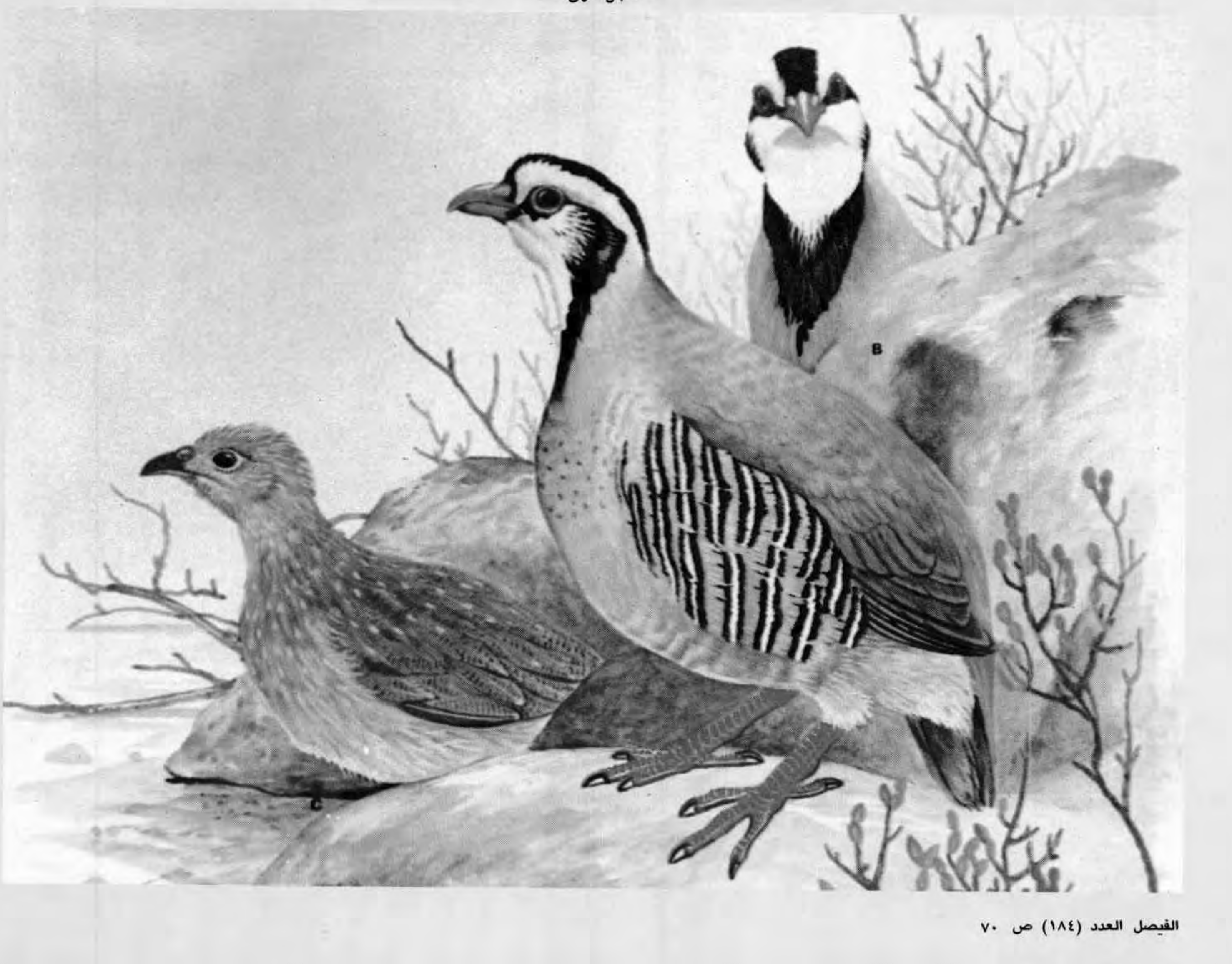
صوته يشبه احتكاك الحجارة الصوّانية ببعضها البعض، كما أنه يحدث ضجة كبرى قبل طيرانه أي عندما يشعر بالخطر.

«الحجل العراقي»
"See See Partridge"

والاسم العلمي Ammaperdix Grijeogularisl ويسمى هذا النوع من طائر الحجل باسم «القُبُج»

صوته يشبه احتكاك الحجارة الصوانية ببعضها البعض

الحجل المقوقئ



صوته يحدّد مكانه لصغاره وأنثاه ويخاتل الصيادين

ويبلغ طوله أربعة وعشرين سنتيمترا. منقاره أصفر والأرجل صفراء أيضاً.

الأنثى حلتها بنيَّة من الأعلى، وبنيّة فاتحة، وتصبح بيضاء شاحبة من الأسفل، وحول العين دائرة من اللون الأبيض الشاحب، وكذلك على الذقن. الذكر حلته بنيّة فاتحة من الأعلى والقفا والصدر، كذلك الحلق والذقن وأعالي الصدر رمادية زرقاء، وهناك خط أسود يمتد من القنة وفوق العين متجهاً نحو الخلف، وشريط أبيض أمام وخلف العين. أما الخاصرة فأشرطتها متطاولة بنيَّة ارجوانية يتخللها لون أزرق بنفسجي، والبطن فيه تموجات صفراء، ولا يختلف الحجل **العراقي** عن بقية الفصيلة الحجلية بالعادات والتكاثر والتغذية.

يتوزع ويستوطن **العراق**، وشرقي بحر قزوين، وجنوب شرقي **تركيا** وفي **إيران**. ويذكر في المنحدرات الصخرية المحاذية للأراضي **العراقية**، وفي الشمال والشمال الشرقي.

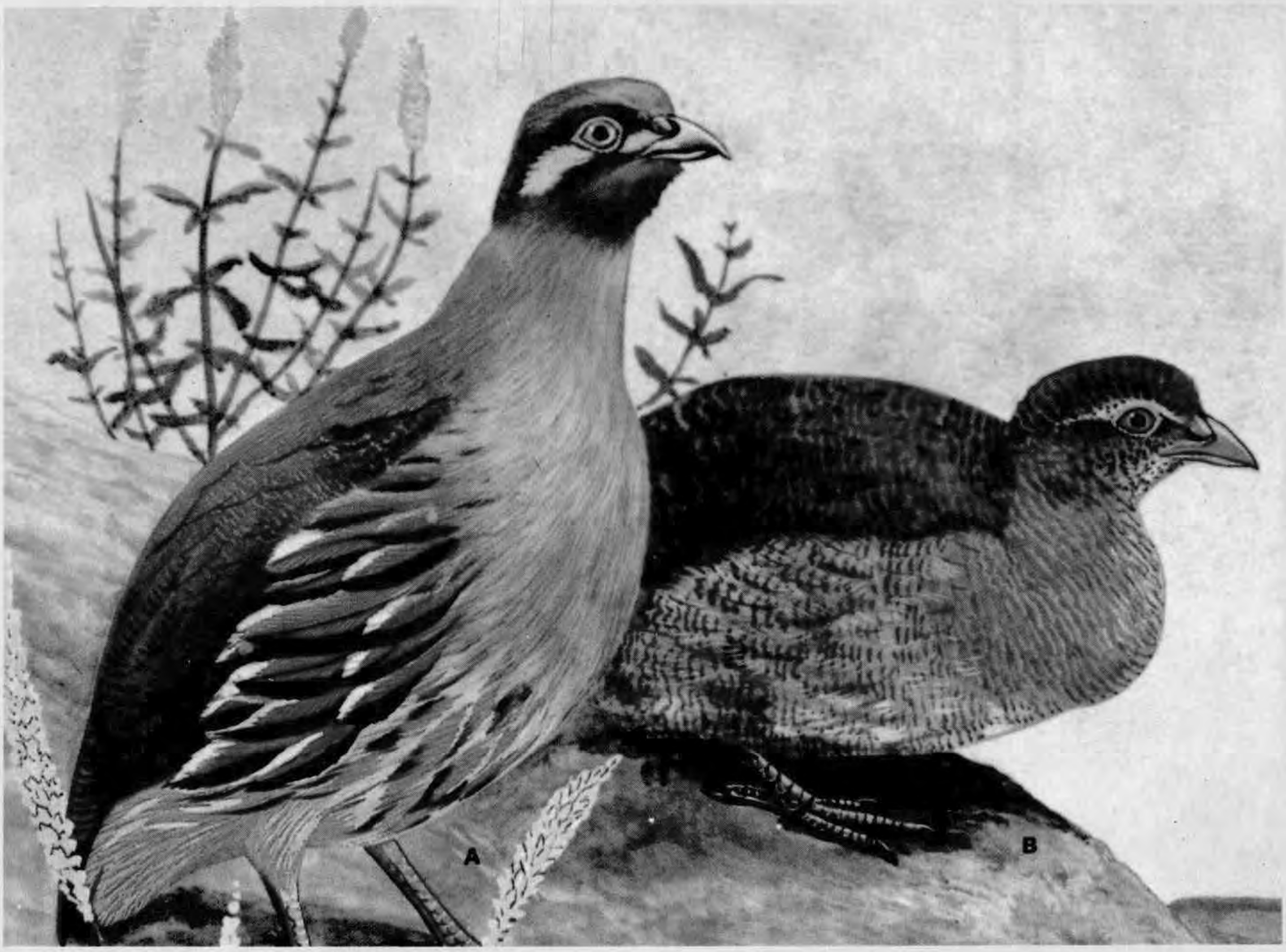
«الدرّاج»
"Black - Francolin"

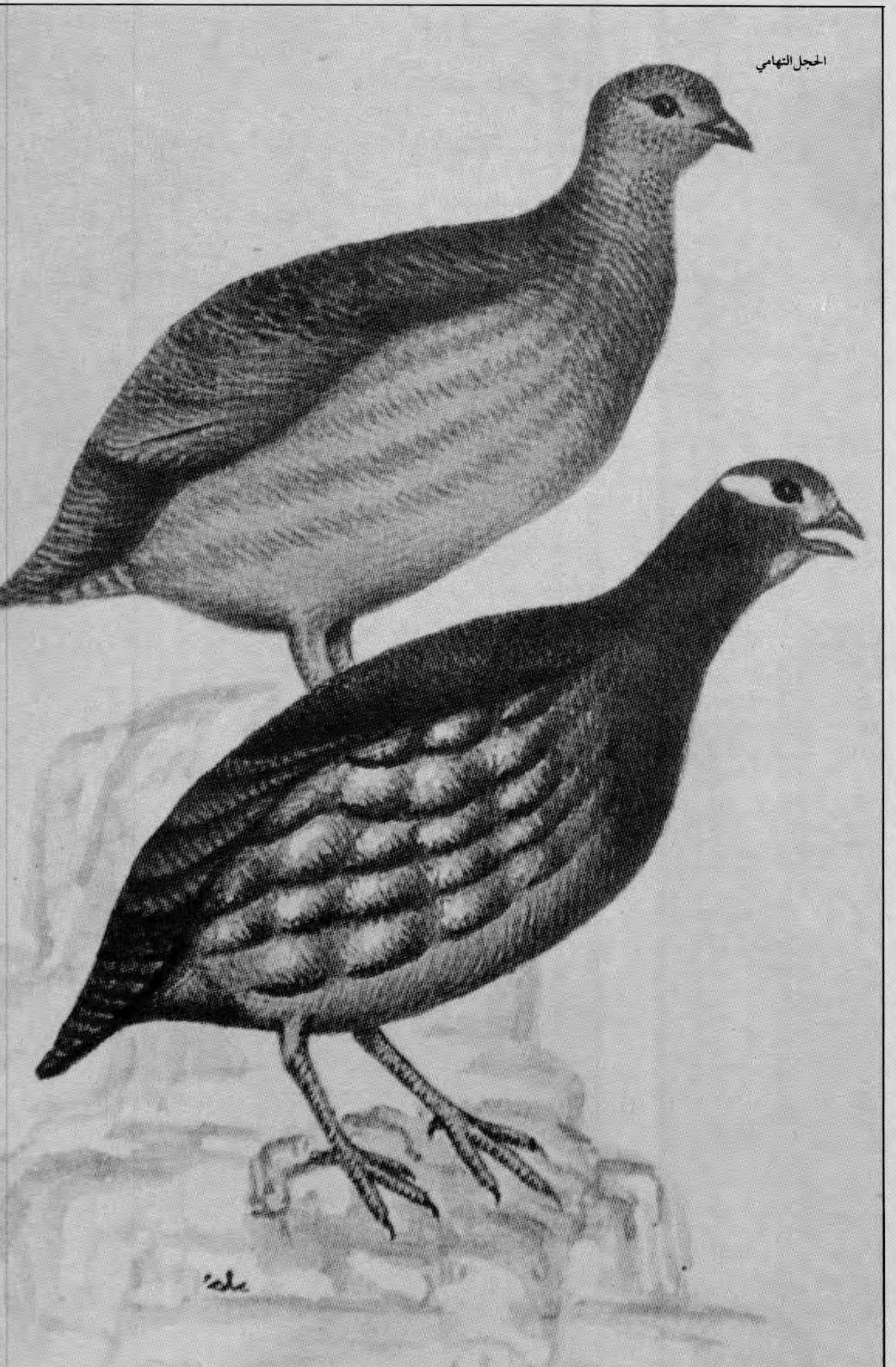
والاسم العلمي - "Francolinus "Francolinus" والدرّاج مقرَّب اسمه من **الفارسية**، ويسمَّى أيضاً **«الحجل الأسود»** وهو طائر في غاية الروعة والجمال، وعادة يكون الذكر أجمل من الأنثى، وقد سَمَّى **العرب** الذكر **«الحيقُطان»**.

يبلغ طوله أربعة وثلاثين سنتمترا، ومنقاره رمادي مسود، والأرجل قرنفلية داكنة. وقنتة الذكر ومآقيه وذقنه وحلقه سوداء، ويتميز برقعة بيضاء تمتد من قمة العين باتجاه غطاء الأذن، وذلك على جانبي الرأس، والقفا مبرقش يحيط بالعنق، وأعالي الصدر شريط كستنائي اللون، والصدر أسود البطن كستنائية، والأجنحة والظهر كستنائية أيضاً توشحه بألوان قائمة والعجز وأعالي الذنب قمحية مقلمة بخطوط بيضاء ناعمة، والخاصرة والأكتاف مرقطة بالأسود والأبيض والنقط البيضاء واسعة الانتشار، والأنثى: بنيّة مبرقشة بالأسود، أو البني الداكن، والقفا عليه رقعة كستنائية والذقن والحلق أصفر شاحب.

يتكاثر في الصيف في سورية، وذلك في شهر آيار، وتبني الأنثى عشها بين الأعشاب، وفي حقول

الحجل الشائع





القمح وغيرها، وهي تضع من أربع عشرة إلى عشرين بيضة تحضنها الأنثى لمدة شهر. ومن الجدير بالذكر أنها لا تفرّخ إلاّ أربعة عشر فرخا، وقد أكّد لنا بعض الفلاحين **الفرايتيين** بأنها تبيض ثلاثا وعشرين بيضة في أفضل الحالات، ولكن جسم الأنثى لا يغطي كل البيض، ومن المعروف أن الفراخ بعد خروجها تنمو بسرعة، وقد تتفرق عند شعورها بالخطر.

يتغذى الدراج بالحبوب واليرقات والحشرات وبراعم النبات والأعشاب الغضة والأشجار والحبوب البريّة. وهذا الطائر الجميل يرتاد السهول والمناطق العشبية وضفاف الأنهر التي يكثر فيها نبات الطرفاء وحقول القمح والشعير وحقول القطن والمزارع القريبة من الماء، وهو بطيء الطيران ولا يطير إلاّ عند الضرورة، ولكنه سريع الركض ويغيّر الأماكن باستمرار لأنه لا يطمئن إلى ما حوله.

يستوطن **العراق وتركيا وعلى جانبي بحر قزوين، وفي شمالي الجزيرة العربية، وفي شرقي القطر السوري على مقربة من نهر الفرات، ويكثر في الأودية القريبة من مدينة البوكمال.**

للدراج صوت جميل، ويصدر الذكر هذه النغمة العذبة، وفيها يحدد مكانه للصغار المختبئة وللأنثى كي تطمئن إليه، وللتمويه على الصيادين.

يعيش نوع آخر من الدراج في أفريقيا واسمه العلمي "F Calcor-tus" أو الدراج المضاعف المهماز، وهو لا يقل جمالاً عن بقية المجموعة، ولكنه نادر جداً ويوجد **أيضاً في المغرب العربي.**

النَّسْرُ الحَكِيمُ

شعر: وجدي محمود القللي

قُلْتُ يَا نَسْرُ فُؤَادِي قَدْ تَسَامَى
لَمْ يَخُنْ عَهْدًا وَلَمْ يُؤْذِ الصِّحَابَا

غَيْرَ أَنِّي سَائِلٌ نَسْرًا حَكِيمًا
عَزَّ رَأْيًا وَارْتَقَى بَابًا فَبَابَا

هَلْ وَجَدْتُمْ عِنْدَكُمْ مَنْ ضَلَّ غَيًّا
وَاسْتَبَاحَ العِرْضَ ظُلْمًا وَاغْتِصَابَا

هَلْ رَأَيْتُمْ عِنْدَكُمْ مَنْ صَاحَ جَهْلاً
لاَ أَفُوتُ اللَّهْوَ قَلْبِي فِيهِ ذَابَا

هَلْ سَمِعْتُمْ عِنْدَكُمْ مَنْ قَالَ زُورًا
بُغْيَةَ الدُّنْيَا وَلَمْ يَخْشَ الحِسَابَا

هَلْ عَهِدْتُمْ عِنْدَكُمْ مَنْ ضَاقَ ذَرْعًا
بِالوَصَايَا وَارْتَضَى صَمْتًا وَخَابَا

قَالَ إِنِّي آسِفٌ إِنِّي غَضُوبٌ
قَدْ ظَلَمْتُمْ اِنْتِسَابًا وَاكْتِسَابَا

شَرْعُ رَبِّي قَدْ أَتَاكُمْ فَاذْكُرُوهُ
وَالرَّسُولُ المُصْطَفَى أَعْطَى الجَوَابَا

اِلْزَمُوا شَرْعًا سَمُوحًا قَدْ تَسَامَى
وَاقْتَدُوا بِالمُصْطَفَى تَغْدُوا صِحَابَا

قَالَ هَيَّا فُكَّ أَسْرِي وَاتْرُكَنِّي
لاَ تَصِدْ نَسْرًا حَكِيمًا ثُمَّ غَابَا

الخميرة
غـــذاء الـمـســتـقـبـل

بقلم: د. فوزي عبد القادر الفيشاوي

لو دعي سكان العالم لتناول الطعام على مائدة واحدة ، فكم ياترى يكون طول تلك المائدة ؟ إن كل فرد يحتاج إلى قدمين لجلوسه ، وقدمين للجالس أمامه من الجهة الأخرى على المائدة ، وبذلك يخص الإنسان الواحد قدمواحدة من طول المائدة .

فإذا عرفنا أن سكان العالم عام ١٩٨٢ م حوالى ٤١٣٢ مليوناً ، ويزيدون أكثر من مائة مليون كل عام ، إذن فطول المائدة سيدور حول محيط الكرة الأرضية عند خط الاستواء ٣٢ مرة ، وفي كل عام يضاف إلى المائدة عشرات الأميال من الموائد للمواليد الجدد ... وبعد .. فمن أين .. وكيف يتوافر لهم الطعام الكافي ؟ .

فمنذ أوائل الستينيات، والصورة قاتمة أمام علماء التغذية ، فنسبة الوفيات بين الأطفال أقل من ست سنوات تزيد بمعدل يصل إلى ٤٠ مرة في الدول الفقيرة عن مثيلتها في البلاد المتقدمة ، هذا بالإضافة إلى أن مصادر البروتين الحيواني تعد نادرة وتزداد ندرتها عاماً بعد عام ، كما أن القدرة الشرائية لكثير من الشعوب لا تسمح بشراء الألبان والبيض واللحوم والدواجن والأسماك . لكل هـذه الأسباب وغيرها ، أصبحت مشكلة الغذاء العالمية واقعاً ملموساً ..

وفي خضم هذه الحقائق الأولية ، لم يجد العلماء مفراً من الاعتراف بقصور طرق إنتاج الغذاء التقليدية عن الوفاء باحتياجات الإنسان المتزايدة.. ومن ثم التوكيد على ضرورة البحث عن مصادر جديدة للغذاء ، وفي طليعتها تلك الكائنات الحية الدقيقة ، التي تسمى في لغة العلم : **الخميرة** Yeast .

الخميرة .. منجم للغذاء

والخميرة ليست غريبة على الإنسان ، فقد استخدمها الأقدمون في عمليات تخمير العجين لإطلاق **غاز ثاني أكسيد الكربون** الذي يتخلل العجين ، ويجعل الخبز مسامياً مرغوباً .. ومنذ نحو خمسين عاماً أو تزيد استخدمت الخميرة كمصدر **لفيتامين (ب) المركب** ، وبالتالي فإن الناس قد هضموا الخميرة في أجسامهم كدواء ولم يظهر عليهم أي تأثير ضار .

وعندما قامت **الحرب العالمية الثانية** (١٩٣٩ ـ ١٩٤٥ م) ، قام العلماء الألمان بإنتاج لحوم صناعية من الخميرة « تورلا » على هيئة مسحوق بروتيني ، أضيف إليه نكهات اللحوم الطبيعية وقدم في أشكال مختلفة لآلاف الجنود على جبهات القتال ، وقد أنتج منها الألمان أثناء الحرب ما يزيد على مليون كيلو جرام .

وفي الوقت الحاضر ، أظهر علماء التغذية اهتماماً غير عادي بالخميرة كمصدر هام للبروتين **ولعل مبعث اهتمامهم يرجع لعدة أسباب منها :**

(١) الخميرة كائنات سريعة النمو ، وبالتالي سريعة الإنتاج . فهي تتضاعف كل ساعة أو ساعتين . وعلى سبيل المثال فإن ما ينتجه حيوان لحم يزن ألف رطل يبلغ نحو رطل واحد في اليوم من البروتين ، بينما وجد أن نفس الوزن من **فول الصويا** ينتج نحو ٨٠



رطلا من البروتين في اليوم . في الوقت الذي تعطي فيه ألف رطل من الخميرة ، نحو ٥٠ طناً من البروتين في اليوم .

(٢) إن قدرتنا على التحكم في إنتاج البروتين من الخميرة تفوق قدرتنا على التحكم في إنتاجه من المصادر التقليدية نظرا لسهولة التحكم في كافة ظروف الإنتاج مثل درجة الحرارة ودرجة الحموضة (PH) وعناصر غذاء الخميرة ، هذا فضلا عن استبعاد عامل الكوارث الطبيعية الزراعية مثل الصقيع والآفات والسيول وغيرها ..

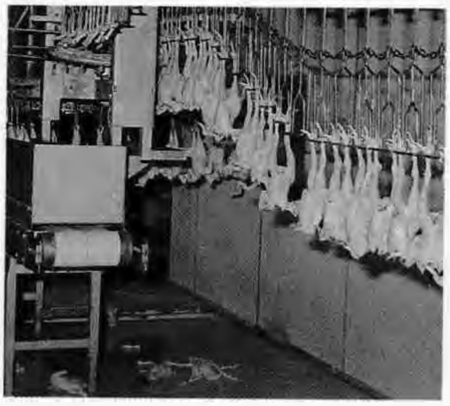
(٣) تتفوق الخميرة في محتواها من البروتين بالإضافة لاحتوائها على كميات مناسبة من الدهون والسكريات والفيتامينات والأملاح وبالتالي فهي تعد وجبة شبه متكاملة .

(٤) إتاحة مجال جديد لاستثمار المخلفات البترولية وكذا المخلفات الزراعية وذلك بتحويلها بواسطة الخميرة إلى بروتينات عالية القيمة الغذائية .

قضيـة المعـارضيـن

لعل البعض يتساءل الآن .. إذا ماكانت للخميرة كل هذه المميزات ، فهل يمكن استخدامها عملياً لتغذية البشر ، أم ان هناك عقبات تحول دون ذلك ؟

وفي حقيقة الأمر .. فالعلماء قد انقسموا إلى فريقين ، أحدهما يعترض على الخميرة كغذاء



للإنسان ، والفريق الآخر يرى صلاحيتها لتغذية البشر .. فتعالوابنا نستعرض حجة كل فريق ...

● يرى **المعارضون** أن بروتين الخميرة بروتين غير مألوف للبشر ، والإنسان بطبيعته أسير للعادة ، ولذا فعملية تغيير الأنماط الغذائية للبشر وخلق أنماط جديدة عملية في غاية الصعوبة ، فمن الصعب على كثير منا أن يتخيل إمكـان تناولـه وجبـة كاملـة من الخميرة بدلاً من شرائح اللحم المحمر في السمن البلدي .. !

وهنا يبادر الفريق الآخر بقوله .. إن المشكلة التي تواجهها أكبر بكثير من عادات موروثة فينا ، وإن حل هذه المشكلة يكمن في ضرورة نشر الوعي الغذائي ومحاولة إقناع الناس بتناول الأغذية الجديدة والتي تمثل حلاً للمشكلة الغذائية ، وفي نفس الوقت نستطيع إضافة البروتينات الجديدة غير التقليدية إلى أغذية مألوفة بنسب معينة ، بحيث لا يحدث تغير ملحوظ في طعم ونكهة هذه الأغذية وبهذا نتغلب على العوامل النفسية لدى الناس حتى إذا ما تعودوا عليها ، فسوف يطلبوا منها المزيد .. والمزيد ..

● غير أن المعارضين يعزفون ـ عندئذ ـ على وتر حساس وهو **السمية** ... يقولون .. إن بروتين الخميرة يحتوى على نسبة عالية من **الأحماض النووية** ، وهي مواد ثبت أنها ترفع كمية **حامض اليوريك** في الدم وهذا يسبب آلاماً في المفـاصل، وتكـويـن حصـوات وتليفـاً في الكبد ، علاوة على الإصابة بمرض النقرس ، فما قولكم في هذا ؟ ..

ورغم أنها حجة قوية .. إلا أن المؤيدين مزودون بنتائج الأبحاث الحديثة والتي تثبت إمكانية خفض نسبة الأحماض النووية في بروتين الخميرة إلى الحد المسموح به صحياً ، وبالتالي فلم تعد تلك مشكلة ...

وهكذا تخرج الخميرة من هذه المعركة الفكرية العلمية مرفوعة الهامة .. إن كان لها هامة .. وهي على كل حال أثبتت جدارتها كغذاء بروتيني للغذاء .

ولكن السؤال الآن .. كيف نحصل من الخميرة على هذا البروتين الموعود ؟ ..

البـروتيـن المنتظـر

ما أبسطها من فكرة .. تلك التي ننتج بها بروتين الخميرة .. **فما علينا إلا أن نجهز بيئة التخمر ، التي تحتوي على الماء مذاباً فيه بعض الأملاح المعدنية الهامة ، بالإضافة لمصدر نتروجيني رخيص كالأمونيـا ، ومصدر كربون مثل السكر أو الايدروكربون**



(بعض المشتقات البترولية) . وبعد تجهيز هذه البيئة ، يتم تنمية الخميرة فيها .. فتتكاثر بسرعة ، منتجة كتلاً خلوية ضخمة ما علينا حينئذ إلا أن نفصلها بعملية ترشيح ثم طرد مركزي للحصول على الناتج النهائي الذي يجفف على هيئة مسحوق يحتوي على ٥٠٪ بروتين ، لذيذ الطعم ، حلو الرائحة .. !

والمدهش حقاً ، أن بروتين الخميرة قد أنتج بالفعل على نطاق واسع في كثير من الدول الغربية على هيئة علف للماشية يباع بأسعار منافسة لأسعار الأسماك المجففة وفول الصويا . وقد لاقى العلف الجديد إقبالاً من الحيوانات حيث أدى إلى سرعة نموها مقارنة بالأعلاف التقليدية كما أثبتت تجارب التغذية على الحيوانات المنتجة للحم أن لحومها طبيعية ، ولم يحدث بها أي تغير غير مرغوب .

وهكذا فقد أثبتت بروتينات الخميرة ـ بحق ـ أنها علائف حيوانية ممتازة. غير أننا كدول نامية ، لنا تحفظ واضح على استخدام بروتين الخميرة لتغذية الحيوان .. فالمعروف أن كفاءة تحويل البروتين داخل جسم الحيوان منخفضة جدًا لا تزيد على ١٠٪ من البروتين المأكول (أي ان كل ١٠٠ كيلو بروتين يتغذى عليها الحيوان تؤدي لزيادة فعلية في وزنه قدرها ١٠ كيلو جرامات فقط)، ولذا فإن إنتاج أعلاف حيوانية بطرق غير تقليدية إذا كان يجوز في الدول المتقدمة لغناها في مصادر البروتين التقليدية ، إلا أنه غير جائز في الدول النامية ، حيث ان عمليات استخلاص البروتينات الجديدة يجب أن تكون أساساً بغرض تحسين المستوى الغذائي للإنسان مباشرة ، لأن إعطاء البروتينات للحيوان على صورة علف في الدول النامية ليعطي عائدًا لا يزيد على ١٠٪ فقط يعتبر إسرافاً لا داعي له على الإطلاق .

ولهذا يرى العلماء أن أهمية البروتينات الجديدة تكمن في قدرتها على توفير مصادر مباشرة لتغذية الإنسان . !

أطباق شهية من الخميرة

بلا شك أن الأغذية الجديدة غير التقليدية يجب أن تخضع قبل طرحها للتداول في الأسواق لتجارب عديدة للتثبت من مدى صلاحيتها للإنسان وعدم وجود أي آثار جانبية لها ..

وفي هذا المجال ، فقد خضعت بروتينات الخميرة لتجارب طويلة على السواء على الحيوانات أو على متطوعين من البشر . وقد أظهرت تلك الدراسات أن بروتين الخميرة يعتبر وجبة غذائية تقارب في قيمتها الحيوية بروتينات نباتية أخرى مثل فول الصويا أو الفول السوداني .. ومن ثم فليس هناك أي مجال للخوف على صحة الإنسان من هذه الأغذية الجديدة .

ولكن ... لنتساءل الآن عن أفضل الصور التي تقدم عليها بروتينات الخميرة ؟

لقد اتفقنا على أن تغيير الأنماط الغذائية لايحدث بين يوم وليلة ، فعاداتنا الغذائية جزء مما ورثناه عن آبائنا .. من أجل هذا كان على رجال التخطيط أن يراعوا عدم الاصطدام بتلك المعتقدات خاصة في مجال التغذية احتراما لهذا الجانب النفسي عند الإنسان .. وبالفعل ، فهناك شبه إجماع على عدم تقديم الأغذية الجديدة ـ خاصة في البداية ـ على هيئتها غير المألوفة أو على هيئة أقراص مثلا ، فقد دلت الخبرات السابقة على إمكان إضافة تلك البروتينات إلى أغذية موجودة بالفعل بهدف رفع قيمتها الغذائية أو خفض أسعارها (نظرا لانخفاض تكلفة إنتاج البروتينات غير التقليدية) **ومن الأمثلة المقترحة والتي نفذت بالفعل ...**

- إضافة بروتين الخميرة إلى دقيق القمح عند تصنيعه إلى خبز أو كعك وبسكويت بشرط ألا تزيد نسبتها على ١٠٪ حتى لا تسبب تغيرات في طعمها .
- إضافة البروتين الجديد إلى اللحم المفروم والسجق واللانشون .
- إضافتها للعجائن كالمكرونة والشعرية لرفع قيمتها الغذائية .
- يمكن اضافتها إلى أغذية الأطفال كمصدر بروتيني رخيص .

هذا علاوة على استخدامها في الصناعات الغذائية كمنكهات (عوامل طعم ورائحة) لأغذية تقليدية وعوامل استحلاب في عديد من المنتجات الغذائية .

ولعلنا الآن وبعد هذا الاستعراض السريع لواحد من جيل البروتينات غير التقليدية نستطيع أن نبشر بإنتاج هذه البروتينات الجديدة على نطاق صناعي في عالمنا العربي بعدما أثبتت البحوث المعملية ونصف الصناعية في كثير من الجامعات العربية ومراكز أبحاثها ، إمكانية إنتاج بروتين الخميرة مما سيكون له بالغ الأثر لسد ثغرة من الفجوة الغذائية العميقة التي يعاني منها عالمنا العربي ..

● ●

المصادر

١ ـ مصطفى ، عبد العزيز (١٩٤٤) : قصة البنسلين ، دار المعارف ، القاهرة .

٢ ـ الخضيري ، عبد الكريم (١٩٧٨) : بروتين من النفط ، دار الثورة للصحافة والنشر العراقي ، بغداد .

٣ ـ صالح ، عبد المحسن (١٩٧٧) : الفطريات والحياة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة .

٤ ـ صابر ، محمد (١٩٧٦) : مطالعات علمية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة .

٥ ـ الفولي ، محمد مصطفى (١٩٦٨) غذاء المستقبل من الكسب والبترول ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة .

٦ ـ مصطفى ، عبد العزيز (١٩٦٧) : العلم للمجتمع ، دار الهلال ، القاهرة .

٧ ـ الفولي ، محمد مصطفى (١٩٧٢) : لنبات المستقبل ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة .

٨ ـ صابر ، محمد (١٩٧٤) : دور الميكروبات في صناعة الغذاء ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة .

9– Dunnill, P., and Lilly, M.D. (1975), Protein extraction and recovery from microbial cells., In Single-cell Protein, M.I.T. Press, Cambridge, Mass.

10– Duthie, I.F. (1975), Animal Feeding trials with a microfungal protein., In single-cell protein, M.I.T. Press, Cambridge, Mass.

11– Humphrey, A.E. (1966)., Starvation: Chemical engineering can help Fight it., chem. Eng., 149.

12– Kilhberge, R. (1972)., The microbe as a source of Food., Annu. Rev. Microbial., 26, 427 - 466.

13– Tannenbaum, S.R. (1977)., Single-cell proteins. In "Food Proteins"., P. 315. Avi Publishing Co., Westport, CT.

قصة قصيرة

شغف

بقلم: إبراهيم أصلان

أقبل المساء،

وهبت ريح الشمال،

وانتشرت رائحة المطر،

وبـات مقدرًا عليّ أن آخـذه دون أن يحس بي أحد،

أحمله عبر دروب المدينـة والناس نيام،

أهيئ لـه مكـانًـا على حـافـة الشـاطئ، حتى إذا ما هطلت عليـه أمطار الليل الكثيفة وارتوى،

عاد إليه جسـده القديم، ودبت فيه الحياة.

لقد جـرى الأمر على نحـو أكثر يسرًا مما كنت أتوقع.

دخلت من بـاب الدار المفتـوح وقد مضى الليل إلا قليلاً.

كانت العجوز توليني ظهرها وقد انكبّت على القماش والأزرار،

ولما أحست، توقفت يداها دون أن تلتفت.

اتجهت إلى ركنه الداخلي،

كان ضئيلاً بين الأشياء،

لكن عرفته مـن عينيه الصافيتين في العتمة.

حملته إلى صـدري واضعًا يـدي حول جسده الدافئ، واستدرت.

لقد رحلت العجوز،

تـركت لي الثـوب بـالأزرار على مسمار الباب، وانصرفت.

غطيته في طريقي إلى النهر.

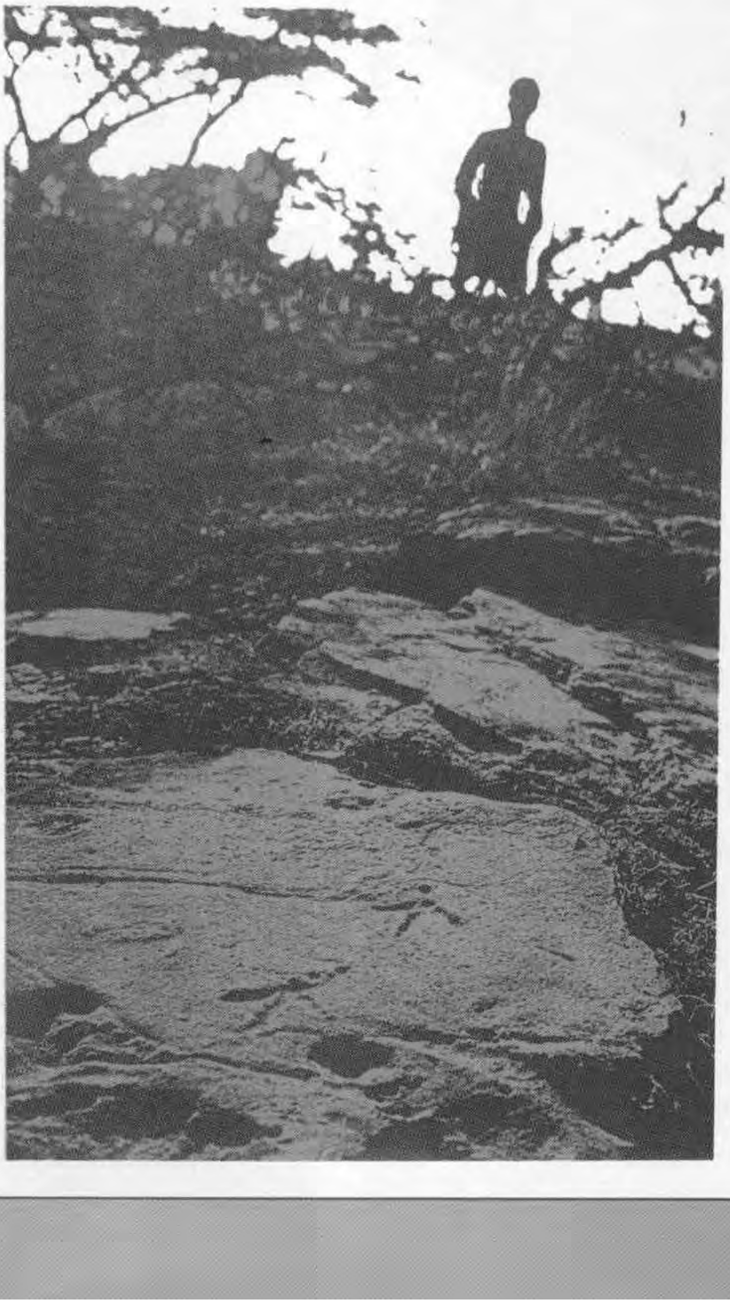
كنت أحسه يتهشم على صدري ويتساقط بعضه مني.

ضاعفت من جهـدي، فقد بدأ الـرذاذ الـدقيـق يقطر من السحب المنخفضة بطيئًا، و يخلف همهمة في الليل من حولي.

هبطت الشـاطئ مسرعًـا وأنـا أحسه يلين بين يديّ.

وضعته.

ضممتـه على نفســه وهيأت لـه المكان.



ومـددت لـه سـاقيـه الصغيرتين كغصنين،

وتـراءات لي بعـض الفجـوات. شيء ما ليس موجودًا.

وانبعثت منـه رائحـة حـارة مثل خبز قديم.

صعـدت الشاطئ لاهثًـا أبحث عما ضاع قبل أن يتزايد المطر ويبدأ هو في معاودة النمو.

ظللت أجري وأجمع ما تيسر لي.

ولكن المطـر انهمر فجـأة وتزايـد عنفا حتى ضاعت ضربات قدمي في برك الطريق.

ومع الرعدة المضيئة توقف المطر.

انقشع الغيم عن زرقة،

ونجوم.

وتركت ما جمعت. مشيت بيدين خاليتين،

واتجهت إلى هناك وأنـا أعول على ما سوف يظنـه بي، حتى رأيته أمامي والضـوء يـرتجف في ورق الشجـر العالي.

كـان يعبر نهر الشارع وقـد تفتق الثوب عن جسده الطالع.

كان يأتي بطيئًا،

في يسراه قليـل مـن عشـب الشاطئ.

وفي مكان ذراعه الخالية بقية من قماش،

وفي عينيه اللتين أعرفهما،

مزيد من الزهو،

والكبرياء.

حقائق وطرائف
الفاكهة التي تدرّ ذهبًا!!

ترجمة: نجلاء حسن حامد

الكيوي . . فاكهة صينية في الأصل عُرفت باسم «عنب الثعالب». انتقلت زراعتها مصادفة إلى نيوزيلندا وازدهرت مصادفة أيضًا، بسببها تحول الكثيرون إلى أثرياء لأنها تحقق أرباحًا هائلة، تعد نيوزيلندا أولى دول العالم في الإنتاج.



هكذا تبدو ثمرة الكيوي من الداخل

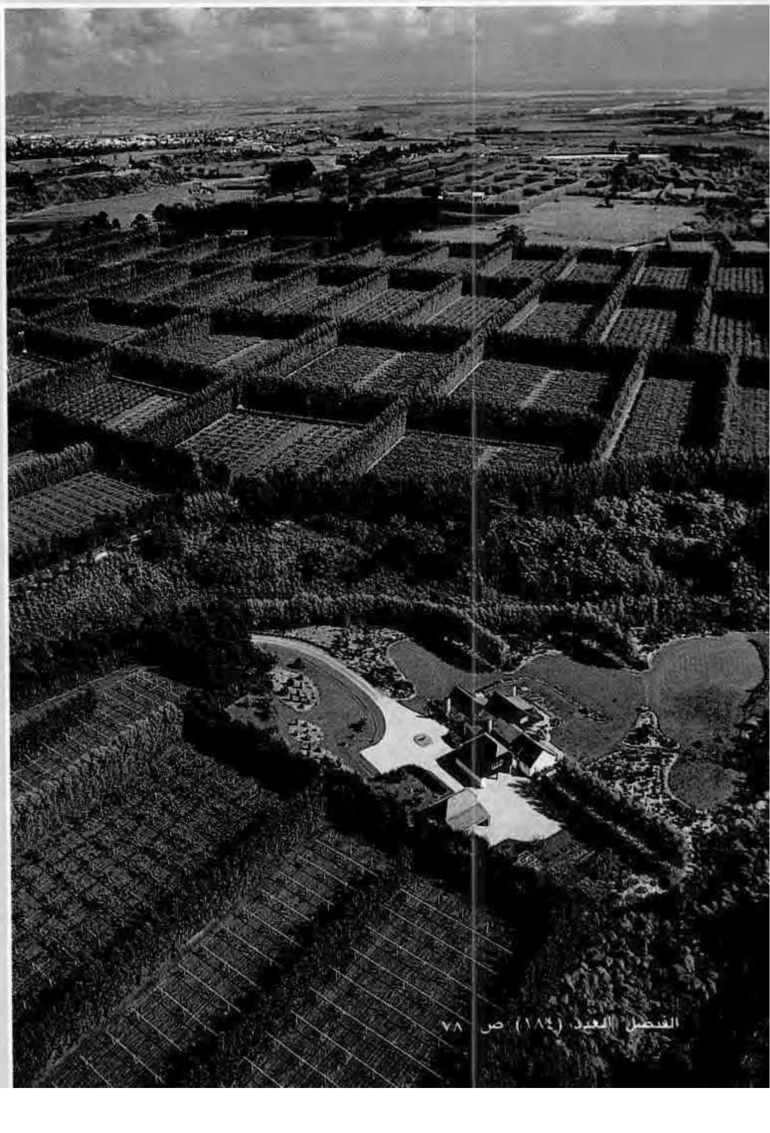


جمع يدوي في زي خاص

الأصل صيني

■ **لفاكهة الكيوي مذاق خاص** هو في حقيقته مزيج من طعم الفراولة والموز والأناناس، وعلى الجملة طعمها لذيذ، وفي عام ١٩٨٦م **أنتجت نيوزيلندا نحو بليون ثمرة من هذه الفاكهة**، وقد صُدِّر كم كبير من الإنتاج إلى حوالى ٣٠ دولة، **وهناك آلاف الأفدنة التي تُزرع سنويًا بالكيوي في بلدان أخرى مثل أمريكا وفرنسا واليابان وإيطاليا** وجميعها تلي نيوزيلندا في الإنتاج.

مزارع الكيوي تبدو كالزمرد الأخضر في نيوزيلندا



والطريف أن الكيوي فاكهة صينية في الأصل، عُرفت باسم **عنب الثعالب** في موطنها بوادي اليانجستي، وكانت هي المفضلة لدى الصينيين والممجدة في أشعارهم في أوائل القرن الثامن للميلاد إلى أن قام رحالة نيوزيلندي بإحضار بعض بذورها إلى بلاده، وببساطة يمكن القول: إن تحويل هذه الفاكهة إلى محصول تجاري بدأ بالفعل في أراضي نيوزيلندا، وحتى **اسم «الكيوي» أطلقَ على الفاكهة منذ عام ١٩٥٠م** كسياسة تسويقية، **وهو نفس اسم طائر الدولة الذي لا يطير وله ريش بني يشبه الشعر الخفيف وتضع أنثاه بيضًا كبير الحجم.**

وتُعتبر **«تي بوك»** في شمال البلاد عاصمة الكيوي في نيوزيلندا، ويسكنها اليوم ٦٠٠٠ شخص ولكن في موسم الحصاد الذي يبدأ في أيار (مايو) وينتهي في حزيران (يونية) يبلغ عدد الأشخاص المقيمين بها ١٠,٠٠٠ شخص.

توسع بالمصادفة

■ تعد الكيوي واحدة من عدة فواكه لا يتجاوز عددها اليد الواحدة نُقلت من بيئتها الطبيعة وازدهرت في أماكن أخرى، وفي نيوزيلندا تحولت عام ١٩٠٤م من حبات صغيرة قاسية إلى فاكهة ناضجة ذات شحمة ومذاق جميل، وعندما قدّم رحالة عاد من الصين بذور الفاكهة إلى واحد من أصحاب البساتين قام الأخير على مدى ٣٠ سنة ومعه عدد من أصحاب البساتين الآخرين بتطوير وتحسين الفاكهة عن طريق تقليم الأشجار وتطعيمها. وفي عام ١٩٣٠م تحولت زراعة الكيوي إلى تجارة واسعة الانتشار وبخاصة في

الســـاحل الشرقي لشمال البـــلاد، وبسببها تحول عـدد من المزارعين إلى أثرياء يملكون الملايين. **وقـد لعبت المصادفة دورها في التوسع في الزراعة، ذلك أن أحد المستوردين الإنجليز قام بشحن سفينة بالليمـون النيوزيلندي إلى إنجلترا وأكمل الفـراغ البـــاقي بـالكيـوي، وتأخرت السفينـة خمسـة أسابيع فأصيب الليمون بالعفن وظل الكيوي في حالة جيدة وبيع كله بثمن معقول مما شجع على التوسع في زراعته وخاصة أثناء الحرب العالمية الثانية.**

وعلى أثـر التـوسع في الـزراعـة اختفت مـزارع الألبـان لتحل محلهـا مزارع الكيوي، فمزرعة الألبان التي تبلغ مســـاحتهـــا في المتـــوسط (١٠٠)إيكر كانت تغـل عائدًا قدره ٣٠٠,٠٠٠ دولار سنـويًـــا ولكن عندما تزرع بالكيوي فإنها تحقق ربحًا يبلغ مليون دولار.

نمو سريع

■ **تنمو أشجار الكيـوي بسرعة غـريبـة إذ تنمـو الأنـواع الـذكـريـة والأنثوية بسرعة ثماني بوصات في اليوم الواحد**، وتعد الكيوي هـي الفاكهة الـوحيدة التـي لها شحمة ذات لـون أخضر فاتح، ويؤكل الكيوي عندما يصبح طريًا قليلاً عند لمسه، وعندئذ تشق في المنتصف ثم يُغـرف الداخل بـالملعقـة من كل نصف على حـدة، وحتى بـــذوره يمكـن أن تـــؤكل، وتُستخـــدم الفـاكهـــة في صنـاعـــة الحلـويـــات والسـلاطـــة وتـــزيين الكعكـات، والأنزيـم الموجود فيهـا يجعلها وجبة صالحة للطهي.

وقد تبيّن طبقـاً لدراسـة أجراهـا اتحاد التسويق الإنتـاجي في نيوآرك ـ ديلاويـر، أن للكيوي قيمـة غذائيـة تتفـوق على ســائر أنـواع الفــاكهـة التقليدية كالتفاح والخوخ والكمثري والبرتقال، وعند مقارنة الجرام بالجرام **نجـد أن جـرام الكيوي يحتـوي على كميـــات من الحديـــد والفسفـــور والماغنسيوم والبـوتاسيـوم وفيتامين ج والريبو فلافين** تفوق الموجـود في أي من الفواكه السابقة.

كـذلك تشتمل على كميـة كبيرة من الألياف، وعدد أقل من السعرات الحراريــــــة، ولا يشتمـل على أيّ كوليسترول أو أملاح على الإطلاق.

جمع يدويّ

■ في عــام ١٩٨٥م صـــدّرت نيوزيلندا ٩٠,٠٠٠ طن من الكيوي الطـازج، بنحـو ١٢,٠٠٠ طن من الفـاكهة المعلبـة والمجففة والمجمـدة والعصائر إلى أسواق ما وراء البحار. وفي عـام ١٩٩٠م صُـــدر أكثـر من ٣٠٠,٠٠٠ طن.

”يُعـــدُّ موسـم حصاده احتفالاً عامـًا وحـدثـًا وطنيًا في نيوزيلندا“

يُجمع الكيـوي يـدويًـا قبل تمام النضج، **ويعتبر مـوسم الحصـاد في نيوزيلندا احتفالاً عامًا وحدثًا وطنيًا إذ** يستمـر اثني عشر أسبوعًـا، حيث يقـــوم آلاف العمال بجمع الثمار في مريول من الخيـش له حمّالة، وفي دار التثليج والتعبئـة في «تي بـوك» الـذي يعد الأكبر من نوعـه في العالم تسوَّى الفـاكهة على الأرض ثـم تدحـرج إلى أسفل عن طـريق زلاقات منحـدرة، وفـوق سيـور ممتدة متحـركـة تصنَّف الثمار وتطوق في عبـوات خاصـة مثل البيض ثُم تجمـد عنـد درجة الصفـر المئـوي، وفي درجة الحرارة هـذه يظل الكيـوي في حـالة جيـدة مـدة ستـة أشهر، ويمكن أن يحفظ عدة أسابيع كذلك في البراد المنزلي.

وكـان الكيوي قـد زُرع في عـام ١٩٣٠ في شيكو ــ كاليفـورنيا والآن يحقق المحصـول عائدًا قـدره أربعون مليون دولار سنويًـا، ويصدّر معظم الإنتـاج إلى أوروبا واليـابان وكنـدا، وللكيوي في أمـريكا ميزة هـامة ذلك أن مـــوسم النضـج يتمثل في شهـــر تشرين الأول (أكتـــوبـر) في حين أن حصاد كيـوي نيوزيلندا يبـدأ في أيار (مايو) وهذا يعني تـوفر الفاكهة على مدار العام.

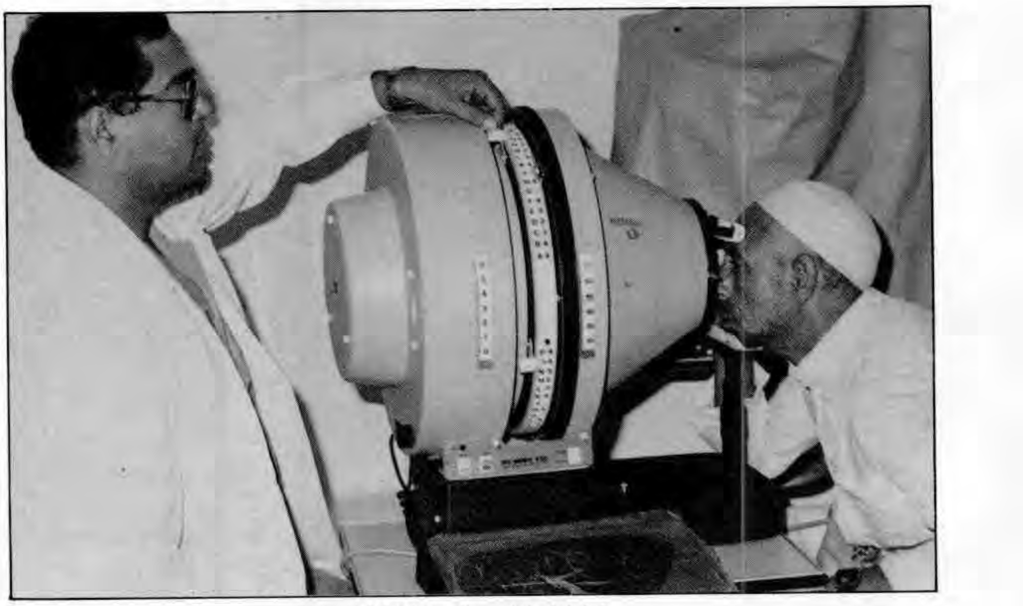


استخدام واسع للكيوي في العصائر والسلاطة والحلوى والكعكات

National Geographic

هل تشكو من ضعف البصر؟

بقلم: د. إبراهيم محمد عامر



تخطيط المجال البصري (ميدان النظر) المركزي

لا شك أن هناك أسباباً عديدة لضعف البصر ، فقد يكون ذلك لأسباب خَلْقِية ، أو وراثية .. أو لأسباب إصابية أو مرضية ... الخ .

ويمكن أن نوجَز أهم هذه الأسباب المتعدّدة تبعاً لمراحل العمر المختلفة على سبيل المثال لا الحصر كما يلي :

(١) الرُضّع : (منذ الولادة حتى عمر سنتين) :
- الماء الأبيض (الكتاركت) الخَلْقِي .
- الماء الأزرق (الجلوكوما) .
- الأرماد وبخاصة الرمد الصديدي والرمد الحبيبي (التراكوما) .

(٢) الأطفال (من ٢ ـ ١٢ سنة) :
- أخطاء انكسار العين (عيوب النظر) .
- الحـــول .
- عتامات (سحابات) القرنية .
- التهاب القزحية .
- ماء أبيض تطوري .
- أمراض سوء التغذية ، فمثلاً نقص فيتامين (أ) يسبّب العشى الليلي .. نقص الكالسيوم يؤدي إلى الإصابة بقصر النظر .. والأنيميا (فقر الدم) تؤدي إلى حدوث تغيّرات بالشبكية ... الخ .
- إصابات العين .

(٣) البالغين (أكثر من ١٢ ـ ٤٠ سنة) :
- أخطاء انكسار العين .
- التهابات القزحية .
- التهابات الشبكية .
- التهابات العصب البصري .
- العشى الليلي .
- إصابات العين .

(٤) أكثر من ٤٠ سنة :
- الماء الأزرق (الجلوكوما) الأولية .
- الماء الأبيض (الكتاركت) الشيخوخي .
- اعتلالات الشبكية الناتجة عن بعض الأمراض العامة مثل السكري وارتفاع ضغط الدم وتصلّب الشرايين والفشل الكلوي ... الخ .
- اضمحلالات الشبكية مثل الاضمحلال الشبكي الشيخوخي (بالماقولة) أو الاضمحلالات الطرفية (بمحيط الشبكية) .
- تأذم حليمة العصب البصري .

أهم أسباب ضعف البصر

ونستطيع أن نجمِل **أهم أسباب ضعف البصر عامة** كما يلي :

● **الماء الأبيض (الكتاركت)** : هو عبارة عن عتامة بعدسة العين مما ينتج عنه منع دخول الأشعة الضوئية جزئياً ، أو كليّاً إلى الشبكية وبالتالي يشكو المريض من عدم القدرة على الرؤية جيداً . والماء الأبيض إما أن يكون خَلْقِياً أو مُضَاعَفاً أو شَيخوخياً (أي يصيب الإنسان في سن الشيخوخة) .

ومن ناحية أخرى فإن الكتاركت كان يُعد في الماضي من أهم أسباب فقدان البصر في العالم ، ولكن الآن بعد إدخال الوسائل التقنية الحديثة المستخدمة في جراحة الكتاركت لإزالة العدسة المعتمة يتم تزويد العين بعدسة صناعية بديلة أو عن طريق استعمال عدسة لاصقة أو نظّارة طبيّة ، وبذلك يستطيع المريض استرداد بصره بدرجة طبية .

● **الماء الأزرق (الجلوكوما)** : هذا المرض عبارة عن حالة مرضية تنتج عن ارتفاع في ضغط العين الداخلي عن المعدّل الطبيعي (الذي يتراوح بين ١٢ ـ ٢٢مم زئبقي) ، بحيث يترك آثاراً ضارّة على أنسجة العين مما ينشأ عنه حدوث مضاعفات عديدة ومن أهمها ضمور العصب البصري .

وهناك عدة أنواع من الجلوكوما وهي : (١) الجلوكوما الخَلْقِية . (٢) الجلوكوما الأولية ، والتي إما أن تكون جلوكوما حادة احتقانية أو جلوكوما مزمنة بسيطة . (٣) الجلوكوما الثانوية .

● **الرمد الحبيبي (التراكوما)** : يُعد الرمد الحبيبي من أكثر أمراض العيون انتشاراً في العالم . وهو نوع من الرمد الذي يصيب الملتحمة والقرنية ويسبّبه شبه فيروس من **فصيلة الكلاميديا** ، ويمر الرمد الحبيبي في أربع مراحل مرضية ... **وسبب تسميته بهذا الاسم هو أن المريض يشعر بوجود حبيبات تحت الجفن**

العلوي تسبّب احتكاكاً بالقرنية أثناء حركة الجفن المعتادة .

● **أخطاء انكسار العين** (عيوب النظر) : مثل طول النظر وقصر النظر وحرج البصر (اللانقطية ـ الاستجماتيزم) Astigmatism وتفاوت قوة الانكسار بين العينين ... الخ .

● **الحول** : يمكن تعريف الحول بأنه عدم توازي المحور البصري للعينين بسبب فقدان التناسق في الحركة المشتركة بين العينين ، الناشىء عن عدم وجود توازن في قوة العضلات الخارجية مما يؤدي إلى انحراف عين أو كلتا العينين بالتبادل .

وخطورة الحول هي حدوث غطش البصر التعطلي تدريجياً نتيجة عدم استعمال العين الحولاء الكسول مما يؤدي إلى ضعف شديد في الإبصار.

● **عتامات (سحابات) القرنية** : وهناك عدة أنواع من عتامات القرنية على حسب كثافتها وهي **الغشاوة** Nebula ، أو السحابة Macula ، أو **البياضة** Leucoma .

● **اعتلالات الشبكية** Retinopathies : لها أسباب كثيرة منها مرض السكري وضغط الدم المرتفع وتصلّب الشرايين والفشل الكلوي وبعض أمراض الدم مثل الإيدز (مرض نقص المناعة المكتسبة) والتسمم الدموي في الحمل .... الخ .

وهذه الاعتلالات تؤدي إلى مضاعفات عديدة إلا إذا تم علاج السبب مبكراً مع متابعة الحالة بطريقة منتظمة ومستمرة .

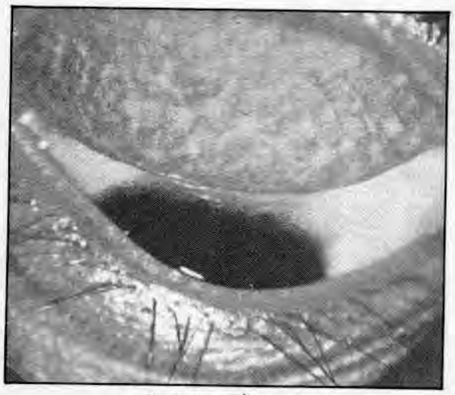
● **العشى الليلي** : هو عدم القدرة على الرؤية ليلاً أو تدنِّي الرؤية في الأماكن الخافتة الإضاءة بشكل ملحوظ .. وأسبابه الوراثية هي : نقص فيتامين «أ» ، قصر النظر الشديد ، التهابات الشبكية مثل الالتهاب الشبكي الصبغي (التلوني) .

ويتم تشخيصه بفحص حدة الإبصار ، وقياس قوة انكسار العين بجهاز الكمبيوتر المخصّص لذلك ، وفحص قاع العين .

ويعتمد العلاج في المقام الأول على علاج السبب .. فمثلاً في حالات نقص فيتامين «أ» ، يوصف فيتامين «أ» للمريض عن طريق الحقن أو عن طريق الفم ، وفي حالات قصر النظر ، توصف نظّارة طبية لتصحيح الخطأ الانكساري بالعينين . وبالإضافة إلى ذلك ، يمكن الاستعانة بالمنظار الخاص للرؤية ليلاً Night Scope والذي تم ابتكاره بالولايات المتحدة للمساعدة على رؤية أفضل أثناء الظلام والضوء الخافت . وفكرة هذا المنظار أنه يعمل بصمام إليكتروني يقوم بتكثيف الضوء ويجرى عليه الآن تعديلات حتى يمكن استخدامه بكل راحة وأمان .

● **إصابات العين** : وإصابات العين عديدة ، إما أن تكون بسبب الإصابة بجسم صلب (الإصابات التالة) ، أو الإصابة بجسم حاد (الإصابات النافذة) ، أو بسبب دخول جسم غريب في العين ، أو بسبب دخول مادة كيماوية في أنسجة العين .. أو بسبب التعرّض للإشعاعات الضارة أو الغازات السامة .

» اللیزر يحدّد درجة حدّة الإبصار.. وبدقة عالية..! «



التراكوما من أمراض ضعف البصر



حالات الحول تصيب الأطفال

تشخيص حالات ضعف البصر

هناك وسائل كثيرة لتشخيص مثل هذه الحالات وأهمها :

١ ـ فحص حدة الإبصار بدقة ، وهناك أجهزة حديثة تعمل بالكمبيوتر أو الليزر لقياس حدة الإبصار بدرجة عالية من الدقة .

٢ ـ قياس قوة انكسار العين بواسطة الأجهزة الالكترونية المخصّصة لذلك مثل **جهاز الديوبترون** Dioptron .

٣ ـ فحص أنسجة العين بجهاز **المصباح الشقي** Slit Lamp ، وذلك لتشخيص حالات عتامات القرنية .. عتامات العدسة .. التهابات القزحية .. عتامات الجسم الزجاجي .. واضمحلالات الشبكية ... الخ .

٤ ـ قياس ضغط العين بالأجهزة الحديثة لتشخيص حالات الماء الأزرق (الجلوكوما) .

٥ ـ فحص عضلات العين الخارجية باستخدام جهاز تخييط العضلات الكهربائي Electromyogram لتشخيص حالات الحول والرأرأة (حركة لاإرادية منتظمة بالعينين) .

٦ ـ فحص قاع العين لتشخيص حالات اعتلالات الشبكية واضمحلالات الشبكية وأمراض العصب البصري مثل تأذم حليمة العصب البصري .

٧ ـ تخطيط العين بالموجات فوق الصوتية **(الالتراسونوجرافي Ultrasonography)** لتشخيص حالات الشبكية في حالة وجود عتامات بالعدسة أو نزيف بالجسم الزجاجي .

٨ ـ تخطيط المجال البصري (المركزي والمحيطي) للعينين.

العلاج

من أهم طرائق العلاج ما يلي:

(١) تصحيح أخطاء الانكسار وحالات الحول ذات الانحراف البسيط ، باستخدام نظارات طبية ، أو استعمال عدسات لاصقة .

(٢) العلاج الدوائي لحالات التهابات القزحية والشبكية واعتلالات الشبكية البسيطة غير المصحوبة بمضاعفات وحالات نقص فيتامين «أ» ... الخ .

(٣) يتم العلاج بالليزر لحالات اعتلالات الشبكية المصحوبة بمضاعفات مثل الأنزفة والارتشاحات .. وحالات ثقوب الشبكية .. الخ.

(٤) العلاج الجراحي : في بعض الحالات مثل :

ـ حالات الحول (عملية لتصحيح انحراف العين) .

ـ عتامات القرنية (عملية ترقيع قرنية) .

ـ عتامات العدسة (عملية كتاركت) .

ـ حالات الماء الأزرق (عملية جلوكوما) .

ـ إصابات العين (على حسب الحالة) .



مستشفى دله
DALLAH HOSPITAL
العيادات التخصصية للأطفال
○ العيادات التخصصية الاستشارية لطب الأطفال.
○ استشاري جراحة الأطفال.
○ طبيبة أسنان للأطفال.
○ وحدة العناية المركزية للأطفال.
○ حديثي الولادة مزودة بأحدث الأجهزة.
○ غرفة استراحة ألعاب الأطفال بالعيادات الخارجية.
DALLAH HOSPITAL مستشفى دله
رعاية اشمل... لصحة افضل
COMPREHENSIVE CARE...
FOR GOOD HEALTH
للحجز والاستفسار: ت ٤٥٤٥٢٧٧ تحويلة ١١٧٧ فاكس ٤٥٤٥٢٥٣

دليل قطارات جديد

تأليف: راينهارد ليتاو ○ ترجمة: د. مصطفى ماهر

كثيرًا مــا لاحظ السيــد **(موك بروجيناو)**، عندما كـان قطار سريع مريح يقلّه في حركة كالهَدْهَدَة خلال البلاد، أن اسمه يمكن أن يضاف إلى اسم كل مكـان تقريبًا من الأمـاكن الكثيرة التي كان القطار يتجاوزها في سرعة وكبريـاء، وكان يظن أن ذلك لـو حـدث، مـا كـان ليثير نقـدًا أو اعتراضًا. وكان عند ذاك يقول لنفسه **«بالضبط كما ورد في دليل القطارات»** ويلقي نظرة خبيرة متمكنة إلى خارج القطـار يـراجع فيهـا الإشـارات ولوحات المسافات المتدافعة.

ولكم أثار ذهول أصحابه الذين كانـوا يرافقونـه في السفر عندمـا كان منـذ الأزل يميّز بسمعـه الـدقيق بين **تاتاتاتاتاتا** قطار الركاب البطيء **وتـاتاتـا - تـاتاتـا - تـاتاتـا** القطـار السريع، أو يتبين وهـو مغمض العينين من إيقاع حركـة القطار وهو يطير فـوق التحويلـة هل سيـدخل القطار إلى محطة كبيرة أو صغيرة نسبيًا أو هل سيقف. وإذا كان مسـافرون آخرون يحسـون بـالملل أشـد الملل، ويحملقـون وسنـانين من نـافـذة القطـار، حتى يصيبهم دوار من أثـر تدافـع سلوك التلغـراف إلى أعلى تارة وإلى أسفل تـارة أخـرى، فقـد كـان **(موك بروجيناو)** يجلس واضعًـا طبعة كـاملة مفصلـة من دليل القطـارات على حجـره، يتـابـع فيهـا مسـارات التغيير من خط إلى خط آخر، ويسبق مفتشي هيئـة السكك الحديـديـة إذا وجّـه إليهم بعض المسـافـرين الفضـوليين أسئلـة، ، فيقـدم إليهم المعلومـات الفنية الدقيقة. لقـد كان منظر دليل القطارات يثير فيه مشاعر حسِّيَّـة عميقـة، وكـان يحرص على الحصول على الطبعة الجديدة كل ستة أشهر، **ويتلقاها بالترحيب كما يتلقى الشاعر فصل الربيع**. وكان قبل أن يتنـاولـه بـالـدرس المدقق المتعمق يتحسسه مـن كل ناحية، ثـم يلفه، ويضمه في حَنيةِ كفّه، ثم يتيح له بعد ذلك أن ينبسط شيئًـا فشيئًا من فـوق إبهامـه مُحدِثًا حفيفًا. وكـان يـرهف السمع إلى صوت الاصطكاك المكتوم الـذي يصـدر عنه عنـدمـا يقع على الأرض، ويتمتع بـالنظـر إلى الصفحـات الخضراء الفـاتحة والصفحـات الـورديـة التـي عـرف معنـاهـا بطبيعـة الحال منـذ وقت طويل.

وكـان يتجـه إلى محطـة السكك الحديـدية من فـوره بعد أن يفـرغ من المكتب بعد يوم عمل كامل، أو بعد الظهـر إذا كـان لـه أن يخرج مبكـرًا، وكـان في ذلك يمارس حقــه على أيـة حـال. وكـان يحس بـأحـاسيس متأججـة من الشوق الملتهب عنـدما يحدث الجهاز الأوتوماتيكي ضجيجه المألوف ويقدم إليه تـذكرة زيارة، ثم عندما يثقبها مـلاحظ المحطة، وكان يعرف حق المعرفة إلى أين يتجه، وفي أية ساعة بالضبط حتى لا يفلت منه قطـار من القطـارات الهامـة. فإذا ذهب إلى الـرصيف رقم (١٢) على سبيل المثـال تطلع إلى القـاطـرة العملاقة وهي تقترب، ثم وهي تمر، ثم وهي تنحرف جـانبًا وتقف مزمجرة حيث يقف النـاس متبلّـدين ومعهم عربـات (العفش) محملة بأمتعتهم، وتأكد بنظرة خبيرة عليمة من درجات عـربات القطـار، وعمرهـا، وراجع الأرقام التي تحملها في أماكن معينة، وكـوّن بسرعـة خـاطفـة صورة عن صلاحية القطار وجودته.



ولم يكن يلتفت على الإطلاق إلى الناس الذي كانوا يخرجون متدافعين كـالسيل من القطـارات السريعـة المخصصـة للخطـوط الطـويلـة أ والقطارات التي تقل العمال، **اللهم إلاّ إذا كـانـوا من مـوظفي السكك الحديـديـة. كـان يـرمق هؤلاء بنظـرة سريعة تتسم بسمة من الحسد النادر تتركز على الشريط المثبت فوق العضد فيرتبهم ويصنفهم ويضع كـلاً في موضعه، فإذا فـرغ من ذلك، ووجد الأمـور في نصـابها، وأنصت بأذن الناقـد إلى البيانـات التي تصدر عن مكبرات الصـوت وتتصـف دائماً بالإيجاز المبالغ فيه وبالصواب على أية حال، توجه إلى موظف الاستعلامات الـذي ظل يتابعـه ببصره ولا ينصرف قط عن اللـوحـة المعـدنيـة الصفـراء المثبتة على غطـاء رأسه.** كان **(موك بروجيناو)** قـد أحس في البـدايـة بما يوشك أن يكون القـرف من الطريقة المقتضبة التـائهة التي يـؤدي بها هذا الـرجل عملـه، فلما أدرك سمات

التفاهة والضحالة التي تتسم بها الأسئلة التي يوجهها «يومًا بعد يوم» مسافرون من نوع منخفض الجودة تعبر جباههم عن الوقاحة، زاد تفهمه لشعور الخيبة بل الغيظ الذي يحس به موظفو الاستعلامات الذين لا تتاح لهم فرصة الاعتراف الحقيقي من أعماق دليل القطارات، واقتراح مسارات مركبة جريئة، و إماطة اللثام عن الوصلات الوهمية، أي لا تتاح لهم باختصار فرصة الدخول في حوار باحث أصيل. ومن النادر كل الندرة أن يأتي إلى موظف الاستعلامات رجل واسع الأفق، عالي القدر، خلت يداه من (العفش)، يخطو أشبه ما يكون بمن يسير للنزهة في حديقة من حدائق الاستجمام، وقد توزعت أمتعته على عصبة من الحمّالة، واتخذ سبيله إلى الفندق، يأتي إلى موظف الاستعلامات ويوجه إليه أسئلة رفيعة المستوى، توشك أن تكون محالة الإجابة، فتثير ثائرته وتضطره على الرغم من ذلك إلى الاستمرار في التفكير فيها حتى عندما يأوي إلى فراشه، ويكاد يسمع قطار الساعة صفر والدقيقة ٢١ وهو يبث صفيره عن بعد على الرغم من أنه لا يدخل المحطة كالمعتاد.

وكثيرًا ما فكر (موك بروجيناو) في مشكلة الافتقار إلى المسافرين **الذين يلتمسون معلومات بمعنى الكلمة ولكم جلس في البيت يهز رأسه، ويطالع في دليل القطارات، ويقارن أرقام القطارات، ويجمع الكيلومترات بين المحطات، ويرسم بالقلم الأحمر حلقات حول نقاط التقاء الخطوط الحديدية** حتى ساوره الشك في **دليل القطارات، فدليل القطارات الأخير والطبعات السابقة كلها ألفت على هيئة واضحة ومعقولة إلى حد كبير، ولكنها تفتقر إلى شيء لا قياسيّ، شيء جَوهري هام لا سبيل إلى تقدير قيمته التقدير الواجب، إن دليل القطارات يبالغ في تقدير أهمية هدف الرحلة المباشر الذي يسعى إليه المسافر، وهذا سبب يؤدي إلى سطحية الدليل. ولهذا بدأ يؤلف دليلاً للدولة كلها. واستخدم في البداية مسافات وأماكن خيالية، من بينها مكانا أسماه باسمه محققا بذلك حلمًا خفيًا قديمًا، وانطلق من هذا المنطلق الأول، مما يمكن أن يكون الخط الأول بين مدينتي نورنبرج وفورت، وتدرج من هذا الخط الأول إلى خطوط القطار السريع الرابط بين الشمال والجنوب وما إلى ذلك.** وعلى الرغم من أنه ربط نفسه بعد ذلك بالشبكة الحالية تمامًا، فإنه تعرض لنكسات كثيرة. وقد أدى به خطأ حسابيّ على سبيل المثال إلى أنه اكتشف ذات صباح أن قطارين سريعين ظلا يتصادمان كل ليلة في المنطقة بين **(تيفنبرون)و (مويت لاندهاوس)**. كذلك حدث أن اكتشف **(موك بروجيناو)** بعد استعراض دقيق لجداوله أن بعض القطارات خرجت عن القضبان، وتألم عندما اكتشف بعد معاينة دقيقة أن قطارًا دوليًا بقي في موضع ما على الحدود الجنوبية لا يستطيع الحركة، وأن بعض القطارات من نوع (د٣٩٠) اختفت ولم يعثر لها على أثر، حيث إنها لم تصل إلى أي مكان، هكذا فجأة.

ولقد سهر الليالي يبحث ويتقصى حتى اكتشف الأخطاء وصحَّحها، وساعدته على ذلك خبرته العملية التي اكتسبها في ساعات الليل خاصة، حيث كان يتسلل إلى المحطة دون أن يتعرض للقبض عليه إلاّ نادرًا، **فقد اتخذ لنفسه قُبَّعة موظف الاستعلامات الرسمية. كان يتوارى في ركن من الأركان المظلمة على رصيف المحطة فإذا لم ير عند دخول القطار المحطة موظف الاستعلامات، لبس القبعة الرسمية بسرعة، وبقي بعيدًا في الظل الذي كان يأمن فيه على نفسه.** ولم يسع إليه في البداية إلا القليل من المسافرين. على أية حال كان هناك مسافرون يجشمون أنفسهم مشقة البحث عنه، فإذا لمحوه، لم يتقاعسوا عن الإسراع نحوه وتوجيه أسئلة متباينة، بين القيِّمة والضَّحْلَة - ولكن هذا الوضع تغيّر بعد قليل لأنه كان يقدم إلى أصحاب الأسئلة معلومات مرضية، وسليمة ولطيفة، حتى ذاعت شهرته على ما يبدو. فلما تقدم إليه ذات مرة موظف استعلامات حقيقي عليم، لم يكتشف **(موك بروجيناو)** إلا متأخرًا فلم يستطع أن ينقذ نفسه من المأزق بأن يخلع بسرعة القبعة الرسمية ولكن الخوف الذي استبد به لم يكن له ما يبرره. وهذا هو ما اتضح من نظرة الموظف الخبير المبهورة المذهولة. لقد خلبت معلومات **(موك بروجيناو)** لبّه فوقف جامدًا بلا حراك، **كالإشارة الضوئية، أو المصباح المهجور على خط مهمل**، و تعرض الرجل ساعة لأسئلة الموظف الخبير ورفاقه، وجاء رئيس المحطة وشارك الجماعة المنصتة، فرفع من فرط الإعجاب والتواضع عصا الإشارة فوق رأسه.

وزادت جسارة **(موك بروجيناو)** في الظهور منذ تلك الحادثة، وتركه الموظفون وشأنه، **إما لأن مواهبه العظيمة وهو الرجل المجهول إذا قيست بكفاءتهم هم اضطرتهم إلى السكوت والتستّر وإما لأنهم قبلوه ليحمل عنهم جانبًا من العمل فتركوه في ليالي الشتاء القارصة على الرصيف ولاذوا بالكشك المدفأ ليشربوا الشاي بالروم - وإما لأنهم ظنوا أنه مبعوث سري من جانب الإدارة العُليا للسكك الحديدية.** وضعفت بالقدر نفسه مقاومة **(موك بروجيناو)** لغواية استخدام دليله الذي فرغ في هذه الأثناء من إعداده، بدلاً من الرجوع إلى دليل القطارات الرسمي المعتمد. وكان الضحايا الأول لهذه الجرأة مشرفين على رحلة للأطفال، وكانوا من حسن الحظ من محبي الرحلات، فقد رسم لهم مسارًا طويلاً بعيدًا.

صدق المشرفون الطيبون البسطاء البيانات التي قدمها إليهم **(موك بروجيناو)**، واتبعوها، فدارت بهم في جنبات القطر عدة أسابيع إلى أن وصلوا إلى غايتهم، وقد بلغ بهم الإعياء كل مبلغ، ولكنهم كانوا على الرغم من ذلك سعداء. وجرى على جماعة من الجنود ما جرى على هذه الرحلة، فقد أخذ المشرف عليهم

بيانات **(موك بروجيناو)** مأخذ الجد، وخرج مع رجاله في رحلة من نوع رحلة **الأوديسا**، والحق يقال إن **(موك بروجيناو)** كان يحقق نجاحًا خاصًا مع الرحلات الجماعية، فلم يكن عليه إلا أن يكسب فردًا واحدًا، وهو المشرف على الرحلة، فتتضاعف النتائج أضعافًا مضاعفة بقدر عدد المشاركين في الرحلة.

والحق أن دليل القطارات الجديد لم يكن يختلف عن الدليل الرسمي المتعارف عليه اختلافًا كبيرًا، فقد كان هناك تطابق يوشك أن يكون كاملاً بين كل الصياغات المتنافسة فيما يتعلق بمواعيد القيام، أما أماكن الوصول المستهدفة فكان هناك تضارب شديد في البيانات الواعدة ببلوغها. وما دام أتباع دليل القطارات الذي وضعه **(موك بروجيناو)** أقلية فقد كان عليهم أن يتبعوا جداول يدفع **(موك بروجيناو)** بها إليهم تضطرهم إلى التغيير في أثناء الطريق مرارًا وتكرارًا. فلما أصبح لهؤلاء الأتباع الغلبة، وأدى الاستحسان المتزايد إلى قيام المؤلف بنشر دليله بين موظفي استعلامات السكك الحديدية في طول البلاد وعرضها، فقد تغير الوضع كأن يحدث أحيانًا أن يقوم المسافرون طبقًا لهذا الدليل بشد كابح الطوارئ بكل بساطة وإرغام سائق القطار على الوقوف في الطريق، وتوجيه نظره المرتبك الحائر إلى أرقام مصفوفة لم يرها من قبل قط، ومطالبته بتذكر رقم قطاره الذي يقوده، وحثه على تغيير موقفه واتباع المسار المختار طبقًا لدليل القطارات الجديد. وهكذا لم يكن غريبًا أن تكون هناك قطارات تثبتها الهيئة العامة للسكك الحديدية في دليلها الرسمي المتعارف عليه ولكنها لا تقوم ولا تصل إلى غايتها، بل تظل حركتها على الورق. فحسب. حتى الأماكن النائية التي كان الناس فيها يبطئون في الأخذ بالمواعيد والجداول الجديدة، أصبح من الممكن أن يخطط الإنسان لأسفاره فيها قرير العين طبقا للدليل الجديد، كانت الأسفار تستمر وقتًا أطول، وتتلوى مساراتها إلى خطوط جانبية كثيرة، وتغييرات عديدة من قطار إلى قطار، وتكشف عن بشر ما كانوا يقومون بمثل هذه المغامرات من تلقاء أنفسهم، ليشاهدوا مواضع خلابة من الأرض، وتبعث بهم ربما لأول مرة في حياتهم إلى حيث يبحثون عن هدف، بحثًا كانوا يحرصون عليه أكثر من حرصهم على الهدف نفسه، بل ربما نسوا الهدف في غمار التمسك بالبحث في حد ذاته.

وأصبحت خدمات موظفي الاستعلامات الذين كان **(موك بروجيناو)** **يعلمهم** بنفسه خدمات لا يكاد الإنسان يستطيع أن يوفيها حقها من التقدير. وأصبح هؤلاء الموظفون يؤدون عملهم بدقة وعمق ويخدمون الجمهور على نحو جديد كل الجدة مهتمين بالحالة الخاصة التي يعرضها المسافر الباحث عن نبوءة كهنوتية تناسبه شخصيًا، وأصبح من الممكن أن يلاحظ الإنسان أن موظفي الاستعلامات أوشكوا أن يكونوا طبقة جديدة متميزة.

ومن البديهي أن التعليمات ما لبثت أن خرجت في مقالات إلى الناس، وتوقّع البعض تطورات خرافية، وقيّموا العمل خير تقييم.

ولله در الرجل الذي أكد أن دليل **(موك بروجيناو)** يحتوي فعلاً على ذلك الشيء اللاقياسي، الشيء الهائل الذي يعجز الإنسان عن تقديره حق قدره والذي كان المؤلف قد طالب به مؤسسًا طلبه على مبررات وتعليلات مسلسلة تسلسلاً منطقيًا، وأنه يتخذ فيه شكل المكان الخيالي المسمّى باسم (موك بروجيناو)، والذي يرجح أن المخطط قد نسي أن يمحوه من تخطيطه عندما انتقل من مرحلة التجربة الأولى إلى مرحلة الدليل المتكامل النهائي، وأكد علاوة على ذلك أن هذا المكان الذي لم يستطع تحديده جغرافيًا بطبيعة الحال يصح اعتباره بمثابة محور الدليل كله.

كان من الممكن تصور هذا المكان في مثلث المواصلات المزدحم بالحركة والنشاط **تالبروج - شولبيراخ - تالن - ايجلن**، فإذا وضع الإنسان ثقته في الجدول وصدقه، تبين أن القطارات لا تكف هنا عن الحركة ذهابًا وإيابًا، وأن القطارات الظمآنة تتزود هنا بالماء، وأن مئات الأطنان من البضائع يتم هنا شحنها أو إنزالها. كانت الخطوط الرأسية التي تدل في كل دليل للقطارات على مسارات قطارات المسافات البعيدة تنتهي هنا فجأة: فقد كانت **(موك بروجيناو)** نقطة التقاء مواصلات من الدرجة الأولى. وليس من شك في أن حسابات **(موك بروجيناو)** داخَلَها إحساس بالعظمة لا يعتمد على العقل، ولم يكن هناك شيء قادر على التغلب عليه، بل أتيح له ما مكنه من أن يحقق ذاته على أجمل وجه. وإذا جاز للإنسان أن يصدق الدليل الجديد، فإن كل القطارات تقريبًا كانت تمس هذا المكان في أثناء مسارها على نحو ما، ربما في اللحظة التي ينام فيها الجميع ويفوت عليهم **منظر ناظر هذه المحطة وقد لبس القبعة الرسمية الحمراء ورفع عصا الإشارة ووضعها في وضع الانتباه واستغرق في استعراض دائم لا ينتهي للقطارات**.

وعارض **(موك بروجيناو)** بنجاح الاقتراحات الرامية إلى إنشاء **مدينة تحمل اسمه بالفعل**، ولكنه على الرغم من ذلك أقام في المكان الذي كان يمكن أن تكون فيه لو كان لها وجود حقيقي، وأصبح في مقدوره، سواء كان جالسًا في كرسيه الوثير، أو كان في الحديقة يعتني بالورود، أن يحس بنفسه في مركز شبكة السكك الحديدية التي ربطت خطوطها البلاد على نحو جديد.



الحداثة.. والشعر العربي

أحَداثةٌ تُمْنَى بها الكَلِمُ ... وحَداثةٌ تَشْقَى بها حُرَمُ !

أفَنَدَّعي أنْ تُسْتَرَدَّ بنا ... لغةٌ تُضامُ بقُدْسها رَحِمُ

أبِحَشْرَجاتٍ راحَ يُرْسِلها ... نَفَرٌ يجيءُ الفكرُ والنَّغَمُ ؟

وبقَرْزَماتٍ راحَ يقذفُها ... بالهُجْرِ والنظرِ الكليلِ فَمُ

وحَداثةٍ وُلِدَتْ مُعَوَّقةً ... مِسْخًا، فلم يَسْعَدْ بها رَحِمُ (١)

ألقَتْ علينا وِزْرَ ذي كَسَلٍ ... من بعدِ ما عاثَتْ بها أُمَمُ

هي بعضُ ما قد لاكَها نَفَرٌ ... ومَضَى بها يَغْشَى ويَرتَطِمُ

أفَبَعْدَ ما رَثَّتْ وقد رُفِضَتْ ... في الغَرْبِ تَأسِرُنا ونلتَزِمُ !

فيُساغُ فيها كُلُّ مُطَّرحٍ ... ويُجازُ ما يُقْذي وما يَصِمُ

أحَداثةٌ تُفضي إلى عَبَثٍ ... فيَضيعَ في تِيهٍ بها كَلِمُ ؟

وَلأَنْتَ تَضرِبُ في مجاهِلِهِ ... وتَخوضُها فتَحفُّكَ الظُّلَمُ

لأُمَجِّدَنَّ «فصيحةً» سَطَعَتْ ... فِكْرًا، وقد سارَتْ بها حِكَمُ

شَمْسًا، وهل يَخْتصُّها بَلَدٌ ... هَدْيًا رَعَاهُ العُرْبُ والعَجَمُ

عَمَرَتْ رُبوعًا لا حدودَ لها ... وشَدا بها قومٌ بها عَلِموا

لا أُبْدِلَنَّ بها نُفاضةَ مَنْ ... لَغَطوا بها قَمَشوا وما نَظَموا

مِن أينَ يُدرِكُ بعضُ ذي عِوَجٍ ... أنَّ الذي قد رَمَّ مُنهدِمُ !

إنّي بما يُشْدَى بهِ بَرِمٌ ... ولقد عَراني الهَمُّ والسَّقَمُ

وأَرَى الذينَ سَمَا بهمْ شَرَفٌ ... قَعَدوا وقد ألْوَتْ بهم هِمَمُ

صَمَتوا كأنَّ الضَّيمَ نالَهُمُ ... فمَضَوا كَمَن أخْنَى به صَمَمُ

وَيْلُمِّ هذا العَصْرِ طاشَ به ... ذو لُوثَةٍ، إذْ باتَ يَغْتَنِمُ

شعر: إبراهيم السامرائي

لَهْفِي على غُررٍ أُطيحَ بها   مِن حالقٍ فتهاوَتِ القِمَمُ
وامتازَ من غَيظٍ على مَضَضٍ   مَنْ ضِيمَ إذْ هانَتْ بنا القِيَمُ
إنّي لَيَحزُنني غيابُ هُدًى   ومُروءةٌ قد غالَها هَرَمُ
وضمائرٌ مُسِختْ بها اجترَحَتْ   ما ليسَ يفقَهُ زَيْفَهُ حَكَمُ
عَقَمَتْ فلم تُومِئْ بواعدةٍ   يَحْيَا بها في جَدبنا حُلُمُ
يا لَيتَ أنَّ بقيَّةً بَقِيَتْ   في النفس أُدركُها فأبتَسِمُ
أوْ لَيْتَ أنّي صُنْتُ من سَعَةٍ   تُقصي سَحابَةَ ما جَنَى نَدَمُ
أو أنّها عُقْبَى أكونُ بها   لا عِشْتُ، أغشاها فأنْهَزِمُ
وأَرَى أُولي بَأْس تَخَطَّفَهُمْ   عَصْرٌ فَرِيعَ المجدُ والكَرَمُ
فأُولاءِ مَنْ كُنّا نَشيمُ بهم   وَفْرًا متى انكَفَأَتْ بنا النِّعَمُ
ومتى ابتَعَدْنَا عن مآثِرِنا   ومَشَى علينا الشرُّ يَلْتَطِمُ
والخطبُ أَيسرُ ما يُرَدُّ بهِ   في لُجِّهِ، تيّارُهُ العَرِمُ
وتجيءُ أُخرى لا نُراحُ بها   دأْبَ الذي قد باتَ يضْطَرِمُ
أَدَبي، وما أُوتيتُ من أَنَتي   يَسْخو بهِ في حافلٍ عَمَمُ
قَدَرٌ غَنيتُ بها رَضيتُ بهِ   أنْ فُزْتُ فيما راح يَنْتَظِمُ
قد صُنْتُ فيهِ كَرائمي وبها   جَوَّدْتُهُ فتوافَرَتْ نَسَمُ
وقَبَسْتُ من كَلِمٍ سَعَيْتُ لهُ   ودَنَوتُ منهُ، فراعَنِي أَمَمُ
ولكَمْ صَبَرْتُ على مُكابَدَةٍ   فأَطَقْتُها، ورَفيقيَ الأَلَمُ

الهوامش

(١) كلمة «رَحِم» بفتح الراء وكسر الحاء تعني موضع الولد في بطن الأم قبل أن تضعه أمّه. وهو غير «رَحِم» في البيت الثاني التي تعني آصرة القربى.

الإسلام دين الحق

بقلم: محمد مرسي محمد مرسي

الحق الذي هو نقيض الباطل، هو العدل الخالص، وهو الأصل الراسخ، روح كل نظام، وحياة كل كمال، وقوام كل خير في الأرض والسماء، يهتدي إليه العقل السليم، ويؤيده العلم الصحيح، ويتأدى إليه النظر القويم، ويرتاح إليه القلب، ويطمئن له الضمير.

والباطل هو الفساد الزائل، الزور الحائل، والشر المستطير، علة كل متداع، وسبب كل فتنة، ينفر منه العقل، ويدحضه العلم، ويتقزز منه النظر، لا تقوم له دولة إلا حيث تسود الجهالة، وتعم العماية، أو حيث تتمرد الشهوات، وتعبد الأهواء، وتُستهدف المثل وتُتعجل الهتكات.

الحق هو الأصل الأصيل في كل وجود، والباطل يعرض عليه، فلا أقول إنهما متى تقابلا يصطرعان، ويتنازعان السلطان، ولكني أقول إن الحق يدحض الباطل ويزهقه، ويكر عليه فيمحقه، ولا عبرة بتطاول الزمان، فإن للخالق سبحانه في ذلك الإمهال حكمة، ولا بد أن تذوق شيعة الباطل وبال أمرها، فترجع إلى هداها عن بينة، أو تهلك عن بينة لتكون عبرة لغيرها من الجماعات البشرية.

الحق.. والماء

ليس فيما بين أيدينا من تعاليم الحكماء الأولين، والفلاسفة المحدثين، ما يمكن أن يقارن بما أتى به الإسلام في التنويه بالحق وإعلاء كلمته، وفي التشهير بالباطل وتقويض دولته، فقرر أولا أن الحق أساس الوجود كله، وقوام كل موجود فيه فقال تعالى: **﴿وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وإن الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل﴾**(١) ثم جعله في حكم المحسوسات لظهور آثاره في كل صغير وكبير من الخلق، فقال تعالى: **﴿ألم تر أن الله خلق السموات والأرض بالحق إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد. وما ذلك على الله بعزيز﴾**(٢) وجعل ذلك آية بينة للمؤمنين الذين يرون بأبصارهم وبصائرهم، قال تعالى: **﴿خلق الله السموات والأرض بالحق إن في ذلك لآية للمؤمنين﴾**(٣).

وقد ضرب الله مثلا للحق والباطل يمثلهما للذهن بصورة تجليهما في وصفيهما المميزين،



ليندفع الإنسان محفوزا بجميع عوامله النفسية للأخذ بالأول والركون إليه، وترك الثاني والإزراء به، فقال تعالى: **﴿أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها﴾** إلى قوله: **﴿كذلك يضرب الله الأمثال﴾**(٤). يشبه الله تعالى الباطل بالزبد الذي يعلو الماء حين يتدفق سيله في الأودية، وبالزبد الذي يطفو على المعادن إذا صهرت لتتخذ منها الأواني أو الحلى، وشبه الحق بالماء الذي يروي الأرض والناس، وبالمعادن التي تبقى بعد نفي الكدرات عنها، يقول: **﴿فأما الزبد فيذهب جفاء﴾** لعدم الفائدة فيه، وأما الماء والمعادن التي تستخلص من شوائبها فتبقى في الأرض لينتفع الناس بها، وأي عقل يعول على الزبد الذي لا فائدة منه ويترك المواد التي عليها المعول في الحياة.

وقد زاد الله الحق تشريفا فجعله من أسمائه الحسنى، فقال تعالى: **﴿فذلكم الله ربكم الحق﴾**(٥) وقال: **﴿فتعالى الله الملك الحق﴾**(٦) وقال: **﴿ذلك بأن الله هو الحق﴾**(٧).

ولشدة عنايته بالحق سمى الإسلام دين الحق، فقال تعالى: **﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله﴾**(٨). ووصف آياته

وتعاليمه بالحق، فقال تعالى في وصف القرآن: ﴿وبالحق أنزلناه وبالحق نزل﴾[٩]. وقال تعالى: ﴿إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا﴾[١٠]. وقال: ﴿يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيرا لكم﴾[١١] وقال: ﴿لقد جئناكم بالحق ولكن أكثركم للحق كارهون﴾[١٢].

وقد أعلن الله الناس بأنه يؤيد الحق وينصره ويزهق الباطل ويبطله، فقال تعالى: ﴿ويُريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين. ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون﴾[١٣] وقال: ﴿بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه، فإذا هو زاهق، ولكم الويل مما تصفون﴾[١٤]. وقال: ﴿قل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد﴾. [١٥] وقال: ﴿وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً﴾[١٦]



وقد زاد تجلية حقيقة الحق فقرر أن كل ما عداه ضلال فقال تعالى: ﴿فماذا بعد الحق إلا الضلال﴾[١٧]، فهل لذي فضلة من عقل أن يعدل عن الحق ليتخبط في دياجير الضلال، ويتعرض للهلاك بهلاك ما تمسك به من خيال؟

هاتان صورتان للحق والباطل لم توفق أية

”الإسلام جعل الكلمة العليا للحق باعتباره الأصل الأصيل في كل الوجوه..“

فلسفة في الأرض قديما ولا حديثا إلى الإتيان بمثلهما، وقد جليتا في الكتاب الكريم على كل وجه بحيث تتأثر بهما كل نفس بشرية، ولا تجد مناصا من الاعتداد بأمرهما من كل شؤونها المادية والأدبية، وقصارى همّ المصلح الاجتماعي أن يوجه الناس توجيها ذاتيا تحت سائق من صميم فطرتهم إلى تحري الطريق القصد في محاولاتهم، وتجنب المضال التي تؤديهم إلى عكس مطالبهم، أو إلى ما يورطهم في مشتجر شهواتهم، ومزدحم أهوائهم،

ليس في قدرة أي مصلح ولو كان مثلا أعلى في الإخلاص للإنسانية أن يقرن كل رجل برقيب عتيد يزعه عن الباطل، ويوجهه إلى الحق، ويتمنى لو استطاع أن يجعل هذا الرقيب نفسانيا، فهذه الرقابة الذاتية قد أوجدها الإسلام في أكمل ما تكون عليه لمن يأخذ بآدابه، ويدمن على تلاوة كتابه. وقد ظهرت آيات ذلك في المسلمين الأولين، فأصبح كل منهم جلوازا للحق، وشرطيا على الباطل، ليس في نفسه فقط بل وفي الخارج أيضاً.

بين الحق.. والمصلحة

روي أن يهوديا شكا علي بن أبي طالب إلى عمر ابن الخطاب، فلما مثلا بين يديه، قال الفاروق لعلي: اجلس يا أبا الحسن، فظهرت دلائل الامتعاض على وجهه، فلحظ ذلك أمير المؤمنين، فقال له: أكرهت يا علي أن تجلس أمام خصمك؟ قال: لا، ولكنك ناديتني بكنيتي فرفعتني عليه فكرهت ذلك.

فانظر إلى رجل يمتعض لأن الحاكم رفعه على خصمه لمجرد مخاطبته بكنيته، وهذا كما هو مألوف بين الناس مقام اغتباط وارتياح، ولكن **عليا رضي الله عنه** كان حريصا على الحق في نفسه، وجلوازاً له في مجتمعه ولو كان ذلك على نفسه.

إن عددا قليلا من هؤلاء الآحاد الذين يقومون على حراسة الأصول الإلهية جديرون أن يفتحوا الأرض، وأن يقوّموا معوجها، وقد فعلوا فأدهشوا العالم، وذهب المفكرون في تعليل ذلك مذاهب قدداً، والحق أنهم ما وُفقوا إلى هذه الأمور الخارقة للعادة، إلا بقيامهم على حراسة هذه الفضائل العليا التي لم يعرفها العالم إلى اليوم.

نعم: أقول إلى اليوم، لأن الكلمة العليا كانت ولا تزال بين الأمم وبين الآحاد «للمصلحة» لا «للحق»، فاعتادوا أن يتغابوا في سبيل مصالحهم عن كل حق، حتى إن أكيس الناس في نظرهم هو الذي يسلك كل سبيل من التعسف لتأييد مصلحته غير مبال أأخطأ الحق أم راعاه، وأسوس الأمم وأحقها بالإعجاب هي التي تؤيد مصالحها! بالحديد والنار غير آبهة بحق ولا متورعة عن باطل.

لهذا أصبح الناس حتى في الشعب الواحد متزاحمين غير متراحمين، ومتناظرين غير متكاتفين، لا يبالي قويهم بما جناه على ضعيفهم، وأضحت الأمم يتربص بعضها ببعض دوائر السوء، مما جرها إلى الإسراف في الإنفاق على الآلات المدمرة، والذخائر الموبقة، فوقعت في أزمات اقتصادية لم يعرفها البشر إلا اليوم. واكتظت المدن بمئات الألوف من الفقراء والجياع والعاطلين عن العمل بشكل لم نسمع به في تاريخ البشرية الأول.

فهل يصح أن يكون الإنسان على هذه الحال وهو في وسط هذه المدنية وفي مزدحم هذه الوسائل الصناعية، وملتطم هذه العلوم الاقتصادية؟

هذا كله نتيجة العمل على المصلحة دون الحق، أفلا يكون العالم ـ وهذه حالته ـ في حاجة ماسة إلى تعاليم الإسلام العليا، ومنها العمل على إحقاق الحق لا على ترويج المصلحة، للخروج من هذه الفتن التي لا نهاية لها.

ليس معنى هذا الكلام أن الإسلام لا يعتد بالمصلحة الفردية والاجتماعية، ولكن معناه أن الإسلام يجعل الحق فوق المصلحة، فإذا وافقت المصلحة الحق أصبحت المصلحة حقا، فيجب تأييدها والدفاع عنها، وإذا لم توافق الحق كانت باطلا، فيجب دحضها وإزهاقها.

ففي المثل الذي ضربناه في حادثة **علي واليهودي** كان من مصلحة أبي الحسن أن يكون مكانه أعلى من مكان خصمه، ولكنه لما رأى أن مصلحته تتعارض والحق آثر الحق على المصلحة.

وفي قوله تعالى: **﴿كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أوالوالدين والأقربين﴾**(18)، في هذا الموطن من المصلحة أن لا يعتد الإنسان بالعدل، وأن لا يشهد على نفسه أو والديه أو أقاربه، ولكن الإسلام يأبى ذلك ويريد أن يقوم أهله على احترام الحق ضد النفس والوالدين وذوي القربى.

وقد أمر الإسلام بمراعاة الحق في مواطن البأس، فقال تعالى: **﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين﴾**(19)

وقد عدّ من الاعتداء الإجهاز على الجرحى، وتعقب المهزومين، وقتل الأتباع الذين يخدمون المحاربين، وهذه مبادئ لم تعرف قبل الإسلام، ولا تزال غير مرعية في عهد هذه المدنية المادية.

قد يخيل لبعض الناس أن المصلحة تقضي بالإثخان في العدو، والإغراق في التنكيل به ولكن الإسلام يرى المصلحة الحقيقية في إيثار الحق على كل اعتبار آخر، والحق هو أن تقاتل الذي يرفع في وجهك سلاحاً دون سواه.

هنا يحتمل أن يقول قائل: إن خادمه يعتبر معينا له، فهو شريكه في عمله. ونرد عليه بأنه لو صحت هذه القاعدة لاعتبرت النساء وأقوياء الصبية والشيوخ وجميع المتخلفين معينين للمقاتلين، ويجب قتلهم متى ظفر بهم، ولكن الحق يقضي بأن الحرب يجب أن تنحصر في المتحاربين، حصراً لسفك الدماء في أصغر دائرة ممكنة، وما دامت تنكسر شوكة العدو وتبطل مقاومته بانهزام جيشه، فيجب الاكتفاء بهذه النتيجة احتراماً للحياة البشرية. وهذا مما اختصت به تعاليم الإسلام، وكان أفعل في تدويخ أعدائه من جميع الوسائل الوحشية التي يأخذ بها أعداء الإنسانية، بل كان من أقوى العوامل في دخول الناس فيه أفواجا، لأن النفس البشرية لما فطرت عليه من تقدير الجميل، وذوق الفضيلة، تنساق لحب المتصفين بشريف الخلال، وتميل لأن تعد في زمرتهم.

هذه الميزة من الإصلاح الاجتماعي التي اختص بها الإسلام. فيها راحة الأفراد والجماعات، وانتظام أمورهم إلى أقصى حد يتخيله العقل، لأن الحق يسع الخلق أجمعين ويصلح من شئونهم، ويزيل من شرورهم ما لا يستطيعه العلم ولا المدنية والفنون مجتمعة، والباطل يضيق حتى عن صاحبه نفسه، ولا يزال به حتى يورده الموارد ويضر المتصلين به، لأنه جرثومة شر لا تلبث أن تستشرى وتولد غيرها من العوامل المفسدة. وإذا كانت الأمم في حاجة إلى الأخذ بهذا الأصل في كل زمان ومكان فهي اليوم بما تورطت فيه من آثار الباطل قديما وحديثا أشد احتياجا إلى الأخذ به، والإسلام لا يزال ولن يزال يهيب بها إليه، إلى أن تقوم الساعة قال تعالى: **﴿يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم، فآمنوا خيرا لكم وإن تكفروا فإن لله ما في السموات والأرض وكان الله عليما حكيما﴾**(20).

○ ○



- **البيانات والمعلومات الدقيقة تساعد على إنجاح التعداد.**
- **نتائج التعداد الدقيقة أساس للتخطيط السليم.**
- **المعلومات والبيانات الإحصائية الدقيقة عنوان الأمة المتحضرة.**
- **التخطيط السليم والمدروس يبنى على المعلومات الإحصائية الدقيقة والصادقة.**
- **الاستغلال الأمثل لثروات الوطن يبنى على التعداد الدقيق.**
- **تعداد السكان صورة للثروة البشرية في كل المجالات.**
- **التعداد مقياس للقوة البشرية.**
- **هدف التعداد خدمتك وخدمة أولادك ووطنك.**
- **التعداد خطوة في الطريق نحو التنمية الشاملة.**

الهوامش

١ — سورة الحجر آية/ ٨٥
٢ — سورة إبراهيم آية/ ١٩ ـ ٢٠
٣ — سورة العنكبوت آية/ ٤٤
٤ — سورة الرعد آية/ ١٧
٥ — سورة يونس آية/ ٣٢
٦ — سورة طه آية/ ١١٤، المؤمنون آية/ ١١٦
٧ — سورة الحج آية/ ٦ و ٦٢، لقمان آية/ ٣٠
٨ — سورة الفتح آية/ ٢٨
٩ — سورة الإسراء آية/ ١٠٥
١٠ — سورة البقرة آية/ ١١٩
١١ — سورة النساء آية/ ١٧٠
١٢ — سورة الزخرف آية/ ٧٨
١٣ — سورة الأنفال آية/ ٧ و٨
١٤ — سورة الأنبياء آية/ ١٨
١٥ — سورة سبأ آية/ ٤٩
١٦ — سورة الإسراء آية/ ٨١
١٧ — سورة يونس آية/ ٣٢
١٨ — سورة النساء آية/ ١٣٥
١٩ — سورة البقرة آية/ ١٩٠
٢٠ — سورة النساء آية/ ١٧٠





البيئة الهشة

تأليف: لوري فرايدي و رولاند لاسكي ● عرض وتعليق: د. أنور أحمد عبد الله

يثير الكتاب جملة من الأسئلة المصيرية حول بيئة الكوكب الأرضي، بعد التغيرات الحادة والسريعة التي طرأت عليها بفعل نشاط الجنس البشري والتقدم التقني الذي أحرزه.

يأتي صدور هذا الكتاب في وقت يستقطب الحديث فيه عن أزمة الكوكب الحي اهتمامًا عالمياً متزايداً متفاعلا مع أخبار السياسة الدولية إن لم يكن طاغيا عليها أحيانًا. ويمتاز الكتاب من غيره من المطبوعات الصادرة في هذا المجال بكونه صادراً من دار نشر جامعة عريقة ومتزنة علميًا في وقت احتد فيه الجدل حول مدى احتمالية حدوث أزمة بيئية في القرن القادم. لا يقدم الكتاب حلولا للمشكلات المطروحة ولكنه يتناول الخيوط العديدة والمتشابكة والتي تكون العقدة الحيوية للأزمة المتوقعة. اشترك في إعداد فصول الكتاب الثمانية نخبة رفيعة من العلماء لتشخيص وتحليل الأزمة من أوجه مختلفة ولكن بلغة بسيطة أعدت للقارئ العادي غير المختص.

البيئة الهشة

لا شك أن جميع الأحياء تتفاعل إلى حد ما مع بيئتها، فهي تتأثر بعوامل وعناصر البيئة المضيفة، وتؤثر بدورها بإحداث تحويرات فيها. ولا يعتبر الإنسان استثناء من هذه الحقيقة العلمية، إلا أن العلاقة ما بين الإنسان والبيئة تبدو فريدة، وهذا ما يتناوله الكتاب إجمالا بالإسهاب والتفصيل. ولا عجب أن قدمت مسودة هذا الكتاب للطبع في البداية تحت عنوان آخر هو «الإنسان والبيئة».



يعتقد البرفسور أندرو جودي Andrew Gou-dieوهو أستاذ الجغرافيا في أكسفورد، أن التغيرات التي طرأت على بيئة الأرض بفعل نشاط وتطور الإنسان عبر التاريخ، من خلال استخدامه للنار، احترافه للصيد ومن ثم الزراعة واستقراره في تجمعات بشرية صغيرة وكذلك بحثه وتنقيبه عن المعادن، كانت مؤثرة جدا. هذا مع الإقرار بأن هذه التأثيرات التي أحدثها البشر في البيئة قد اختلفت من مكان لآخر تبعًا لفترة استقرار المجموعات البشرية فيها، ودرجة التقنية التي كانت في حوزة الإنسان، إضافة إلى كثافة السكان في كل بقعة.

النار

إن استخدام النار من قبل البشر، سواء حدث ذلك لأول مرة في **الصين** قبل (٧, ٠ ــ ١) مليون سنة أو بدرجة غير مؤكدة في Chesowanja في **كينيا** قبل (٤, ١) مليون سنة، قد أهَّل الإنسان لامتلاك إحدى الوسائل الفيزيائية الفعالة في تبديل حالة البيئة وفرض هيمنته بالدرجة التي تسمح له بفتح فجوات مكشوفة داخل الغابات لضرورات السكن والزراعة وتربية الحيوانات.

إن النار ساعدته في التحرك داخل الغابات المتشابكة والكثيفة، كما سهلت له إمكان كشف الوحوش ورؤيتها وصيدها، لقد وهبته الحماية اللازمة في الليل من بهائم الغابات والأدغال ووحوشها ومكنته من التجوال بعيدا والوصول إلى المناطق الشديدة البرودة. لقد مكنت النار الإنسان من كسر وتفتيت الصخور الكبيرة وسهلت له صناعة الأدوات الحجرية. ولعل النار كانت عونًا له في حماية اللحوم النيئة من المكروبات، ولتجفيف فائض الأغذية النباتية واللحوم لغرض حفظها لفترة أطول.

لعل أحد أبرز التأثيرات السلبية للنار كانت في زيادة تعرية التربة من المنحدرات بعد احتراق غطائها النباتي والشجري. بيد أن النار ساعدت في إزالة الأشجار العملاقة والسائدة وبالتالي هيأت الظروف للطبقة التحتية من شجيرات وأعشاب للنمو والانتشار وبذا ساعدت على تنوع الغطاء النباتي. لقد كانت النار الوسيلة الفعالة بيد الإنسان القديم في تحوير النظام البيئي والنوع النباتي.

انقراض الحيوانات

مما لا شك فيه أن تكاثر **المجموعات البشرية مع ما رافقه من تطور في التقنية المحققة في كل عصر، قد مكن الإنسان من السيطرة والفتك بالمملكة الحيوانية وبالتالي أسهم في حدوث انقراض نوعي وكمي للحيوانات.** وبعكس ما هو متعارف عليه فإن إنسان ما قبل عصور التأريخ لم يكن أعزل من السلاح الفتاك الذي يؤهله لمواجهة وصيد أكبر الحيوانات وأشدها ضراوة. فالأوتاد المدببة وخاصة تلك المقطوعة من أشجار البامبو المنتشرة حينذاك، كونت أسلحة قاتلة خصوصا حينما

> "امتلك الإنسان قوى هائلة، لكنه استخدمها في التدمير!"

تستفرد جماعة كبيرة من البشر بأوتادها الحادة، بواحد من تلك الوحوش العملاقة.

لقد اجتمع للإنسان النار والسلاح والذكاء، بينما لم يملك الطرف الآخر سوى قوته البهيمية، لذا كانت الغلبة للأول في معظم الحالات. لقد **شهدت كل من أفريقيا وجنوب آسيا أول مظاهر الانقراض في الحيوانات قبل (٢٠٠) ألف سنة. أعقبها انقراض آخر قبل (٢٠) ألف سنة في أوروبا، وآخر قبل (١٠) آلاف سنة في شمال آسيا، بينما يعود الانقراض الأخير إلى ما قبل (١٠ ـ ١٢) ألف سنة في كل من أستراليا وأمريكا.**

إن التأثير البيئي لهذا الانقراض السريع الذي شمل (٧٥٪) من الحيوانات المقتاتة بالأعشاب Herbivres في العالم الجديد قد أسهم في التأثير مثلاً في انتشار البذور، والرعي، والتجديد الطبيعي للأشجار. إن حيوانات الرعي الضخمة مثل **الثور الأمريكي Bison، و الماموث Mamoth ، ووحيد القرن Woolly rhinoceros** ربما كان لها دور مهم في تأخير أو منع نمو الأشجار، كما أن **الغزلان العملاقة** في أيرلندا ربما قد لعبت دورًا في إدامة الغطاء النباتي العديم الأشجار.

الزراعة واستقرار الإنسان

لعل العامل الحاسم الآخر الذي أسهم في تحوير الطبيعة على يد الإنسان يتمثل في تحول الأخير إلى الاستقرار في مجمعات سكنية ومن ثم مزاولته للزراعة. وإذا كانت الحراثة ضرورية ـ ابتكرت في وادي الرافدين قبل ٥٠٠٠ سنة ـ



لتنظيف الأرض وخلخلة التربة، إلا أن كلا العاملين قد أسهما في تعرية التربة وفقدان التربة السطحية. ولقد ورد **نظام الري في كل من مصر القديمة ووادي الرافدين**. إلا أن الأخيرة عانت من مشكلة الملوحة من جراء ذلك قبل ٤٤٠٠ سنة.

ومن الملاحظ أن التطور النوعي في الزراعة قد

اللون الأخضر في طريقه للتناقص .. والسبب !!

أسهم أيضا في زيادة الكثافة السكانية بالنسبة للأرض المستغلة، فإذا كانت الزراعة الديمية الجافة تستوعب أكثر من شخص إلى شخصين في الكيلومتر المربع الواحد، فإن نظام الري قد رفع هذه الكثافة إلى (٦) أشخاص أو أكثر في الكيلو متر المربع الواحد. هذا مقابل (١ و٠) شخص/الكيلومتر المربع الواحد فقط في فترة الصيد والجمع. وعليه فإن مجموع السكان قد ازداد إلى ٦٠ ضعفًا خلال فترة ٦ آلاف سنة مما أسهم في ظهور مدن كبيرة مثل نينوى **Nineveh** بعدد سكان قدر بـ ٧٠٠ ألف نسمة وقرطاجة **Carthage** بعدد مماثل من السكان، وروما بعدد بلغ المليون نسمة.

التنقيب عن المعادن

لعل التطور الأخير والذي زاد من مقدرة الفحم والبترول قد أسهما في شحن جو الأرض بالكاربون، بينما أدت الصناعة إلى تلويث الغيوم المطرية مسببة نزول الأمطار الحامضية. لقد لحق ذلك كله التطور الواسع الانتشار للكيماويات من الهايدروكاربون، ومن بينها صناعة الأسمدة الاصطناعية مما زاد تلويث الهواء والمياه، بينما شكلت المعادن الثقيلة والمشعة أخطاراً تهدد البشرية.

إن الاستنتاج النهائي لهذا السرد التاريخي لتطور نشاط وفعاليات الإنسان في الطبيعة يقودنا إلى حقيقة أننا في الوقت الذي نُدين فيه الثورة الصناعية بشكل كبير في تسببه لخراب ودمار الأرض، يجب أن لا نغفل عن تلك الأنشطة الأخرى لإنسان عصور ما قبل التاريخ وبعدها في بداية إرباكها لبيئة



وسيطرة المجموعة البشرية وتمكنها من إحداث تحويرات هامة في عناصر الطبيعة، كان يمثل مرحلة البحث والتنقيب عن المعادن. وربما يرجع ذلك إلى ٥٧٠٠ سنة قبل الآن وأكثر احتمالا أن يكون ذلك في شمال غرب إيران. إلا أن التأثير الأكثر خطورة بدأ في القرون الماضية حيث إن حرق الكوكب الأرضي.

مستقبل غابات العالم

هل سيضطر العالم لإعادة تلوين خارطة العالم؟ هذا ما يعتقده أستاذ البيئة **نورمان مايرز Norman Myers** حيث يتكهن بأن اللون الرمادي أو ربما البني سيحل قريبا محل اللون الأخضر الذي كان يوما ما يرمز إلى توزيع وتناثر الغطاء الغاباتي على سطح كوكبنا الأرضي. إن الحقيقة المؤلمة هو أن هذه **الغابات التي بقيت تغطي مساحات هائلة من سطح الأرض لملايين من السنين قد تمت إبادتها في ظرف زماني لا يتعدى القرن الواحد**. وإذا ما تخطينا فائدة الغابات المباشرة كمصدر للأخشاب فإن هذا الغطاء الأخضر لعب دورًا رئيسيا ولا زال في الموازنة المائية والكاربونية على سطح كوكبنا الحي، إضافة إلى دورها الواقي للتربة وتنظيمها للمناخ المحلي لأماكن انتشارها، ورغم أن مساحة الغابات الاستوائية والتي لا تمثل أكثر من (٦٪) من مساحة اليابسة للأرض فإنها تؤوي أكثر من ٥٠٪ من كائنات الكوكب، حيث تضم **تيجان أشجارها وحدها ٣٠ مليون نوع من الحشرات**.

إن انقراض هذه الأنواع يعني بالضرورة التفريط بالمواد الوراثية التي تضمها هذه الغابات والتي تُعلق التقنيات الحديثة في الزراعة والصناعة والطب الأمل الكبير على استكشاف مجاهلها لاستخدامها في حل مشكلات الغذاء والتصحر والجفاف، دع عنك أن من بين كل ٤ أدوية مصنعة حاليا هناك دواء واحد على الأقل مشتق أصلا من النباتات البرية في هذه الغابات.

إن جو الأرض يحوي حاليا **٧٠٠ بليون طن من الكاربون على شكل غاز ثاني أوكسيد الكاربون أي ما يقارب (٠٠٣٪) حجما. أما الغطاء الأخضر والتربة الأرضية فإنها تحتضن ما يقارب ٢٠٠٠ بليون طن كاربون أي ما يقارب ٣ أضعاف ما هو موجود في جو الأرض. إن الخطورة الحقيقية تكمن في إمكانية تحوير المجتمع الغاباتي في حالة اختلال مناخ العالم. والأشجار تحت ظروف درجة الحرارة العالية ستكون عقيمة، أي بدون بذور، مما قد يهيئ الجو والبيئة لتغيير المجتمع الشجري وإحلاله بالشجيرات والتي ستكون أقل قدرة من الأشجار العملاقة على خزن الكاربون وبالتالي سيؤدي ذلك لا محالة إلى إطلاق مزيد من الكاربون إلى جو الأرض. إن قطع الغطاء الأخضر من على سطح كوكبنا الأرضي يعني بالضرورة قطع أكثر من شريان**

يغذي مجرى الحياة الخافق على الكوكب الحي .

الإنسان والحيوان

يتسم تعامل الجنس البشري مع الحيوانات بالسلبية التامة النابعة من الارتباك والإحباط في فهم الحيوانات كأحياء ذكية ذات حس لم يدرك الإنسان بعد أغواره . ومما زاد من جهلنا وعجزنا عن فهم مكنون هذه الكائنات الحية هو انعدام وسيلة التخاطب المتعارف عليها بين البشر، حتى باتت الهوة عميقة بين الإنسان والحيوان غير الناطق .

ولعل جهلنا التام بحجم المملكة الحيوانية كمًّا ونوعا قد زاد الأمور غموضا في تقدير مدى إسهام هذه الكائنات في ديناميكية التوازن الحيوي على كوكبنا الأرضي . ففي الوقت الذي تبدي فيه البشرية همة في سبر أغوار أدق أسرار الخلية الحية والتركيب الذري والنووي للمادة واستكشاف مجاهل الفضاء الخارجي، فهي لا زالت قاصرة في فهم وتقييم المملكة الحيوانية الموجودة والمشاركة لها في الحياة على الأرض . ولعل هذا التقصير العلمي قد أسهم بدوره في جهل الإنسان بالعلاقات المتداخلة ما بين الأحياء من جهة وما بينها والطبيعة من جهة أخرى .

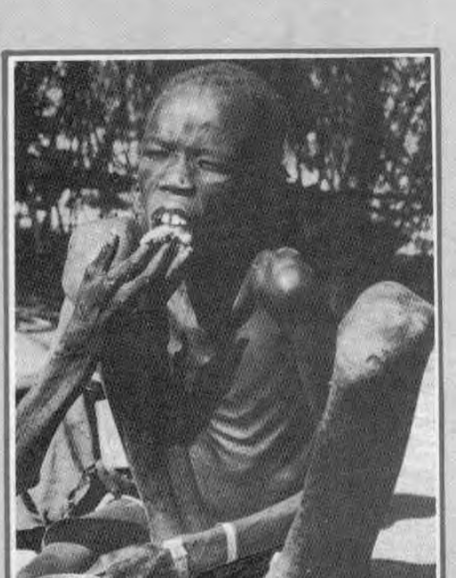
هنالك أسئلة عديدة لا زالت حتى الآن دون إجابات، حول الديناميكية الحيوية المنظمة لتوازن معدل الولادات والموت لكل مجموعة حية، ولماذا تتكاثر بعض الأنواع بوفرة وتبدو سائدة بينما تكون أنواع أخرى نادرة؟ **حاليا تشير أكثر التقديرات العلمية اعتدالا إلى المملكة الحيوانية بـ ١٠ ملايين** نوع، إلا أن المثير هو أن الغلبة العددية تبدو في صالح الحيوانات الصغيرة ــ في حدود ١٠ سم حجمًا ــ حيث إنها تفوق الأنواع ذات الصفة الحجمية الأكبر (متر واحد حجما) بـ ١٠٠ مرة . ولا شك أن معرفة درجة التباين الحيوي ما بين الكائنات الحية تعتبر ضرورة ملحة لأجل معرفة موقع الإنسان منها ومن الطبيعة . فالتقصير وارد هنا ولعل أزمة البيئة قد أيقظت فينا الكثير من نواحي الجهل الإنساني حول البيئة التي نحن جزء منها .

المجاعة

قد توحي كلمة المجاعة بتعقيدات المنطق غير المبرر الذي يخيم بظلاله على الحضارة البشرية خاصة وأنها على أعتاب القرن الواحد والعشرين للميلاد وبعد أن حققت قفزات نوعية في الرفاهية إثر ثورتين في الزراعة والصناعة .

إن تتبع خيوط مشكلة المجاعة سواء في المجالات السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية أوالتقنية يقودنا إلى حقيقة حتمية استمرار هذه المشكلة في العالم الثالث بشكل عام والقارة السوداء بشكل خاص . والسؤال الجدير بالإجابة والبحث هو ما الذي يجعل هذه المجتمعات الإنسانية أكثر حساسية وأقل مناعة أمام أخطار القحط والمجاعة؟

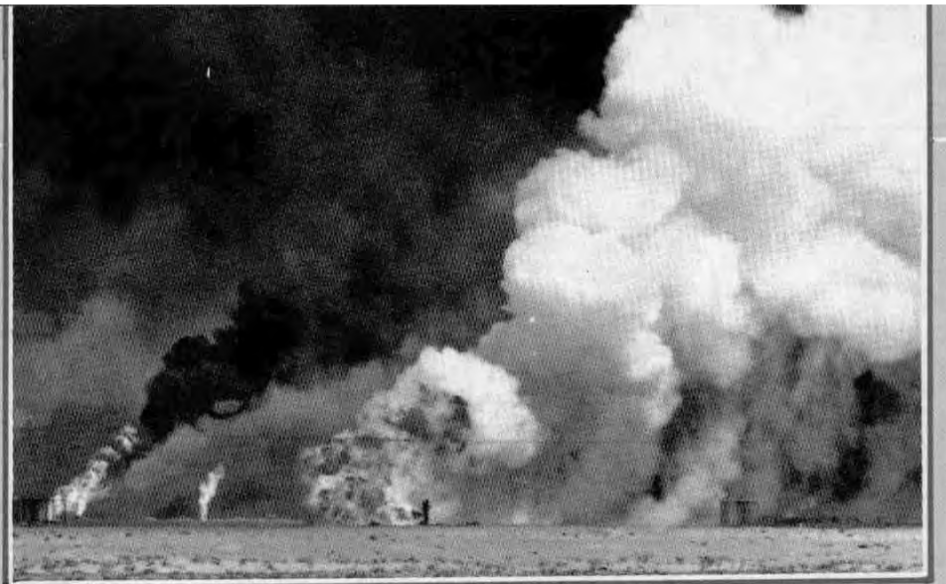
ولعل الأرقام وجدها تجيب على فداحة المعضلات الاقتصادية التي تعتصر قارة أفريقيا مثلاً، تلك الأرض التي احتضنت أجداد البشر قبل ٣ ملايين من السنين . فمن بين ٣٦ دولة هي الأشد فقرا في العالم ، تضم أفريقيا ٢٢ دولة منها، هذا مع حقيقة أن ١٥ دولة أفريقية لا زال معدل إجمالي الإنتاج القومي فيها آخذًا في الهبوط سنويًا . هذا عدا تورط حكومات معظم هذه الدول في ديون خارجية متراكمة لا يسمح وضعها الاقتصادي المتردي بأكثر من دفع الفوائد المترتبة عليها سنويا .



مجموع سكان أفريقيا آخذ في الازدياد الحاد من ٣٨٤ مليون حاليا إلى ٦٤٥ مليون بحلول سنة ٢٠٠٠م، وإلى ١,٢٧ مليار عام ٢٠٢٥م . وتبدو الآمال ضئيلة جدا في إنجاح أية خطة لتنظيم الأسرة وتحديد النسل؛ لأن زيادة الأطفال في العائلة الأفريقية هي رد فعل طبيعي ضد المستقبل غير المأمون إضافة لارتفاع نسبة **الوفيات بين الأطفال ـ بمعدل ١١٤ حالة وفاة في كل ١٠٠٠ ولادة ـ** والتي تمثل عشرة أضعاف ما هو موجود **في العالم المتقدم ــ ١١ حالة وفاة في كل ١٠٠٠ ولادة، في إنكلترا مثلاً** ــ . وتتسم ردود فعل العالم إزاء مشكلات أفريقيا بالعفوية والاستجابة الوقتية لعامة الناس لمساعدة أفريقيا الجائعة ساعة وقوع المشكلة، دون العمل على استئصال المشكلة من جذورها وذلك عبر برنامج مساعدات طويل الأمد للأخذ بيد هذه الشعوب للخروج بها من مستنقع الفقر والجهل والمرض . ومن المؤسف أن نعلم من هذا الكتاب أن موجة المجاعة الأخيرة في أفريقيا عام ١٩٨٤م والتي نقلت مأساتها للعالم شبكة بي بي سي BBC البريطانية وأثارت عامة الناس قبل الحكومات، كانت قد أشارت إليها بيانات وصور الأقمار الصناعية ناسا NASA قبل وقت طويل من وقوعها وهذا ما يزيد من تعقيدات المنطق غير المبرر الوارد أعلاه .

الموارد المستنزفة

على الرغم من وفرة الموارد الطبيعية على شكل وقود ناضب (فحم، بترول، غاز طبيعي) وأخرى غير ناضبة (الثروة السمكية، الغابات، التربة . . . إلخ) فإن مشكلة استنزاف الموارد الطبيعية بشكل عام قد تجاوزت في حدودها هذا التصنيف، مهددة بعض الموارد المتجددة بالنفاد وذلك لاستغلالها من قبل الإنسان بمعدلات تفوق سرعة تجددها . إلا أن أستاذة الاقتصاد / **بارثا داسجبت Partha Dasgpta** تبدو متفائلة من أن الأزمة آنية . وتنطلق من الافتراض القائل أن الموارد الطبيعية هي عادة متوفرة ومبذولة في الطبيعة، إلا أنها لا تكتسب أهميتها كقيمة اقتصادية إلا بعد أن يتوصل الإنسان إلى الطريقة التقنية والاقتصادية لتسخيرها لأغراضه



المتنوعة . فنلاحظ أن تحول الصناعة من اعتمادها على الأخشاب مثلا إلى الفحم الحجري في إنكلترا وذلك في أواخر القرن الثامن عشر كان من أسبابها الشح في مخزون الخشب في إنكلترا حينذاك . ومن بعدها شهدا لعالم التحول إلى مصادر الطاقة الأخرى مثل البترول والغاز الطبيعي .

ولا شك أنه في كل مرحلة كانت هناك الحاجة إلى الاختراع وتحوير عجلة الصناعة لتوافق نوع الطاقة الذي يحركها . ومن هذا السرد التاريخي يبدو أن التحول من مصدر طاقة إلى آخر كان مرادفًا لتقدم البحوث والتطور العلمي ، وعليه نجد اليوم بجانب **مصادر الطاقة التقليدية بدائل مثل اليورانيوم (٢٣٨)، كما تبدو الآمال كبيرة في استغلال طاقة الاندماج النووي أو خزن الطاقة الشمسية في المستقبل غير البعيد .**

وعليه فهناك أملٌ في التحول في المستقبل من مصادر الطاقة الناضبة إلى بدائل الطاقة المتجددة والدائمة . ولعل روح التفاؤل الذي يسود صفحات هذا الفصل يعكس وجهة نظر المدرسة الاقتصادية الصناعية في المراهنة على ديمومة النمو الاقتصادي من دون التحليل الحيوي لديناميكية البيئة والخراب الذي بدأ يتسرب إلى حبكة نسيجه الحي على يد الإنسان . ولقد تجاهلت الكاتبة مقدار الإرباك والدمار الذي سيلحق ببيئة الأرض قبل أن يتحول الإنسان إلى بدائل الطاقة الأخرى في القرن القادم على أقل افتراض .

تغير المناخ

يمثل المناخ على سطح الأرض الموازنة ما بين كمية الأشعة الشمسية القادمة إلى الأرض من جهة وكمية فقدان الطاقة إلى الفضاء نتيجة الأشعة تحت الحمراء Infra-red من جهة أخرى . إن جو الأرض الذي نتمتع به الآن هو نتيجة وجود بخار الماء وثاني أوكسيد الكاربون (CO_2)، الأوزون وبعض المكونات الدقيقة الأخرى التي تمتص الأشعة فوق الحمراء وتمنع أكثر من نصف كمية الإشعاعات المنعكسة من الأرض من الرجوع إلى الفضاء الخارجي . وعوضا عن ذلك فإن بعض الطاقة الممتصة ترجع إلى الأرض وهذا ما يعرف بتأثير البيت الزجاجي Greenhouse Effect والتي يسببها بالدرجة الأولى بخار الماء وبدرجة ثانية غاز (CO_2) وبقية الغازات .

ما يحدث الآن هو أن الإنسان بدأ يترك بصماته على جو الأرض من خلال زيادة شحن جو الأرض بغاز الكاربون وكذلك زيادة نسبة الغازات الأخرى في جو الأرض . ولا تزال دورة الكاربون غير مفهومة تماما على سطح الأرض ، والمعلومات تفيد بدور المحيطات في تنظيم هذه الدورة إلا أن ديناميكية هذه العملية لا تزال غامضة .

سيواجه العالم زيادة في درجة حرارة جو الأرض بمقدار يتراوح ما بين (٥, ١ - ٥, ٤م°)، وقد تعمل المحيطات على تأخير توقيت التسخين بعدد من العقود ولكن لن تمنع أو تحتوي الزيادة الحاصلة .
إن عجزنا الحالي عن إمكان التكهن بكيفية تغير المناخ في ضوء المعلومات المتوافرة حاليا يجب أن لا يقعدنا عن ضرورة عمل شيء لاحتواء الأزمة قدر المستطاع .

ولعل حيرتنا وعجزنا في هذا السبيل هو ناتج عن جهلنا بطبيعة ما يجري حولنا على سطح الكوكب . إن الجفاف الذي تكرر في العقود الأخيرة في منطقة الساحل في أفريقيا وكذا في الأجزاء الشرقية من البرازيل مثلا لا يزال يحير الخبراء ، فهل هو يمثل تغييرات حادة ومؤقتة في مناخ غير متبدل أم هو بوادر نزعة بعيدة المدى نحو مناخ أكثر جفافا؟؟

بيئة الأرض : نظرة شاملة

إن الضرورة التي تحتمها التركيبة المعقدة لتفاعلات مكونات البيئة الحية منها وغير الحية ، قد أملت تشخيص مشكلة البيئة وتشريح بنيتها عبر صفحات الكتاب بأسلوب التحليل والتجزئة ، إلا أن **الفصل الأخير يمتاز بتقديم الصورة الحية والشاملة لما تبدو عليه بيئة أرضنا الأم من الفضاء وذلك عبر أكثر من ٣٠ صورة فضائية ، إضافة إلى الخرائط التوضيحية المرفقة . ولعل ما قامت به هذه الصورة من دور مهم هو كشفها عن الأجزاء المجهولة ، بحلقاتها المفقودة ، لنظام ما يعرف باسم بيوجيوفيزيا - حيوية الكوكب Biogeophysical System .**

وإذا ما تمكن الإنسان يوما ما في المستقبل من فهم العلاقات المتداخلة لبيئات الأرض وأمكن له التعبير عن تفاعلاتها بالأرقام ، حينئذ فقط يمكن له التكهن بالمسار المستقبلي لدورات الطبيعة وتأثير تدخل الإنسان فيها .

إن المستقبل يعتمد على مدى فهمنا وإدراكنا لآفاق وكينونة بيئة الكوكب الحي ، وإلا واجهت البشرية حالة مستقبلية غامضة ناتجة عن تقاعسها وإخفاقها في هذا الشأن مما سيؤدي إلى تقليص العالم إلى قطع صغيرة ومتناثرة يصعب علينا بالنتيجة توحيدها ودمجها بعضها ببعض .

إن التكنولوجيا التي أوجدها الإنسان قد أهلته لإحداث تغييرات بيئية على مستوى الكوكب ، وعليه فإن الوسيلة الآن هي في يديه والخيار له وحده لضبط نوع الإيقاع أو التأثير الذي سيحدثه في بنية وبيئة الكوكب المضيف .

○ ○

المسرح المستقل في إنجلترا

بقلم: د. محمد أبو بكر حميد

امتدت حركة « المسرح الحر» إلى إنجلترا بعد أن بدأت بكل من فرنسا وألمانيا، فقد كانت إنجلترا تعاني ركودًا في الحركة المسرحية وهبوطًا في مستوى التأليف الدرامي. فبالرغم من الانتشار الذي حققته فرقة السيرهنري إرفنج H. Irving في بداية القرن التاسع عشر إلى أواخره إلا أن انجلترا لم تعرف كاتبًا مسرحيًا متميزاً منذ وفاة توماس وليم روبرتسون Thomas W. Robertson (١٨٢٩ ـ ١٨٧١م) الذي رسم أول ملامح الواقعية في المسرح الإنجليزي الحديث.

لقد ظل المسرح الإنجليزي حتى الثمانينيات من القرن التاسع عشر معتمدًا على إحياء مسرحيات الماضي والاقتباس من المسرح الأوربي وخاصةً الفرنسي والمسرحيات المحلية الفكاهية.

الواقعية الأخلاقية

وقد أدى هذا الركود إلى ثورة الحركة النقدية على أوضاع المسرح الإنجليزي، وكان وليم أرشر William Archer أهم من بدأها في كتابيه «كُتّاب المسرح الإنجليزي المعاصرون» English Dramatists of Today (١٨٨٢م) وكتاب «عن المسرح» About the Theatre (١٨٨٦م)، وبالمثل نشر الناقد فرانك هارس Frank Harris سلسلة مقالات في Fortnightly Review ودعا الكاتب القصصي جورج مور George Moore إلى إنشاء «مسرح حر» على غرار النماذج الموجودة في أوربا. وكان لا بد أن يظهر رواد يمهدون لهذا الاتجاه، وبالفعل جاءت أعمال كل من هنري آرثر جونز Henry Arthur Jones (١٨٥١ ــ ١٩٢٩م) وآرثر ونج بينرو Arthur Wing Pinero (١٨٥٥ ـ ١٩٣٤م) لتُشبه بأعمال إبسن Ibsen ـ مع الفارق ـ ولكنها حقيقة لعبت الدور الذي لعبته أعمال كل من دوماس الابن Dumas fils وأوجيه Augier في التمهيد للواقعية وحركة المسرح الحر في فرنسا. والحقيقة أن أهم ما قدمه كل من جونز وبينرو كان في دائرة الاستفادة من أساليب المسرحية المتقنة الصنع Well-made Play والاتجاه نحو الحل الأخلاقي في عقد مسرحياتهم الاجتماعية. لقد بدأ جونز Jones. بكتابه الميلودراما وانتهى إلى كتابة المسرحية الاجتماعية الأخلاقية ابتداءً بمسرحية الأولياء والأشقياء Saints and Sinners (١٨٨٤م) التي تناقش مشكلة ادعاء الفضيلة وفعل الرذيلة في النفس الإنسانية، وبالمثل كانت مسرحية «مايكل والملاك المفقود» Michael and His lost Angel (١٨٩٦م) ـ التي يعتبرها النقاد من أفضل أعماله، يعالج جونز فيها العلاقات الجنسية المحرمة ومشكلة الزنا وعواقبها على الأسرة والمجتمع. لقد عمل جونز في معظم أعماله على أن يكون داعية للإصلاح الاجتماعي والأخلاقي و أن تكون أعماله صدى لصوت إبسن في المسرح الإنجليزي وقد نجح بالفعل في كسب جمهور كبير.

أما بينرو Pinero فقد بدأ حياته بكتابة المسرحيات الفكاهية المسلية Farce كان أهمها مسرحية «القاضي» The Magistrate (١٨٨٥م) التي ظلت تُعرض في بريطانيا من حين لآخر إلى عهد قريب. أما أعماله الاجتماعية ذات الاتجاه الأخلاقي فقد بدأت بمسرحية «المتهتك» The Profligate (١٨٨٩م) التي يدل عنوانها على موضوعها ثم مسرحية « السيدة تانكويري الثانية» The second Mrs. Tanqueray (١٨٩٣م) التي تتعرض لعاقبة الزنا والتفكك الأسري في المجتمع الإنجليزي وهي المشكلة المحورية في معظم مسرحياته وظلت تلح عليه حتى أخريات أعماله وأشهرها مسرحية « منتصف الطريق» The Mid Channel (١٩٠٩م). وينتهي معظم أبطال بينرو للانتحار تحت وطأة خطاياهم وذنوبهم أو نتيجة لوقع الصدمة من خيانة غيرهم، وهي حلول متشائمة لا تتفق مع الاعتقاد في رحمة الله وأن السبيل أمام الإنسان يظل مفسوحًا لإصلاح نفسه ـ مهما كثرت ذنوبه ما دام صادق التوبة. وفي جميع الأحوال فقد عمل بينرو على أن يسير على درب إبسن وخاصةً في آخر أعماله وكان اهتمامه بالصنعة المسرحية وعناصر التشويق قد جعل أعماله تمتد عمرًا أطول في العرض على الجمهور من أعمال زميله جونز.

ومع ذلك تظل أهمية الدور الذي لعبته أعمال كل من جونز وبينرو في ترويض الجمهور الإنجليزي لمشاهدة قضايا ومشكلات اجتماعية كان يرفضها بأسلوب إبسن وأتباعه. لقد مهدت أعمال جونز وبينرو بواقعيتها الأخلاقية وصراحتها لدخول أعمال إبسن الأكثر واقعية والأكثر صراحة والتي ما كان المجتمع الإنجليزي في العصر الفيكتوري يتقبلها أو يقبل عليها، وحسبها هذا الدور الذي لا نعدمه في أي حركة تجديد، وهو الدور الذي يزيل العقبات ويؤهل الناس لاستقبال الرواد والأعمال الرائدة.

إبسن في إنجلترا

ثم بدأ إبسن تدريجيًا يتسلل إلى إنجلترا حيث أثار بعض النقاد الكتابة عنه في الصحافة الإنجليزية التي بدأت سنة ١٨٧٣م، وفي سنة ١٨٧٦م ترجمت كاثرين ري Catherine Ray أول مسرحية لإبسن إلى اللغة الإنجليزية وهي مسرحية

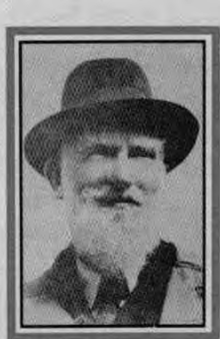
«الإمبراطور وجاليلو» **Emperor and Galileau**

ثم بدأ بعد ذلك وليم آرشر **William Archer** ترجمته لكل مسرحيات إبسن التي ظلت النموذج السائد لأعمال إبسن المترجمة إلى الإنجليزية حتى منتصف القرن العشرين. وفي سنة ١٨٨٠م عرضت مسرحية «**أعمدة المجتمع**» **Pillars of Society** وهي أول مسرحية تعرض لإبسن في إنجلترا. ولكن ظل عرض مسرحيات إبسن متقطعًا حتى سنة ١٨٨٩م عندما قامت الممثلة الإنجليزية الشهيرة جينت آشرش **Janet Achurch** (١٨٦٤ - ١٩١٦م) بعرض مسرحية «**بيت الدمية**» **A Doll's House** في عرض خاص على مسرح **Novelty Theatre** قامت فيه بدور «نورا» **Nora**، وفي سنة ١٨٩٦م قدمت مسرحية «**إيولف الصغير**» **Little Eyolf** على مسرح **Avenue Theatre** وقامت فيها بدور ريتا **Rita** ثم عرضت مسرحيات أخرى لإبسن يشاركها زوجها **تشارلز كارنجتون** **Charles Charrington**، وقد سافرت إلى العديد من البلدان تعرض فيها مسرحياتها، **وكانت أول ممثلة إنجليزية تزور مصر وتمثل على مسرح الخديوي**. **وقد وصفها برنارد شو بأنها أعظم من قدم الأعمال التراجيدية الجادة في عصرها. وفي سنة ١٨٩١م أصدر برنارد شو كتابه خلاصة الإبسنية** **Quintessence of Ibsenism** حيث عرّف «**الإبسنية» بأنها نقد أخلاقي في شكل درامي للزيف والنفاق الاجتماعيين**.

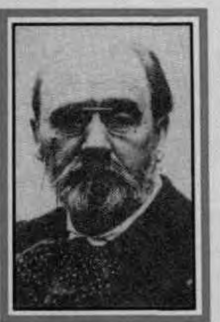
البداية الحقيقية

وإلى جانب هذا كله لم تأخذ مسرحيات إبسن حقها في الظهور المتوالي والعرض الواقعي الذي يتناسب مع منهجها إلا مع بروز أول مسرح حر في إنجلترا وهو ما سمي **بالمسرح المستقل** **Independent Theatre** أسسه جاك توماس جرين **JAck Thomas Grein** (١٨٦٢ - ١٩٣٥م) الهولندي الأصل، وقد رمى مسرحه المستقل إلى أن يحقق في إنجلترا ما حققه أنطوان في فرنسا. بدأ جرين حياته ناقدًا ونشر العديد من مقالاته عن المسرح في مجلة **Dutch Art Chronicle** ثم اتجه للتأليف والإدارة المسرحية. أعلن جرين أن هدف المسرح المستقل هو «**إقامة عروض مسرحية خاصة لمسرحيات ذات قيمة أدبية وفنية، واستبعاد الأعمال التجارية**

”
اهتم المسرح الإنجليزي المستقل بالأعمال الجادة ذات القيمة الأدبية والفنية
“



برنارد شو



إميل زولا



إبسن

الهابطة. وكغيره من المسارح الحرة في أوربا كان **المسرح المستقل** مقتصرًا على المشتركين وبالتالي فقد أُعفي من الخضوع لرقابة **اللورد شمبرلين** **Lord Dhamberlain** المسؤول عن رقابة كل الأعمال المسرحية التي تعرض على الجمهور الإنجليزي. **ولقد بدأت عروض المسرح المستقل في أيام الآحاد وهي الأيام التي تغلق فيها المسارح التجارية لتستغل مبانيها في عروض المسرح الحر من جهة وللاستفادة من الممثلين المحترفين واجتذاب الجمهور من جهة أخرى**.

افتتح **المسرح المستقل** عروضه في ١٣ آذار (مارس) ١٨٩١م بعرض خاص لمسرحية **الأشباح** **Ghosts** لإبسن على **المسرح الملكي** **Royalty Theatre** بلندن وكان قد مُنع عرض هذه المسرحية على عامة الناس من قبل، ومع ذلك فقد أثارت هذه المسرحية هجومًا عنيفًا من النقاد على **جرين ومسرحه المستقل الأمر الذي أعطى للمسرح المستقل** شهرةً ماكان رواده يحلمون بها. ثم بدأ **المسرح المستقل** بعد ذلك يستقبل الأعمال الطبيعية والواقعية فعرض في موسمه الثاني مسرحية تيريز راكان **Thérése Raquin** لأميل زولا التي هوجمت بنفس القدر الذي هوجمت به «**الأشباح**». **وظل المسرح المستقل يواصل عروضه ويروض الجمهور الإنجليزي على مشاهدة الواقع والمآسي الاجتماعية كما هي على خشبة المسرح حتى سنة ١٨٩٧م وبلغ مجموع عروضه ستة وعشرين عرضًا لمسرحيات معظمها غير إنجليزية**.

المصادر

1) Cordell, Richard. **Henry Arthur Jones and the Modern Drama,** New York, 1932.

2) Dickinson, T.H. **The Contemporary Drama In England.** Boston, 1931.

3) Franc, Miriam Alice. **Ibsen in England,** The Four Seas Company, Boston, 1919

4) Fyfe, H. Hamilton. **Sir Arthur Pinero's Plays ans Playery,** London, 1930.

5) Miller, Anna Irene. **The Independent Theatre In Europe, 1887 to the present.** New York, 1931.

6) Orme, Michael. **J.T. Grein : The Story of a Pioneer.** London, 1936.

بدايات

الطباعة: من الألواح الخشبية إلى الليـــزر..!

الطباعة المتقدمة التي نعرفها الآن والتي عن طريقها نستطيع طباعة آلاف النسخ من كتاب كبير، يضم بين دفتيه ألف صفحة مثلا؛ في يوم واحد أو بعض يوم، أو طباعة آلاف النسخ من صحيفة في عدة بلـدان في قارات متعـددة، هذه الطباعـة لم تصل إلينا في تطـورها الحالي إلا بعد بـدايات أخـذت مراحل متعددة، فالطباعة لها تاريخ طويل كانت بدايته تتمثل في الطباعة عن طريق الألواح الخشبية. . !!

وقـد **عـرف الصينيـون هــذه الحرفة، في أقدم صـورها، بالألواح الخشبية قبل الميلاد بثلاثمائة عام على** أقل تقدير. .

خشبية . . كيف؟ :

وفي هذا النـوع من الطباعـة عن طريق الألواح الخشبية، كان الطابع إذا أراد أن يطبع كتـابا، فإنـه يحضر لـوحـات خشبية ويسـوّي سطحهـا وينعّمه، ثم يكتب عليها النصوص المراد طبعهـا كتـابـة معكـوسـة (مقلوبـة)، وكان أحـد العمّال المهرة يقوم بحفر أجزاء الخشب الخالية من الكتـابـة فتظهـر الحروف بـارزة على اللوحة، فتُحبّر وتوضع عليها الورقة التي يراد طبعهـا، وتمر أسطوانة على الـورقـة وتضغـط عليهـا، فتظهـر الكتـابـة على وجههـا الملاصق للوحة. .

ولم تكن هذه الطريقة عملية أو مسعفة، إذ كان على الطـابع أن يعد عـددًا من الألواح الخشبيـة مساويًا لعـدد صفحات الكتـاب المراد طبع نسخ منه، وكـانت الكتابـة المحفورة على هذه الألواح غير متنـاسقة، أما أخطـاء الحفّـار فكـانت تُصحح بصعوبـة، ناهيك عن المكـان الذي تحتله تلك الألواح في المطبعة في حالة طبع كتاب ضخم. . !!

ونظرا لعيـوب الطباعة بـالألواح الخشبية **فكّر البعض في صنـع حروف معدنية منفصلة تُجمع بها الكلمات في تناسق تام**، فإذا ما تـم جمع نصوص كتاب من الكتب بها؛ فُكّت بعضها من بعض ليعـاد طبع كتب أخـرى بها. . وهكذا. .

ويتفـق معظـم المؤرخين على أن **يوحنا جوتنبرج** أول من فكـر في هذا النوع من الطباعة، بالحروف المعدنية المنفصلـة؛ حيث بـدأ محاولاتـه في مـدينـة «ستراسبـورج» حـوالى سنـة ١٤٣٦م وواصلها في مـدينـة **«ماينز»** عام ١٤٤٥م، واستخدم **جوتنبرج** اختراعه في طباعة الكتب الدينية. .

بعد ذلك **انتقلت الطبـاعـة إلى إيطاليـا وسويسرا وبريطـانيا**، ففي عام ١٤٧٧م أدخل **وليم كاكستون** الطباعة إلى **إنجلترا**، وأنشأ مطبعته في حـانـوت بـالقـرب من وستمنسر، **وأصـدر أول كتـاب مطبـوع بعنـوان «مقتطفات من أقوال الفلاسفة»**

تطور كبير :

تطورت الطباعة بشكل بطيء من الجمع اليـدوي لحروف وكلمات المادة المراد طبعهـا إلى الجمع الآلي، حتى كان القرن التاسع عشر الذي حدث فيه أكبر تطور للطباعة، حيث **أمكن إنتـاج آلات بسيطـة تجمع حـروف الطبـاعـة وتصفهـا في سطـور**، ثم اخترع **تـولبرت لانستـون Tolbert Lanston** الأمريكي عام ١٨٨٧م **آلة المونوتيب Monotype** التي **تصفّ الحروف آليّـا** ويعـاد سبكها ثـانيـة لتصف في عمل جـديد، وفي **القرن العشرين** تقـدمت الطباعـة بشكل مذهل منذ أن **فكّرت شركة جانيت Ganette** في إيجاد وسيلة تمكنها من إدارة أكثر من آلة جمع حروف طباعية في أماكن متعددة، **فكانت آلة الجمع البرقي أو الجمع من بعيد Teletype-setter** وتبلغ سرعـة هـذا النـوع من الجمع ثلاثة أضعاف سرعة آلة الجمع التي تحرك مفاتيحها يدويًا.

وتطـورت هـذه الصنـاعـة حتى وصلنا إلى مرحلة استخدام **الصحف أنظمة العرض الطرفية Video Display Terminal ثم استخدام تقنية التوضيب الكامل Full Pagination التي تمكّن الطـابع من إخـراج وطبـاعة صفحـة كـاملة من مجلـة أو صحيفـة باستخـدام لـوحة مفـاتيح وشاشة عرض**، والتحدي الكبير بين الشركـات العمـلاقـة الآن يتمثل في رغبـة الـوصـول إلى الاستخـدام الجماهيري للصحيفـة أو المجلـة المطبوعة في منزلك بمجرد لمس أزرار جهاز معين، ولا نزال ننتظر. .



قالب — قالب — نسخة — نسخة

هكذا كانت طريقة الكتابة عند الصينيين

قصة قصيرة

في حدود التعليمات

بقلم: د. مصطفى رجب

لم ألتق بـه منذ سبع سنـوات إلا اليـوم، بـالمصـادفـة لمحتـه مهـرولاً فناديته توقّف فتأكدت ـ برغم ما طرأ على ملامحه ـ أنه هو. ما إن صافحته حتى تـذكر اسمي بسرعـة، لم تتغيّر نبرة صوته تغيرًا ملحوظًا كهذا التغيُّر الذي ران على وجهه، هذان الخطان اللذان يحاصران أنفه، وهذه الخطوط الثـلاثـة المتوازيـة في جبهتـه، هـذه النظـارة التي ازدادت سمكًـا حتى جعلت رؤية عينيه متعسِّرة. . ملامح جديـدة. هل تغيَّر تفكيره كما تغيَّرت ملامحه؟

قبل أن يتـدفـق سيل الأسئلـة المتدافعة بداخلي عن أحواله، بادرني هـو بسؤالـه العتيق: **إيـه رأيك في الحياة؟**

لم أضحك للسؤال الذي اعتدته منـه أيـام كنـا بـالجامعـة، ولكني ضحكت مـن عـابـر سبيل مسرع اصطـدم بنـا فتلقفت أذنـاه سـؤال صديقي الذي يبدو غريبًا وسط هذا الزحام، ضحكت لأن عـابر السبيل نظـر إلى صديقي بـريبـة، ثم رمقني بمؤخرة عينيه وهو يتجاوزنا ليصطدم بعـابـر سبيل آخـر يسير في الاتجاه المغاير.

دلفنا إلى أقرب مقهى صادفنا:

ـ كيف حالك الآن وأين تعمل؟

يبـدو أن سـؤالي كـان جـافًـا وتقليديًا إذ تجاهله تمامًا.

ـ ألم يسبق لك ضم مدة خدمة؟

لم أفكّر لحظة واحـدة في سؤاله، بل استغـربـت مجرد صـدوره عنـه، عندما جلس بـدا لي كما لو كان أكبر سنًا بكثير منـه وهو واقف. . الترهل والتصـادم مع الـزمن واضحـان على وجهـه المتغضّن ثم مـا مناسبـة هـذا السؤال البارد؟ نحن لم نلتق منذ سبع سنوات. . الأشواق. . والـذكريات هي سيدة الموقف الآن وليس الحديث عن مدة الخدمة والوظائف!!

عيّنت في وظيفة بإحدى شركات الأمن الغـذائي لمدّة عـامين ثم بـدأ بصري في التضاؤل حتى لم أعـد قادرًا على قراءة الصحف. . . فصلوني من الشركـة فـانتسبت إلى «الأزهـر الشريف» وحصلت على شهـادة من معهد القراءات وعينت معلمًا بالأزهر بمـوجب قـرار إداري. . وتسلمت عملي.

ـ مَا هذا يا صـديقي ما أشـد ما تغيّرت، لا بـد أن الحيـاة قست عليك، كنت كلما التقينا أسألك عن آخر ما قرأت من الروايات التي كنت شغوفًا بها، عـن آخر آرائك في الحياة التي كانت تشغلك دائمًا، عن آخر ما كتبت.

ـ كتبت مذكرة باسم مدير شؤون العـاملين لأطلب ضم مـدّة الخدمـة السـابقة لـو حدث الضم سأستفيـد علاوتين دوريتين.

ـ هل تزوجت؟

ـ ليس معي تكاليف الزواج.

ـ ألم تدَّخر شيئًا؟

ـ إضـافة العـلاوتين إلى مـرتّبي سوف تجعله يقفز إلى خمسين جنيهًا، وبالتأكيـد سوف يساعـدني هذا على التفكير في شراء مجمـوعـة الأعمال الكاملة لنجيب محفوظ.

ـ ألا تفكر في الزواج.

ـ الحياة قاسية يا سيدي. . يقول الأطباء إنني سأصبح مكفوف البصر خـلال عشر سنـوات على الأكثـر. . فمن التي تـرضى بالـزواج من مشروع إنسان أعمى؟

منذ عـرفته ونحن نعلم عنـه أنه متشائم. . شكاك. يعتزل الناس. . يسيء الظن بالمجتمع كله، يتخيل أن جميع من حـولـه يـدبِّـرون لـه المؤامـرات. . خسـارة. . كـان يستوقفني في أشـد الشوارع ازدحـامًا ليسألني بهدوء أعصـاب، أحسـده عليه ـ بين لعنات المارة المسرعين ـ:

إيه رأيك في الحياة؟

ـ قال لي المختص إنـه لا يمكن ضم مـدة الخدمـة إلاَّ في حـدود التعليمات.

وما المشكلة في هذا؟

ـ المشكلة أن التعليمات لا حدود لها، الحدود في الخرائط فقط، خـذ مثـلاً التعليمـة (لابـد أنها مفـرد تعليمات) التي تقول. . «إن الموظف لكي يضم مدة خدمة سابقة عليه أن يحضر شهادة من المصلحة التي سبق له العمل بها».

ـ ولماذا لم تحضر الشهادة؟

ـ الشركـة التي كنت أعمل بها صفَّت أعمالها ورحلت وانتهت.

ـ ألم تقل لهم ذلك؟

ـ بلى. . ولكن المختص قال إنه ـ في حـدود التعليمات ـ يتعيَّن عليَّ أن أثبت لهم بشهادة أخرى أن الشركة تم تصفيتها.

ـ ومَن تصـدر هـذه الشهـادة الجديدة؟

ـ مـن هيئة القطاع العـام للسلع الغـذائية وهـذه الهيئـة ترفض تـوقيع الشهادة إلاَّ بعـد اعتمادها من الغـرفة التجارية، والغرفة التجارية تقول إن السلع الغذائيـة من اختصاص وزارة الصناعة.

ـ كفى. . كفى. .

ـ لا. . بـل ذهبـت إلـى وزارة الصنـاعـة فـوافقـوا على استخـراج الشهادة بشرط بسيط وهو أن أوافيهم برقم السجل التجاري للشركة.

ـ و أين يوجد هذا الرقم؟

ـ في هيئة القطـاع العـام للسلع الغذائية وهم يرفضون وفقًا للتعليمات أن يعطـوني إياه إلاَّ بعـد أن أثبت لهم أنني كنت أعمل بذات الشركة.

ـ وماذا تقرأ الآن؟

ـ قل لي يا صـديقي. . أين هي حدود التعليمات؟

ـ وماذا تقرأ الآن؟

ـ عدية

ـ نعم؟

ـ أريـد ضم مـدة الخدمـة. . لأستفيد علاوتين.

تركتـه بعد ساعة كـان عمري في خـلالها قـد ازداد حـوالى عشر سنوات. . أو هكذا خيِّل إليَّ. . حين وصلت إلى منزلي كـانت الكآبة بـادية على مظهري. . ما إن فتحت زوجتي الباب حتى سألتها بتلقائية شديدة: ما رأيك في الحياة؟

مدن أندلسية

أ

إشْبيليــة

تقع في الجنوب الغـربي من أسبانيا على ضفة نهر الـوادي الكبير، على بُعد ستين ميلاً من المحيط الأطلسي، وكانت عاصمة شبه جزيرة أيبيريا في العصر الـرومـاني، ولما استـولى القـوط على البلاد، هجـروهـا ونقلـوا العـاصمـة إلى طليطلة . .

فتحها موسى بن نصير عام ٩٤هـ (٧١٢م) وجعل منهـا ابنه عبد العزيز ابن مـوسى عاصمـة للأندلس وأطلـق عليها اسم «حمص» لأن جنـودًا جاءوا لنجدتها مـن حمص الشام، وبعـد مقتل عبـدالعزيـز بن مـوسى عـام ٩٧هـ نقل العرب العاصمة إلى قرطبة لكن إشبيلية احتفظت بمكانتها كعاصمة ثانية ومنافس لقرطبة في الاتساع والعمران والنشاط الثقافي . .

ازدهرت في عصر الخليفة الأموي عبد الرحمن الثاني الذي شيد بها المسجد الكبير، كما أقام بها دارًا للصنـاعة وجعل لها سورًا حصينًـا، وفي عصره استولى عليها القراصنة النـورمان عام ٢٣٠هـ لكن عبد الرحمن الثـاني استعادها منهم وأرغمهم على الفرار . .

في فترة دول الطـوائف أصبحت عـاصمـة مملكـة بني عبّـاد واشتبكت في معـارك طـاحنـة مع جيرانها فضعفت سياسيا لكنهـا ازدهـرت من النـاحيـة العمرانية حيث شيّد آل عبّاد فيها سلسلة القصور التي لاتزال آثارها باقية حتى الآن، وأصبحت على أيـامهم عـاصمـة العلـوم والفنـون والآداب، وحينما هددهـا ملك قشتـالة ألفونسـو السادس، استنجد ملكهـا المعتمد بـن عباد بـالمرابطين في المغرب فعبروا البحـر بجيش ضخم بقيـادة يوسف بن تـاشفين وهزموا ألفـونسو السادس في معركة الزلّاقـة الشهيرة في ١٢ رجب عام ٤٧٩هـ (٢٣ أكتوبر ١٠٨٦م) ثم آلت إشبيلية إلى المرابطين، وفي عام ٥٤١هـ دخلت تحت حكم الموحِّدين الـذين جعلوا منها عاصمـة للأندلس فازدهـرت على ما كانت عليه أيام بني عبّاد فزاد سكانها عن سكان قرطبة، وفي هذا العصر شيّد الموحدون مسجدها الكبير الذي لاتزال مئذنته مشهورة حتى الآن وهي المعروفة عالميا باسم «الخيرالدا» أو «الجيرالدا» لضخامتها وروعة معمارها .

من أشهر أعلامها أبو العربي الفقيه، وعمر بن الخطاب الإشبيلي قاضيها وفقيهها، والمحـدث وصاحب السير أبو بكـر بن خير، والشعراء ابن حمديس وابن هانئ وابن قزمان وابن عمار والمعتمد بن عباد والفيلسوف ابن رشد وإليها تنتسب أسرة ابن خلدون.

يسمونها بالأسبانية : سيفيليا ـ Seville.

أُوريولَــة

من المدن التي تقع شرق الأندلس وتكاد تلاصق مدينة (مرسية) حتى إن بساتينها متصلة ببساتين مرسية التي كانت عاصمة شرق الأندلس .

فتحها عبـدالعزيز بـن موسى عـام ٧١٤م وظلت مـدينة إسلاميـة حتى الثلث الأول من القرن الثالث عشر الميلادى حيث استولى عليها ملك أراجون جيمس الأول .

من أعلامها خلف بن سليمان بن خلف بن محمد فتحون الأُوريولي الفقيه الأديب الشاعر صـاحب كتاب «الشروط»، وابنه محمد بن خلـف الذي كان معنيًا بالحديث وله كتاب بعنوان «الاستلحاق» .

ب

بَطَلْيُـــــوس .

اختلف المؤرخـون حولها . . بعضهم قال إنها كـانت مدينـة صغيرة تحمل اسم (باداجـوس) فأطلق العرب عليها اسم «بطليـوس» وبعضهم قال إنها لم يكن لها وجود أصلاً ـ كمدينة ـ لكن العرب هم الذين بنـوها على أثر فتحهم لشبه الجزيرة الأيبيريّـة بعد أن كانت قريـة ضئيلة الشأن، ولم تكتسب أهميتها إلاّ في القرن الخامس الهجري في عصر دول الطـوائف حيث أصبحت عاصمة لمملكة بني الأفطس، وسـاعدها موقعهـا الاستراتيجي في السيطرة على الكثير من المدن الصغير والقُرى والحصون والقلاع والمزارع الشاسعة، وهي تقع على الضفّة اليُسرى من نهر وادي يـانة (الـذي يسميه الأسبـان الآن وادي آنة) على مبعدة سبعة كيلومترات من حدود البرتغال الحالية .

نمت بطليــوس بسرعــة فأصبحت واحــدة من المدن الستّ الكبرى في الأندلس ـ بجانب قُرطبـة وإشبيلية وسَرَقُسْطَـة وغرناطـة وبلنسية، وآلت إلى المرابطين بعد عبـورهم البحر وانتصـارهم على ألفونسـو السادس الـذي كان يأخـذ الجزية من حكـام الطوائف، ثم حكمهـا الموحّدون من بعـدهم، ولما ضعف أمر هؤلاء الأخيرين تعرضت للفتن والقلاقل فتولى أمرها عدد كبير من المغامـرين الذين لم يكن الواحد فيهـم ينظر إلى أبعد من أنفه، فهـاجمها ملك البرتغال ألفـونسو الأول هنـريكويـز عام ١١٦٨م وضمهـا إلى مملكته، لكن فرديناند ملك ليون الأسباني طرده وضمها إلى مملكته، وكان الموحدون وقتذاك في آخر صحواتهم، فحشدوا حشودهم واستعادوها، لكنها سقطت السقوط النهائي عام ١٢٣٠م .

في العصور الحديثة مرّت بطليوس بآلام كثيرة حيث تبادلتها أيدي البرتغاليين والأسبان والفرنسيين والإنجليز وحين دخلها هؤلاء الأخيرون ـ وكان قائدهم دوق ولنجتون الذي انتصر على نابليون في معركة ووترلو ـ أقام في بطليوس مذبحة خلت على أثرها المدينة من سكانها وأصابها التدمير ولذا فهي الآن لا تكاد تُذكر.

من أشهر أعلامها محمد بن عبد الله بن السيد البطليوسي النحوي الفيلسوف، وأبو محمد عبد الله بن أحمد صاحب كتابي «الاقتضاب في شرح أدب الكتاب»، «الإنصاف في التنبيه على الأسباب التي أوجبت الاختلاف» كذلك له كتاب «شرح موطأ مالك» ـ وإبراهيم بن محمد البطليوسي الأديب اللغوي.

بلنسيـة

تُعَدُّ الآن ثالث مدينة أسبانية من حيث عدد السكان والنشاط الثقافي والاقتصادي؛ ويسمونها: فالنسيا Valencia ، وتقع في شرق جنوب شبه الجزيرة على مبعدة أربعة كيلو مترات من البحر الأبيض، وتتوسط أحد السهول الخضراء الذي يمتد على ساحل البحر ويرويه نهر توريا المعروف باسم الوادي الأبيض.

فتحها طارق بن زياد عام ٧١٤م،

وفي العصر الأموي توافدت عليها القبائل العربية فكانت من أكثر بقاع الأندلس تعريبًا ونشاطًا واستقرارًا، فكان يُضرب المثل بخصوبة سهلها ووفرة خيراته من فواكه وحبوب وزهور، وإلى العرب يرجع الفضل ـ كما يقول أحد المؤرخين الأوربيين ـ في ازدهار هذا السهل، فإنهم شقّوا على جانبي النهر إحدى وثلاثين ترعة وأجروا المياه إلى واديه بغاية السهولة، وكانوا يسمّون هذه الترع بالسَّواقي ـ جمع ساقية ـ ولا يزالون يسمونها بهذا الاسم حتى الآن (acequia) وقال أحد المؤرخين الأوروبيين المنصفين: «ومن عجب أنه في مدى القرون السبعة التي انقضت منذ خروج بلنسية من يد المسلمين، لم يُضف الأسبان إلى هذا النظام الهندسي شيئًا، فإنه الآن على وضعه الذي تركه عليه العرب».

في العصر العربي الإسلامي أصبحت عاصمة شرق الأندلس وواحدة من أكبر ست مدن في شبه الجزيرة، لكن محنتها بدأت حين تمزّقت البلاد إلى دويلات في عصر الطوائف، وأصبحت عاصمة لدويلة مستقلّة، وما لبثت أن خضعت لدويلة عربية أخرى هي دولة آل ذي النون الذين كانوا يتخذون من طليطلة عاصمة لدويلتهم، لكن ألفونسو السادس احتل طليطلة فأصبحت بلنسية هي العاصمة لآل ذي النون، وفجأة انقض عليها مغامر أسباني معروف في الروايات العربية باسم «السيِّد» واستولى عليها وظلت في أسره سبعة عشر عامًا حتى جاء المرابطون من المغرب فاستعادوها، وتوالى عليها الحُكّام المغامرون بعد اضمحلال المرابطين والموحّدين من بعدهم، وظلت على هذه الحال من عدم الاستقرار، رغم اتساع عمرانها، لمدة مائة وأربعين سنة إلى أن تعرّضت لحملة صليبية كبرى بقيادة ملك أراجون جيمس الأول، وبمساعدة من دول أوربا وأساطيل المدن الإيطالية، وبعث حاكمها يستنجد بأمراء الحفصيين في تونس، وكانوا أقوى دول المغرب وقتذاك، وكان رئيس الوفد الذي طلب النجدة هو الشاعر المؤرخ ابن الأبار الذي ألقى أمام الأمير الحفصي قصيدة حفظها لنا الأدب العرب لصدقها وحرارتها ومستواها الفني الرفيع وكان مطلعها:

أدرك بخيلك خيلِ الله أنـــــدلسـا

إنّ الطـــريق إلى منجـــاتها دُرســـا.

واستجاب الحفصيون لكن أسطولهم لم يستطع أن يفعل شيئا أمام الحصار المحكم الذي فرضته الأساطيل الأوربية، وظلت بلنسية تقاوم ثمانية عشر شهرًا حتى نفد الطعام وأكل الناس ورق الشجر فاستسلمت في ٢٨ سبتمبر ١٢٣٨م، ورثاها الشعراء في كل العالم العربي ـ بالذات المغرب ـ كما لم يرثوا مدينة أخرى باستثناء طليطلة.

من أشهر أعلامها الشاعر المؤرخ ابن الأبار، والمؤرخ محمد بن خلف المعروف بابن العلقمي.

بَنْبَـلُـونَـة

عاصمة لمقاطعة تحمل اسمها نفسه وتقع في الشمال الشرقي من شبه الجزيرة بالقرب من جبال البرانس التي تفصل أسبانيا عن فرنسا، وهي على نهر أراج (أراغة) أحد فروع نهر (أبره) وعلى مسافة يسيرة من ميناء سان سبستيان.

فتحها العرب عام ١٢٠هـ (٧٣٨م) في خلافة هشام بن عبد الملك وحكمها المسلمون اثنتي عشرة سنة ثم سقطت في قبضة أمراء مملكة نافار الأسبانية بمساعدة الإمبراطور الفرنسي الشهير «شارلمان»، لكن العرب لم ينقطعوا عن محاولة استردادها، فأعاد فتحها محمد بن عبد الرحمن في عهد أبيه عبد الرحمن الأوسط عام ٢٢٩هـ بعد معركة ضارية سقط فيها جارسيا الأول حاكم نافار، لكن النافاريين احتلوها مرة أخرى فقام محمد بن عبد الرحمن بغزوها بنفسه بعد توليه الخلافة عام ٢٤٧هـ، لكنه لم ينجح في استردادها فغزاها عام ٢٥١هـ، كذلك غزاها ابنه المنذر بن محمد عام ٢٦١هـ، لكن الذي أعاد فتحها هو محمد الناصر عام ٣٠٨هـ بعد أن هزم قوات النافار والبشكنس، وظلت مدينة إسلامية إلى أن ضاعت في عصر الطوائف ويسمونها الآن «بامْبَلُونا».

ج

الجزيرة الخضراء

هي الآن ميناء أسبانية ماتزال تحتفظ باسمها العربي، تقع على خليج جبل طارق وتقابل ميناء «جبل طارق» على الضفة الأخرى من الخليج ـ الذي يدخل في الشاطئ الأسباني كاللسان ـ وتَتْبَع ولاية قادش..

اشتهرت في تاريخ فتح العرب للأندلس بأنها أول مدينة يفتحها «طريف ابن مالك» عام ٩١هـ (٧١٠م) بعد عبوره البحر من ميناء سبتة إلى الأندلس إبّان حملته الاستكشافية، وفي العام التالي دخلها طارق بن زياد وفتح الإقليم كله وكان يحكمه «تيودمير القوطي» عامل «رودريك» ـ الذي يسميه المؤرخون العرب «لزريق»، ومنها سار طارق إلى وادي شريش حيث جرت المعركة الفاصلة بين المسلمين والقوط، وفي رمضان ٩٣هـ (٧١٢م) نزل موسى بن نصير الجزيرة الخضراء بجيشه وزحف منها نحو إشبيلية.

ترِدّد اسم الجزيرة الخضراء في كتب التاريخ في جميع الفترات التي احتاجت فيهـا الأندلس إلى نجـدات من المغرب حيث كـانت المعبر للجيوش المرابطيـة والموحّـدية ودولـة بني مـرين وغيرهم، وظلّت في يـد العرب المسلمين لسبعـة قرون.

تُعرف الآن باسمها العربيّ نفسه: الجزيرة Algeciras.

د

دانيـــــة

حاليا قصبة الناحية الشمالية الشرقية من كورة «القنت» بأسبانيا.

تقع على الطرف الجنوبي الشرقي من خليج فالنسيا (بلنسية العربية).

في بداية الفتح العربي الإسلامي كـانت مدينة صغيرة تتبع طُلَيْطِلَة، لكن شأنها ارتفع بعد تمزّق الأنـدلس حيث حكمها أبو الجيش مجاهد ــ أحد موالي عبـد الرحمن بن المنصـور بن أبي عامـر ـ وأسّس فيهـا دويلة صغيرة تُعـرف في التاريخ العربي الإسلامي باسم «دولة دانيـة» ظلت لثلث قرن تقريبا ثم جرى عليها ما جرى على غيرها حيث تـداولتها أيدي المرابطين والموحدين، ثم آلت إلى حكم المغامـرين ممّن كانوا يخالفـون حُكّام الممالك الأسبانية ضـد إخوانهم العرب المسلمين، فسقطت قبيل سقوط غرناطة بقرن ونصف القرن تقريبا.

من أشهر علمائها الحافظ بن عمرو بن سعيد الداني.

ر

رُنْدَةْ

من حصـون الأنـدلس الجنـوبية، تقع في شمال الجزيـرة الخضراء مـا بين مدينتيْ مالقة و إشبيلية وعلى بُعد ٤٣ ميلاً من الأولى، وتُطلّ على نهر وادي آره (أو وادي اللبن كما أسماه العرب) ويمـر بها اليوم الخط الحديـدي الذي ينتهي جنوبًا إلى الجزيرة الخضراء بالقرب من جبل طارق.

حينما دبّت الفوضى في الأندلس استقلّت رُنْدَة تحت حكم بني نور، ولكن لخطـورة موقعهـا الاستراتيجي طمع فيها حكـام إشبيليـة فدعـوا حاكمهـا إلى زيارتهم ولما جاء غدروا به واستولوا عليها.

كادت تسقط رُنْـدَة تحت حكم القشتاليين لـولا أن أنقذهـا المرابطون، في القـرن الخامس الهجري ثم آلت إلى الموحّـدين، ولما قامت دولـة بني الأحمر في جنوب الأندلس أصبحت من أهم حصونهم الاستراتيجية حيث تقع على رأس حائط صخري يهوي إلى عُمق ٥٣٠ قـدمًا ـ وتعبرُ هذا الـوادي السحيق حاليًا ثلاث قناطر يرجع تاريخ الأولى إلى العصر الروماني، والثانية إلى العصر العربي الإسـلامي والثالثـة بناهـا الأسبان في منتصف القـرن الثامن عشر الميـلادي ـ وظلت رُنْدة تـابعة لمملكـة غرنـاطة التي انقسم أهلهـا إلى فرق وأخـذوا يقاتل بعضهم بعضًا، سقطت تحت قبضة القشتاليين عام ٨٩٠هـ (١٤٨٥م) قُبيل سقوط غرناطة ذاتها بسبع سنوات.

مـاتـزال آثار العمارة العربية الإسـلامية تُشاهَد في الحي العـربي القديم من المدينة، أشهـرها المسجد الجامع الذي يتميّـز ببابه البـديع الصُنع، ومنذ فترة وجيزة اكتشفوا قاعة مطمورة جدرانها كلّها من المرمر حُفرت عليها سورة الفتح من أولها إلى آخرها.

وما تزال رُنْدَة تحتفظ باسمها القديم وينطقونها Ronda، ومايزال نهر وادي اللبن بنفس اسمه ويلفظونه: Guadalevin.

من أعـلامهـا عيسى بن سليمان بـن عبـد الله الـرُّنـدي صـاحب كتـاب «الصحـابة» والشـاعر أبـو البقاء صـالح بن شريف الرُّنـدي صاحب أشهـر قصيدة متفجّعة في رثاء الأندلس ومطلعها:

لكـل شيءٍ إذا مـــــا تـمَّ نقصــــانُ
فـــلا يُغَـــر بطيـب العيش إنســـانُ.

س

سَرَقُسْطَة.

تُعد الآن المدينة الأسبانية الخامسـة من حيث عدد السكان وهي عاصمة المقاطعـة التي تحمل الاسم نفسـه، على جانبي نهر أبـرو على ارتفاع ١٨٤ مترًا عن سطح البحر وتبعدُ عن مدريد مئة وسبعين ميلاً إلى شمالها الشرقي. .

فتحها المسلمون عام ٩٤هـ (٧١٢م) على يد موسى بن نصير بعد وصوله إلى طليطلة وعـرفت عند العرب والمسلمين بـاسم الثغر الأعلى بسبب مـوقعها الاستراتيجي، كما عرفت باسم المدينة البيضاء لبياض أسوارها.

في العصر العـربي الإسـلامي كـانت واحـدة من المدن الستّ الكبرى في الأندلس، وبسبب موقعها الدقيق حيث تجاور ثـلاث ممالك أسبانية ـ كانت محلّ عناية الخُلفاء الأمويين، وذات مرة طمع فيها الإمبراطور الفرنسي شارلمان فزحف عليها بجيش لجب وباغتها، لكنها قاومته بشراسة لم يتوقّعها ولما سمع بأن عبد الرحمن الـداخل ـ صقر قريش ـ وصل بكتائبـه لمنازلته، انسحب وفي حلقه غصّة.

في أيام عبد الرحمن النـاصر ـ أقوى حكام الأندلس ـ كـانت هي القاعدة التي يقود منهـا جيوشه لتأديب الممالك الأسبـانية والفرنجية التي كـانت ـ قبل تولّيـه الخلافة ــ تشن الغارات على القُـرى التابعـة لِسَرَقُسْطَةْ فتنهـب الأموال وتأسر الـزارعين في حقـولهم، وانتهى الأمـر في أيامـه بإخضـاع هـذه الممالك المعتديـة جميعها وإرغامهـا على دفع الجزية، بل إن هـذه الممالك لم تكن تولي عليها ملكًا إلاّ بعد استئذانه فإن لم يوافق عليه رشّحت غيره.

في عصر الفُرقة استقلّت سَرَقُسْطَة تحت قيادة «ابن هود» الذي يعتبره أكثر المؤرخين أحد المسؤولين عن نكبة الأندلس، فبدلاً من أن يحافظ على حدوده، حـالف الممالك القشتاليـة والأرجونيـة ضـد إخوانـه من حكام الطـوائف فعمَّ الخراب سَرَقُسْطَة والبلاد التابعة لها.

ما تزال تحمل اسمها القديم: Saragosoa،

من أشهر أعـلامها أبو الطـاهر إسماعيل بن خلف بن عمـران الأنصاري السَّرَقُسطي صاحب كتاب «العنوان في القراءات».

سَلَمَنْقَة

مدينة قديمة عرفها العرب باسم (سَلَمَنْقَة) و(سلمنكة) و (طلمنكة) تقع على الضفة الشرقيـة لنهر طـورمس أحد روافـد نهر دويرو، وتـربطها بـالضفّة الغربية قنطرة حجرية ترجع إلى العصر الروماني.

فتحها العرب بعد دخولهم الأندلس، ولكن لم يلبثوا أن تخلّوا عنها في جُملة ما تخلوا عنه من مواقع في أقصى الشمال من شبه الجزيرة، ولهذا فإن الأثر العربي في هذه المدينة يعتبر ضئيلاً.

من القلائل الذين يُنسبون إليها: أبو عمر الطلمنكي وكان من مشاهير علماء القراءات في الأندلس.

تشتهر الآن بجامعتها التي أنشأها ألفونسو التاسع.

ش

شاطبــة

تقع في شرق الأندلس بمقاطعة بلنسية واشتهرت بصُنع الورق.

كانت بحكم موقعها الحربي حصنًا من أهم الحصون الأندلسية، ولذلك فإنها ألّفت مع بلنسية ـ في عصر الفتنة ودول الطوائف ـ جزءًا من إمارة مستقلّة بدأت على يد عبد العزيز حفيد المنصور بن أبي عامر، ثم تعرضت لهجمات مكثّفة من جيمس الأول ملك أراجون منذ عام ١٢٣٩م وظلت تقاوم حتى أواخر عام ١٢٤٧م.

ما تزال آثار حصنها وسورها باقية إلى اليوم، ويسمونها الآن «جاتيفا».

من أعلامها المحدث الفقيه أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي صاحب كتاب «الموافقات في أصول الأحكام».

شذونـة

تقع في الجنوب الشرقي لميناء قادش على بُعد ١٩ ميلاً منها وقريبة من جبل طارق، وعلى تل يُشرف على وادي نهر ياش.

اشتهرت في التاريخ العربي بأنها من البلاد التي تتبع مملكة غرناطة، لكنها استمدت شهرتها في التاريخ الأسباني بأن عندها جرت المعركة الأولى والحاسمة بين العرب والقوط والتي يسمّيها المؤرخون العرب **«معركة سهل شريش» أو «معركة البرباط»** ويسميها الأسبان **«معركة شذونة»**.

بدأت هذه المعركة في ٢٨ رمضان سنة ٩٢هـ (٧ يوليو ٧١١م) ودامت سبعة أيام. وكان الجيش المسلم قد عبر في ٥ رجب (٢٧ أبريل) بقيادة طارق بن زياد واخترق ولاية الجزيرة الخضراء وهزم حاكمها تيودمير القوطي، كما هزم الجيش الذي أرسله الملك ردريك (لذريق) بقيادة قائده أديجو، وتابع طارق سيره شمالا بغرب، وهناك، على السهل الواقع شمال شذونة التقى طارق بالجيش القوطي الكبير الذي قدّره المؤرخ الإنجليزي «جيبُّون» بتسعين ألفًا بينما كان الجيش العربي يتألّف من ١٢ ألفًا منهم خمسة آلاف أمدّ طارقًا بها والي أفريقيا موسى بن نصير، وتذكر رواية عربية متأخرة أن طارقا قبل أن تنشب المعركة خطب رجاله مُستحثًا عزائمهم بقوله: أيها الناس أين المفر؟ البحر من ورائكم والعدو أمامكم» كما تذكر الرواية أن طارقًا أحرق السفن التي عبر عليها بجيشه، بيد أن الروايتين موضع شك بين المؤرخين.

وتذكر الرواية العربية ـ وتؤيدها الرواية الأسبانية ـ أن لذريق خاض المعركة فوق عربة ملوكية فاخرة لابسًا تاجه متشحًا بالحرير متحليًا بالذهب واللؤلؤ متكئًا على كرسي من العاج، وبعد مناوشات دامت ثلاثة أيام، بدأت المعركة العامة في اليوم الرابع، ولم يلبث أن دبّ الاختلال في صفوف القوط وانتهت المعركة في اليوم السابع بهروب الملك لذريق الذي لم يعرف أحد مصيره، وإن مالت أكثر الروايات إلى أنه غرق في أحد الأنهار، بعد أن تشتّتت قواته، وبمعركة «شذونة» هذه سقطت دولة القوط التي استعمرت أسبانيا لثلاثة قرون، وانفتح الطريق أمام طارق صوب طليطلة عاصمة الدولة القوطية.

ظلت شذونة ـ التابعة لمملكة غرناطة ـ عربية إسلامية إلى ما قبيل سقوط غرناطة بشهور قليلة، وينطقونها الآن: مدينا سيدونيا.

ط

طَرْطُوشَة

تقع فيما بين بلنسية وسَرَقُسْطَة في شرق الأندلس وكانت محل نزاع بين دول الطوائف الثلاث: بلنسية وسرقسطة وقُرطبة فلم تفُز بها واحدة منها، لكنها سقطت في يد ملك أراجون عام ٥٤٣هـ هي وسائر الحصون والقرى التي تتبعها.

بعض الروايات التاريخية تقول إنّ مملكة أراجون لم تُصبح ذات شأن إلاّ بعد استيلائها على طرطوشة الغنية بمزارعها وحركتها التجارية الواسعة حيث يفد إليها التجار ويسافرون منها إلى جميع الأمصار، سيما وأنها تقع على نهر أبرُه وقريبة من البحر الأبيض وتتبعها عشرات القرى ذات المساحات الزراعية الواسعة.

من أعلامها أحمد بن سعيد بن ميسرة الغفاري الأندلسي الطرطوشي، وأبو بكر بن محمد بن الوليد بن خلف الفهري الطرطوشي الفقيه المالكي المعروف بابن أبي رَنْدَقَة الذي هاجر إلى الاسكندرية وعليه تفقّه الكثير من أهلها.

طَرْيَانَة

حاضرة أندلسية من حواضر إشبيلية ـ أي المدن الصغيرة التي تتبعها ـ فتحها موسى بن نصير في العام الذي فتح فيه إشبيلية (٩٤ هـ) وفي منتصف القرن السابع الهجري استولى عليها الملك القشتالي فرناندو الثاني عند استيلائه على إشبيلية.

يُنسب إليها الفقيه عبد العزيز الطرياني.. كان نحويًا بارعًا قرأ على أبي ذر مصعب بن محمد بن مسعود، قرأ عليه الفتح بن عيسى القصري.

طريف

تقع في مقاطعة قادش وهي ميناء بحري محصّن على مضيق جبل طارق، وتُعدُّ أقصى مدن القارة الأوروبية في الاتجاه الجنوبي.

أخذت **طريف** اسمها من القائد العربي **(طريف بن مالك)** الذي قاد فرقة استكشافية قبل عبور طارق بن زياد بجيشه بشهور قليلة.

كانت **طريف** أحد المعابر الرئيسية بين الشاطئ المغربي والشاطئ الأندلسي طوال الحكم العربي الإسلامي في شبه جزيرة أيبيريا.

سقطت قُبيل سقوط غرناطة ـ آخر المعاقل العربية في الأندلس ـ بفترة وجيزة.

طَلَبِيرة

من أعمال طُلَيْطلة، مدينة كبيرة قديمة البناء تقع على نهر تاجُه، كانت

حاجزًا بين المسلمين والإفرنج إلى أن استولى عليها الإفرنج، وكان قد جرى عليها الخراب فاستعادها عبد الرحمن الناصر الأموي وجدد أسوارها، ولطلَبيرة حصون ونواحٍ عدّة تتبعها، سقطت قُبيل سقوط طليطلة بقليل في أواخر القرن الخامس الهجري.

طُلَيْطِلَة

كانت عاصمة القوط قبل الفتح الإسلامي، تقع وسط أسبانيا ومن أهمّ مدنها من الناحيتين: التاريخية والثقافية، وهي مركز الأُسْقُفِيَّة حيث إن أساقفتها يعتبرون رؤساء لأساقفة أسبانيا كلها، احتلها الرومان عام ١٩٣ قبل الميلاد، ولما غزا القوط شبه الجزيرة الأيبيرية اتخذوا منها عاصمة لموقعها على نهر التاجُهْ (تبعُد عن مدريد بنحو ٦٠ كيلو مترا من الجنوب الغربي) وبعد ثلاثة قرون من مجيء القوط عبر طارق بن زياد بجيشه إلى الشاطئ الأندلسي، وكان المفروض، بعد انتصاره على ردريك (لـزريق) أن يفتح البلاد التي تقع في الجنوب الأندلسي ولا يصل إلى طُلَيْطِلَة قبل سنة أو سنتين، لكنه سمع بأن زعماء القوط يعدّون العدّة لحشد الجيوش في العاصمة وأن زعماءهم يتوافدون على المدينة من شتّى أنحاء أسبانيا للتشاور ووضع خطّة الحرب، فانطلق طارق بجيشه مُخترقًا المدن والقرى والحصون والمزارع وانقض على طُلَيْطِلَة فجأة فكانت ضربة مذهلة استسلمت بعدها المدن الأندلسية بسهولة، ووصف أحد المؤرخين الأسبان فتح طارق لطليطلة بقوله: هي خطّة لا ينفّذها إلاّ عبقري».

كان العرب والمسلمون يسمّونها بالثغر الأوسط لوقوعها بجوار الممالك الأسبانية، وقد ازدهرت في هذا العصر وأصبحت واحدة من المدن الستّ الكبرى وتميّزت بحركتها الثقافية النشطة، وفي عصر الطوائف تحوّلت إلى دولة مستقلة يحكمها ابن ذي النون، فكان همّه أن يتوسّع على حساب جيرانه العرب والمسلمين، فحالف ملك قشتالة ألفونسو السادس ضد جيرانه (دولة إشبيلية، ودولة سَرَقُسْطَة، ودولة بَطَلْيُوس) وكلهم عرب مسلمون، فكان حُكّام هذه الدول يدفعون أموالاً طائلة لألفونسو السادس ليرضى بمحالفتهم، وذات يوم أفاق الأندلسيون على ألفونسو السادس يحتل طُلَيْطِلَة!

ثمة إجماع بين المؤرخين بأن يوم سقوط طليطلة يُعَدُّ حدًا فاصلاً في تاريخ الأندلس. . قبل سقوطها كان التفوّق للعرب المسلمين، وبعد سقوطها مال الميزان لصالح القشتاليين وبقية الممالك النصرانية.

فرغم انتصار المرابطين في معركة الزلاّقة على ألفونسو السادس إلاّ أنهم لم يفكروا في استعادة طليطلة التي جعل منها ألفونسو السادس عاصمة لبلاده وظل يتوسّع هو وخلفاؤه شيئًا فشيئًا حتى أصبحت طُلَيْطِلَة تتوسط مملكته.

من أهم معالمها العربية الآن بقايا المسجد القديم. وقنطرة نهر التاجُه التي ما يزال المعماريون يشيدون بروعتها.

الأسبان يسمون طُلَيْطِلَة الآن توليدو.

غ

غرناطة

لم تكن ذات شأن حينما فتح العرب البلاد، مجرد قرية كبيرة تابعة لمدينة كبيرة اسمها ألبيرة، لكنها سرعان ما تضخّمت وأصبحت واحدة من المدن الست الكبرى في الأندلس، وتميّزت بأنها من أجمل المدن العربية ومعنى اسمها «رُمَّانة» بلسان اللهجة الأندلسية الدارجة ـ سُمِّيت لحُسنها وروعة المناظر المحيطة بها.

تقع في الجنوب الأندلسي على مرأى من جبال **سييرا نيفادا** التي كان العرب يسمونها «**جبال البشرات**»، ويشقّها النهر الذي كان يُعرف قديمًا باسم **قلزم** ويُعرف الآن **بنهر حُدَّارة**، منه فرع يُسمَّى **سَنْجَل** ارتبط بتاريخها وكانت على نهرها أرحاء كثيرة تنقل الماء ـ في نظام هندسي دقيق ـ إلى حماماتها وسقاياتها وكثير من دور الكبراء، وعلى الفرع المسمَّى **سَنْجَل** أُقيمت سواقٍ تنقل الماء إلى أحيائها الشعبية.

حينما دخل **المرابطون** البلاد جعلوا منها عاصمة للأندلس كله، لكن **الموحّدين** نقلوا العاصمة إلى **إشبيلية**، وحينما سقطت المدن الأندلسية الكبرى في أيدي الممالك النصرانية هاجر سكانها العرب والمسلمين إلى **غرناطة** فساعدوها على الصمود حيث أصبحت تجمع كل العرب والمسلمين الأندلسيين وقامت فيها مملكة **بني الأحمر أو بني نصر** التي صمدت وحدها لأكثر من قرنين ونصف القرن، وكان يمكن أن تصمد إلى ما لا نهاية لولا أن **بني الأحمر** أنفسهم انقسموا إلى شيع وأحزاب يكيد بعضهم لبعض، فسقطت بسهولة شديدة في الثاني من يناير عام ١٤٩٢م.

من أبرز معالمها سلسلة قصور الحمراء ذات الشهرة العالمية التي كانت قلعة وسكنًا للملوك بني الأحمر على شكل مدينة داخل المدينة. . ورغم أن بعض أبنيتها قد تعرضت للهدم وتعرض البعض الآخر للتغيير، إلاَّ أنها ما زالت شاهدًا على ما بلغته الحضارة العربية الإسلامية من سموّ. . فما تزال حتى الآن تقوم قاعة البركة (أو قاعة الريحان) وبُرج قمارش والمسجد الأصغر والحمامات وساحة السباع بنافورتها البديعة فضلاً عن ساحة بني سراج وساحة الأختين وساحة القضاء التي زُيِّنت أسقُفها الثلاثة بنقوش دقيقة اتخذت مادتها من قصص الفروسية ونُفِّذت على الرخام والمرمر.

الأسبان يسمونها الآن: جرينادا.

ق

قـــادش

تقع في جنوب غرب الأندلس، وهي ميناء على المحيط الأطلسي وكانت قاعدة بحرية للأساطيل العربية.

دخلها الإسلام مع فتح طارق بن زياد للأندلس وتعرّبت منذ عام ٧١٣م وسقطت في فترة تمزق الأندلس عام ١٢٦٢م، ولا تزال بها آثار عربية إسلامية، ومن أعلامها الكامل بن أحمد بن يوسف الغفاري القادشي.

قُرْطُبَة

كانت المدينة الثالثة من حيث الأهمية قبل الفتح الإسلامي، فأصبحت الأولى بعد أن جعل منها الأمويون عاصمة لهم.

تقع على نهر الوادي الكبير، في وسط جنوب شبه الجزيرة، فتحها قائد صغير من قادة طارق بن زياد هو مغيث الرومي بسبعمائة فارس فقط حيث ساعده السكان الأسبان الذي كانوا يحقدون على مستعمريهم القوط.

حين بلغت قمة عمرانها كعاصمة كان بها أكثر من مائتي ألف بيت، وستمائة مسجد (ما بين كبير وصغير)، وخمسون مستشفى للمرضى وثمانون مدرسة عامة وتسعمائة حمام سوقي ووصل عدد ساكنيها إلى المليون، ويُعدّ مسجدها الكبير ـ الذي مايزال باقيا ـ من أكبر المساجد في العالم الإسلامي حيث استغرق بناؤه ما يزيد على قرنين، بدأه عبد الرحمن الداخل (صقر قريش) وظل خلفاؤه يزيدون عليه وبالطراز نفسه، وقد ضم المسجد ٣٨ صحنًا في جانبه الأيمن، و٢٩ صحنًا في جانبه الأيسر، والأعمدة التي ما تزال باقية حتى اليوم هي ألف ومائتا عمود من الرخام وله من الجهة الجنوبية ١٩ بابًا مبطّنة بصفائح من نحاس التوج (النحاس الذي تُصنع منه المدافع) وتتدلّى من سقوفه أربعة آلاف وسبعمائة قنديل كان يُصرف لها أربعة وعشرون ألف رطل من الزيت سنويا ومائة وعشرون رطلاً من العنبر والعود، ومساحة المسجد الكلية ١٢١٨٩ مترا مربعًا.

كانت شوارع وحارات قُرطبة جميعها مضاءة ليلاً ومطيّبة بما يُلقى فيها من الزهور، واشتهرت مدارسها الجامعة شهرة طبقت الآفاق حيث تخرج فيها عدد لا يحصى من فحول العلماء في كل علم وكان بها دار للكتب تحتوي على ستمائة ألف مجلّد.

من أعلامها عدد لا يحصى من الرجال الأفذاذ يأتي في مقدمتهم أبو بكر ابن سعدون بن تمام الأزدي القرطبي أحد الأئمة المتأخرين في علوم القرآن والحديث والنحو واللغة وغيرها.

سقطت قرطبة عندما تمزّقت الأندلس إلى دويلات عام ١٢٣٦م.

قلعة أيوب.

مدينة جليلة القدر بالنسبة للمدن الأندلسية، حيث كانت تقع فيما يُسمَّى بالثَّغر الأعلى (وكان كل من يُنسب إليها يُسمَّى بالثَّغْريّ) وهي من أعمال سَرَقُسْطَة (عاصمة شمال شرق الأندلس) كثيرة الأشجار والأنهار والمزارع ولها عدّة حصون وبالقرب منها مدينة لَبْلَة.

من أعلامها محمد بن قاسم بن خُرَّم، ومحمد بن نصر الثَّغري وكلاهما من أهل اللغة والأخبار. والمدنية تُنسب إلى أيوب بن حبيب اللخمي.

ل

لشبونة.

هي الآن عاصمة البرتغال وكان العرب يطلقون عليها اسم «الأشبونة»، قريبة من المحيط الأطلسي وتقع على نهر التاجُه (يسمونه الآن تاجو) فتحها العرب عام ٩٣هـ (٧١١م) وظلت تحت الحكم الإسلامي إلى أن استولى عليها ألفونسو الأول عام ٥٤٢هـ (١١٤٧م) وحاول سلطان الموحّدين أبو يعقوب يوسف استردادها عام ٥٨٠هـ (١١٨٤م) لكنه لم يتمكن.

لا تزال لشبونة (أو الأشبونة) تحتفظ بالكثير من أسمائها العربية محرّفة (القنطرة مثلا ينطقونها: الشانترا).

من آثارها الإسلامية الباقية القلعة العربية وبقايا مسجدها الجامع.

من أعلامها أبو إسحاق إبراهيم بن هارون المصمودي ويعرف بالزاهد الأشبوني توفي ٣٦٠هـ.

م

مجريط

تعرف الآن بـ «مدريد» عاصمة أسبانيا، لم يرد لها ذكر كثير في العصر العربي الإسلامي إلاّ على أنها حصن عربي صغير أقامه العرب على أحد روافد نهر التاجُه وسقط في قبضة القشتاليين عام ١٠٨٣م، وظلّت مجرد حصن صغير حتى أواخر القرن السادس عشر الميلادي حين نمت بسرعة وتطورت لتصبح عاصمة أسبانيا.

من أعلامها الرياضي والفلكي أبو القاسم مسلمة المجريطي الذي ولد عام ٩٥٠م وتُرجمت بعض مؤلفاته في الحساب والهندسة إلى اللاتينية.

مدينة سالم

تقع في الشمال الشرقي لأسبانيا ما بين مدريد في الغرب وسرقُسْطة في الشرق، أقيمت على هضبة يبلغ ارتفاعها نحو ألف متر ولهذا كانت أهميتها الاستراتيجية.

ترجع آثارها إلى العصر الروماني وقد أطلق عليها العرب «الثغر الأوسط» لقيامها بحماية المدن الإسلامية المجاورة لها من الغزو القشتالي في الشمال، جدّد أسوارها وقلعتها غالب بن عبد الرحمن قائد الخليفة عبد الرحمن الناصر عام ٣٣٥هـ، وتداولتها أيدي المسلمين والنصارى عدة مرات في فترة التمزّق، وكان قد توفّي بها المنصور بن أبي عامر عام ٣٩٢هـ وفي رواية عربية أن ألفونسو السادس بعد أن استولى على طليطلة عام ٤٧٨هـ ثم على مدينة سالم بعدها، نصب سريره على قبر المنصور بن أبي عامر تفاخرًا منه بانتصاراته على العرب!

من أعلامها أبو الحسن علي بن خلف السالمي مؤلف «شذور الذهب في الكيميا»، وأبو عامر محمد بن أحمد البلوي السالمي مؤلّف «درر القلائد وغرر الفوائد» في اللغة.

يسمونها الآن بالأسبانية Medinaceli.

منورقة

واحدة من الجزر التي يطلقون عليها الآن جزر البليار، وكان العرب يسمونها ـ هي وثلاث جزر أخرى ـ الجزائر الشرقية.

تقع شرق الأندلس في البحر الأبيض المتوسط ومساحتها سبعمائة كيلو متر مربّع، فتحها العرب في الفترة التي فتحوا فيها شرق الأندلس (القرن الأول الهجري) وهي ثاني جزر البليار ـ بعد «ميورقة» ـ وكانت مقر الأسطول العربي الأندلسي، وتنازع الجزيرة أكثر من حاكم في الفترة التي أعقبت وفاة المنصور ابن أبي عامر وعُرفت بفترة حُكّام الطوائف، لكنها اشتهرت في عصر حاكمها «مجاهد العامري» الذي كان يملك أسطولاً كبيرا غزا به جزيرة سردينية الفرنسية وضمّها إلى مجموعة الجزر.

تنتج منورقة الحبوب وزيت الزيتون والكتّان وتربّي الماشية وبها آثار كثيرة ترجع للعصرين الروماني والعربي.

سقطت قُبَيْل الفترة التي سقط فيها شرق الأندلس، وفيما بعد كان موقع الجزيرة محل نزاع في القرن الثامن عشر حيث استولى عليها الإنجليز ثم احتلتها فرنسا ثم الإنجليز ففرنسا مرة أخرى وأُعطيت لأسبانيا نهائيًا منذ عام ١٨٠٢م.

رسالة

شعر : عبدالله السيد شرف

قـالت : أتسعـد إذْ تـأتي رسـالاتي

فقلتُ في شَجَنٍ يكسـو ابتسـامـاتي

لـو كان عـطرُكِ منذُ الأمسِ عـانَقَنى

لـكـان لى أَلَـقٌ تـرويـه أبـيـاتى

لـكن أجـنحـتى قـد غـالهـا شَجَنٌ

ولا يـطال المدى.. من غـيرِ رَفَّـاتِ

لا تحسبينى أخـافُ العِشْـقَ فـاتِنَتي

إنِّي أُجِـلُّكِ.. أن تُـشـقـيـكِ أنّـاتي

لم تَـبْـقَ إلا ذُبـالاتٌ . . فـواأسـفـي

مـاذا أفـدتُ سـوى بعضِ الجُـذاذاتِ

يـأسٌ يؤرِّقُنـا ـ والـشيـبُ يَـدْفَعُنـا

نَهْبَ الأنـين.. إلى قَـيْظ المـدارات

بـالله لا تـأمـلي من شـاعـرٍ قَلِقٍ

أن يشرع السـيرَ في دَرْب المتاهـاتِ

حُـومي بعيداً.. فـإني طـائـرٌ هَـرِمٌ

ولا يُعيـدُ الصِّبـا.. همسُ الـرسـالاتِ

تصريحات صحافية!!



كنا على ارتفاع ثلاثين ألف قدم ومطيتنا في عناق خشن مع الضباب طلب مني زميل الرحلة قراءة هذا الخبر:

● صرح مدير عام مستشفى (. . .) أن الجهود تتواصل للتوسع في الخدمات الصحية وزيادة عدد الأسرة إلى ضعف المتوافر حاليا . . وقال : إن عدد المرضى الذين يترددون على المستشفى يصل إلى أكثر من خمسمائة مريض يوميًا . . ونأمل في زيادة هذا العدد خلال الشهور القادمة ليصل إلى ألف مريض . . وقال سعادته : إن هذا يشير بوضوح إلى الخدمة الصحية المتميزة التي يقدمها مستشفانا . . فنظرت إلى صاحبي ونظر إليّ وقلنا الحمد لله على السلامة!!

وتصريح آخر نشرته الصحافة بتوسع دون أن تنفذ إلى حقيقة أهدافه، فقد حدث أن زار إحدى الدول العربية شخصية غربية . . وعندما سألته الصحافة ـ كعادتها ـ عن انطباعاته قال :

● لقد أُعجبتُ كثيرًا بمناخ مدينتكم . . وهو مناخ يساعد على الصحة والعافية . . وفي رأيي أن هذا المناخ الجميل يعود إلى خلوّ دولتكم من المصانع . . وأوصي بعدم التفكير في الصناعة إذا أردتم ـ فعلاً ـ الإبقاء على هذا المناخ الصحي الجميل .

وكانت عناوين الصحف : السيد (. . .) يشيد بجو مدينتنا لخلوها من المصانع!!

هذه عينة من التصريحات الصحافية التي تهتم بالكم والتضخيم بصرف النظر عن دلالة الكلمة وانعكاساتها . . أما صحافة الإثارة فتلجأ إلى نوع آخر من التصريحات الساخرة، وقد يقع تداخل بين خبر وخبر آخر فينشأ عن ذلك كلام مضحك وغريب بآن واحد، فقد حدث مرة أن وصلت إلى بيروت فنانة مشهورة، وفي الوقت ذاته وصلت سفينة محملة بالبضائع تعرّضت لحادث . . فجاء الخبر كالتالي :

● صرح مصدر مسؤول أن الفنانة المشهورة وصلت يوم أمس إلى ميناء بيروت . . وكان في استقبالها عدد من الجمهور والفنانين . . إلا أن حادثًا وقع فجأة قبل أن تضع أوتادها على الشاطئ . . إذ اشتعلت النار في أطرافها ولم تصل بعد إلى مستودع البضائع . . ولا يزال رجال الإسعاف يعملون على إخماد الحريق . . !!

وهكذا نحن لا نزال نقرأ التصريحات دون ملل، والصحف تمضي في نشرها دون كلل والحقيقة تكشفها الأقلام حينا وتُلقى عليها الظلال أحيانا . والسلام .

د. ساعد العرابي الحارثي

حـنين

عام ١٣٨ للهجرة دخل الأندلس عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك ابن مروان الشهير بـ «صَقر قريش» واستتب له الحكم، وعُرف بعلمه وعدله وحنينه الدائم إلى بلاده ـ بلاد العرب ـ ومن أشعاره في الشوق إلى أصله ومنبته :

أيها الراكب الميمم أرضي ... اِقْرَ مِنْ بَعضيَ السلام لبعضي

إنّ جسمي وما لِكِيه بأرض ... وفؤادي ومالكيه بأرض

قُدِّر البينُ بيننا، فافترقنا ... وطوى البين عن جفوني غمضي

قد قضى الله بالفراق علينا ... فعسى باجتماعنا سوف يقضي

قصة مثل:

أعز من بيض الأنوق

والأنوق هي الرخم الذكر، والبيض إنما يكون للأنثى فقط مما يدل على أنه أمر يستحيل وجوده، هذا فضلا عن أن أنثى هذا الطير تلتمس لبيضها الأوكار البعيدة، والأماكن الوحشية، والجبال الشامخة فلا تصل إليها يد إنسان . . لذا فقد ضرب العرب المثل بها فيما يعز وجوده، قال الشاعر:

وكنت إذا استُودعت سِرًّا كتمته ... كبيض أنوق لا يُنال له وكر

ويروى أن رجلا من أهل الشام طلب إلى معاوية حاجة فأبى، فسأله أخرى فتمثل معاوية بهذا البيت :

طلب الأبلق العَقُوق فلما ... فاته ذاك رام بيض الأنوق

ويقال أعز من الأبلق العقوق

والعقوق هنا هو الفرس الحامل يقال : أعقت الفرس إذا حملت فهي عقوق وهذه صفة للأنثى، أما (الأبلق) فصفة للذكر والمعنى أن المطلوب هو الذكر الحامل . وهذا لا يجوز طبعا لكونه أمرًا مستحيلاً فضربوا بذلك المثل للأمر المستحيل أو الشيء الذي يعز وجوده وهو كالقول : أعز من الفحل الحامل، ومن الغراب الأعصم حيث إن العَصَم وهو بياض يكون في مؤخر رجل الوعل، ولا يمكن أن يكون في الغراب لذا قيل فيه المثل، كما قيل فيه الحديث الشريف: «**إن عائشة في ا لنساء كالغراب الأعصم**» .

ويقال أيضا : **أعز من العيوق (أو مناط العيوق)**

والعيوق كوكب يطلع مع الثريا (نجم) ويقال له عيوق الثريا . وبه تعرف القبلة، ومعنى المثل مأخوذ من قول جرير أو أن قول جرير مأخوذ منه :

فإنّك يابن القين لن تدرك العلى ... ولا المجد حتى يُدرك النجم طالبُه

أوائل

* أوّل من أخطأ في القياس «علمياً»: إبليس ـ لعنه الله ـ حيث قال مخاطبا ربّ العزة والجلالة: «أنا خيرٌ منه خلقتني من نار وخلقته من طين».

* أوّل من دلّ على تركيب الأفلاك، وقدّر مسير الكواكب، ونبّه على عجائب الصنع فيها: **إدريس عليه السلام**.

* أوّل من وضع النحو: **أبو الأسود الدؤلي**، بتوجيه من **علي بن أبي طالب** كرّم الله وجهه.

* **أوّل** من صنف في علم الكلام: واصل بن عطاء المعتزلي.

*أوّل من صنف في غريب القرآن: **أبو عبيدة معمر بن المثنى**.

* أوّل من صنّف في أصول الفقه: **الإمام الشافعي**؛ في كتابه «الرسالة».

*أوّل من صنّف في الفقه: **مالك بن أنس** في «الموطأ» الذي رتب الأحاديث فيه على أبواب الفقه.

*أوّل من وضع علم العروض، وصنف معجماً في اللغة مرتبة حسب مخارج حروفها: **الخليل بن أحمد الفراهيدي**.

* أوّل من صنف في علم البديع: **عبد الله بن المعتز**.

ليلى والشعراء

جمعَ عبد الملك بن مروان الشعراءَ وعرض عليهم نصفَ البيت الآتي

أهيم بليلى ما حَييتُ فإن أَمُتْ . . .

واقترح عليهم إكمالَه.

فقال الأول:

أهيمُ بليلى ما حييت فإن أمُتْ	فياليتَ شعري من يَهِيم بها بَعْدِي

وقال الثاني:

أهيمُ بليلى ما حييت فإن أمُتْ	أُوَكِّلْ بليلى من يهيم بها بَعْدِي

وقال الثالث:

أهيمُ بليلى ما حييت فإن أمُتْ	فلا صَلَحتْ ليلَى على أحدٍ بَعْدِي

فاستحسن عبد الملك منه ذلك وأجازه.

صيد



حضارة أم حقارة؟



يشهد مؤرخو الفكر اليهودي ـ حتى من الصهاينة ـ بفضل الحضارة الإسلامية عليهم. فهم حتى الآن يترنمون في معابدهم بأشعار عبرية تتبع أوزان العروض التي استنبطها الخليل بن أحمد رحمه الله، ويضبطون تلاوة كتبهم على أحكام علم الصرف العربي الذي شرحه سيبويه وابن جني في كتبهما، ويجوّدون هذه التلاوة تقليدا لقواعد التجويد عند المسلمين، تستوي في ذلك قراءة ابن آشر وابن نفتالي في قراءة النص العبري. ولم يكن عندهم شيء من قواعد النحو في اللغة العبرية، حتى ظهر النحوي اليهودي أبو الوليد مروان بن جناح القرطبي فوضع كتابه في هذا العلم مبسوطا باللغة العربية الفصحى، وسماه «كتاب اللمع» على اسم كتاب أبي الفتح عثمان بن جنّي في النحو العربي. وفي معاجم اللغة العبرية ألّف أبو سليمان داود بن إبراهيم الفاسي معجم «جامع الألفاظ» وأولى محاولات البلاغة العبرية كانت من تأليف ابن عزرا الأندلسي، وفي الشريعة اليهودية ظهر سعيد بن يوسف الفيّومي بكتاب مفصل في المواريث، وألّف موسى بن ميمون في العقائد «دلالة الحائرين» مقتفيا أثر سعيد الفيومي في كتابه «الأمانات والاعتقادات». حتى فن الموشحات أخذوا في نغماته بالذوق الأندلسي في أعمال ابن غبيرول وغيره، وكانت مقامات الحريري أيضا أساسًا لهذا الفن نفسه في اللغة العبرية على يد يهودا الحريزي، والفرق بينهما هذه النقطة على الزاي، وأخذوا عن المسلمين في العلوم الطب والصيدلة والجراحة، وبالغ بعضهم فخلع على نفسه من الأسماء والألقاب ما لا يشك إنسان إذا سمعها ـ أنها لشيخ من شيوخ المسلمين الكبار، فمنهم مثلا أبو البركات هبة الله الحكيم، الذي كان متكبرا مغرورا حتى قال فيه زميله ابن التلميذ الطبيب النصراني:

لنا صديقٌ يهوديٌّ حَماقَتُه	إذا تكلّمَ تبدو فيه من فيه
يتيهُ، والكلبُ أعلى منه منزلةً	كأنّه بعدُ لم يخرجْ من التيه!

والحديث عن حضارة الإسلام وفضلها حتى على علم العقائد وعلوم الفقه وضوابط النقل الشفوي، يحتاج إلى مجلدات ومؤلفات وباحثين. أما فضلها على اللغة العبرية فقد اختار، حتى متعصبو الصهاينة، اللهجة العبرية الأندلسية التي تسمى (السفردية) وفضلوها على لهجة زعماء الصهيونية (الاشكناز) لانضباطها وحسن أصواتها، وعلى هذا تسير كل أجهزة الإعلام الصهيونية الآن؛ وتعليم اللغة العبريّة في المدارس.

وما يزالون مع ذلك يزعمون أنهم رسل الحضارة إلينا، أرأيتم الحقارة؟

أ. د. حسن ظاظا

طَبيبُكَ

عيادة

طبية خاصة تقدمها لك مجلتك (الفيصل)، استضافت فيها أطباء واختصاصيي «مستشفى دلة» للإجابة عن أسئلتكم واستفساراتكم . . ويسعد هذا الباب أن يتلقى رسائلكم وإفادتكم بالنتيجة . .

غازات في الأمعاء

● بعث إلينا القارئ ح . ع . س من الجزائر سائلاً عن أسباب وجود غازات في الأمعاء بشكل دائم، على الرغم من تناوله غذاءه بشكل منتظم؟

يجيب عن السؤال **الدكتور . . بال PAL** استشاري الباطنية قائلا:

هناك أسباب متعددة لكثرة الغازات، ومن المعروف أن الغازات في الأمعاء معظمها مبلوع وجزء بسيط ينتج عن التخمّر البكتيري . وهناك بعض الأطعمة مرتبط بالغازات . .

مثل الأكل المبهّر، البقول، الدُّسُم، البصل النيئ . . إلخ . كما أنّ التوتر النفسي والتدخين يؤديان ـ أيضا ـ إلى وجود غازات، وكذلك بعض حالات الالتهابات والنزلات المعويّة تكثر فيها الغازات .

النصيحة هي تجنب أكل ما سبق ذكرهُ كما أننا ننصح بالحديث ببطء، وتناول الطعام ببطء، وشرب الماء في نهاية الأكل وليس خلاله، ويجب إجراء فحص للبراز، وإن عجزت كل الإرشادات أعلاه عن معالجة الغازات فإنه من المستحسن استعمال العقاقير الطبيّة .

الحصى البولي

القارئ محمد عبد الكريم سالم، مكة المكرمة، يسأل قائلاً:

● أجريت أكثر من عمليّة لتفتيت حصى الجهاز البولي، ما سبب تكوّن الحصى؟ وكيف يمكن الوقاية منه؟ وما آثاره لو ترك لفترة طويلة؟

أجاب عن هذا السؤال الدكتور **إيلي فارس** استشاري جراحة الكلى والمسالك البولية بالمستشفى **قائلاً:**

ـ أسباب تكوّن حصى الجهاز البولي كثيرة؛ أهمها: الجفاف الناتج عن عدم شرب الماء والسوائل، فمن المعروف أن الجسم يفقد كل يوم ما يقارب ليترًا ونصف الليتر من الماء في العَرَق والبول والتنفس وعند التكلم، وعلى كل شخص أن يعوّض عن ذلك بشرب الماء، أمّا المرضى الذين يتكرر عندهم تكوين الحصى فيجب البحث عن أسباب أخرى عضوية . مثل وجود **تحلُّل في بعض تصريف الكالسيوم أو زيادة في إفرازه، وكذلك بعض الحوامض الأخرى كحامض البول وغيرها**، وتكون الوقاية على أية حال بشرب الماء بما يقارب ثلاثة ليترات في اليوم لأن علاج هذه الحالات ليس سهلاً، أما آثار تكرر الحصى في الكلى فلم تعد بالأهمية التي كانت عليها عندما كان العلاج الوحيد هو الجراحة، فاليوم بعد اكتشاف التفتيت بالموجات التصادمية، أو ما فوق الصوتية أصبح الأذى الذي يلحق بالكلى ضعيفًا إلى حدٍّ ما .

تعصّب وليس تشنجًا

القارئة فوزية عبد المعطي من الإسكندرية، مصر، تسأل قائلة:

● لديّ طفل يعاني من تشنج أثناء عملية «التبرّز»، ممّ تنشأ هذه الحالة وهل يستوجب عرضه على طبيب؟

يجيب عن هذا السؤال الدكتور **محمد رشيد الرفاعي** استشاري أمراض الأطفال بالمستشفى، **قائلاً:**

إن وصف الأم لطفلها بأنه يعاني من تشنج أثناء عملية التبرز ليس وصفًا دقيقًا، والأصح هنا هو وصفه بأن الطفل خاصة الذي هو أقل من سنتين ـــ يعاني أحيانًا كثيرة من تعصُّبُ، حيث يلجأ الطفل إلى حالة التمدد الجسمي والعضلي ويتغيّر لونه بحيث يحمرُّ وجهُه، وأحيانًا يصابُ بِعَرَق مستمر أثناء الحالة وهذا مختلف جدًا عن التشنج .

إنّ عملية التبرز شيء صعب بالنسبة للأطفال . وخاصة إذا كان ذلك مصاحبًا بإمساك، وبعض كبار السن يعانون من الألم والتعصُّب نفسه في حالات الإمساك كما يعاني الأطفال، إلاّ أنّ كبار السنّ يتمتَّعون

هذه البقوليات جذابة، لكنها تسبب غازات الأمعاء .



بميزة هي أنهم خلال قيامهم بالتبرّز الجلوسي يقومون بضغط عضلات البطن التي تساعد على ارتفاع ضغط البطن والذي يقوم بدوره بمساعدة عضلات القولون على دفع البراز إلى الخارج وهذا ما لا يستطيعه كثير من الأطفال.

ولذلك ننصح، خاصة في حالة وجود تحجّر في البراز ـ أن تقوم والدة الطفل باستشارة الطبيب المختص ليقوم بالكشف على الطفل والتنبيه إلى إعطاء الطفل التغذية الخاصة التي تساعد على البراز الصحيح الليّن وأحيانًا بمساعدة المريض ببعض الأدوية.

الغذاء المنظّم لمرضى السكري

القارئ. محمد سالم العمري من الرياض يسأل عن الأطعمة المسموحة والممنوعة لمرضى السكر..

وقد وضع الدكتور **حازم حمدون استشاري** القلب والباطنة هذه القائمة من الأطعمة إجابة عن سؤال الأخ محمد:

(أ) المأكولات المسموح بها بدون تحفظ لمرضى السكر:

خيار / بقدونس / سلق / طماطم / كرفس / سبانخ / خس / نعناع / ملوخية / جزر / ثوم / كوسا/ بطيخ / بصل / باذنجان / فجل / بامية / فلفلة خضراء / لفت/ قرنبيط / ملفوف ـ كرنب / ملح / بهار / خردل / وجميع البهارات لتتبيل الطعام / خل كبس/ حامض/ وعصير الحامض / مرقة لحمة (زوم) شوربة الخضار / سكرين.

(ب) أما الأطعمة الممنوعة لمرضى السكر فيحددها الدكتور **حازم حمدون** على النحو التالي:

١ ـ الحلويات بكافة أنواعها:

الكيك/ البسكويت / الآيس كريم/ الجيلي / الشكولاته / الكاكاو المحلى/ العسل / المربى / اللبن المطعم بالفواكه / الرطب والتمر.

٢ ـ المكسرات بكافة أنواعها: الكازو / اللوز / الجوز / الفستق / البندق.

٣ ـ لا تستعمل السكر العادي في الشاي، أو القهوة وبإمكانك أن تستعمل مركب SWEET IN LOW أو الكاندريل بدلا من السكر العادي. CANDEREL.

٤ ـ لا تستعمل المياه الغازية أو أية عصيرات معلبة حالية وبإمكانك أن تحضر عصير الليمون من عصر الليمون الطازج وإضافة السكرين إليه وتأخذ منه ما تشاء وبإمكانك أيضا أن تستعمل البيبسي الخالي من السكر.

٥ ـ ابتعد عن تناول أنواع الحساء المعلبة التي تحتوي على الكريما والدهون وبإمكانك أن تستعمل مرق اللحم الأحمر الخالي من الدهن بعد سلقه وكذلك حساء الخضار الطازجة المسلوقة.

٦ ـ الابتعاد عن أشكال الدهون كافة سواء كانت حيوانية المصدر مثل الزيت، السمن.. إلخ، أو نباتية مثل الزيوت النباتية كالمازولا والمرجرين.. وبإمكانك أن تستعمل مقدار ملعقة شاي صغيرة من زيت المازولا من أجل الطبخ في الغداء والعشاء.

٧ ـ ابتعد عن تناول كافة الأطعمة المقلية سواء بالزيت أو بالسمنة.

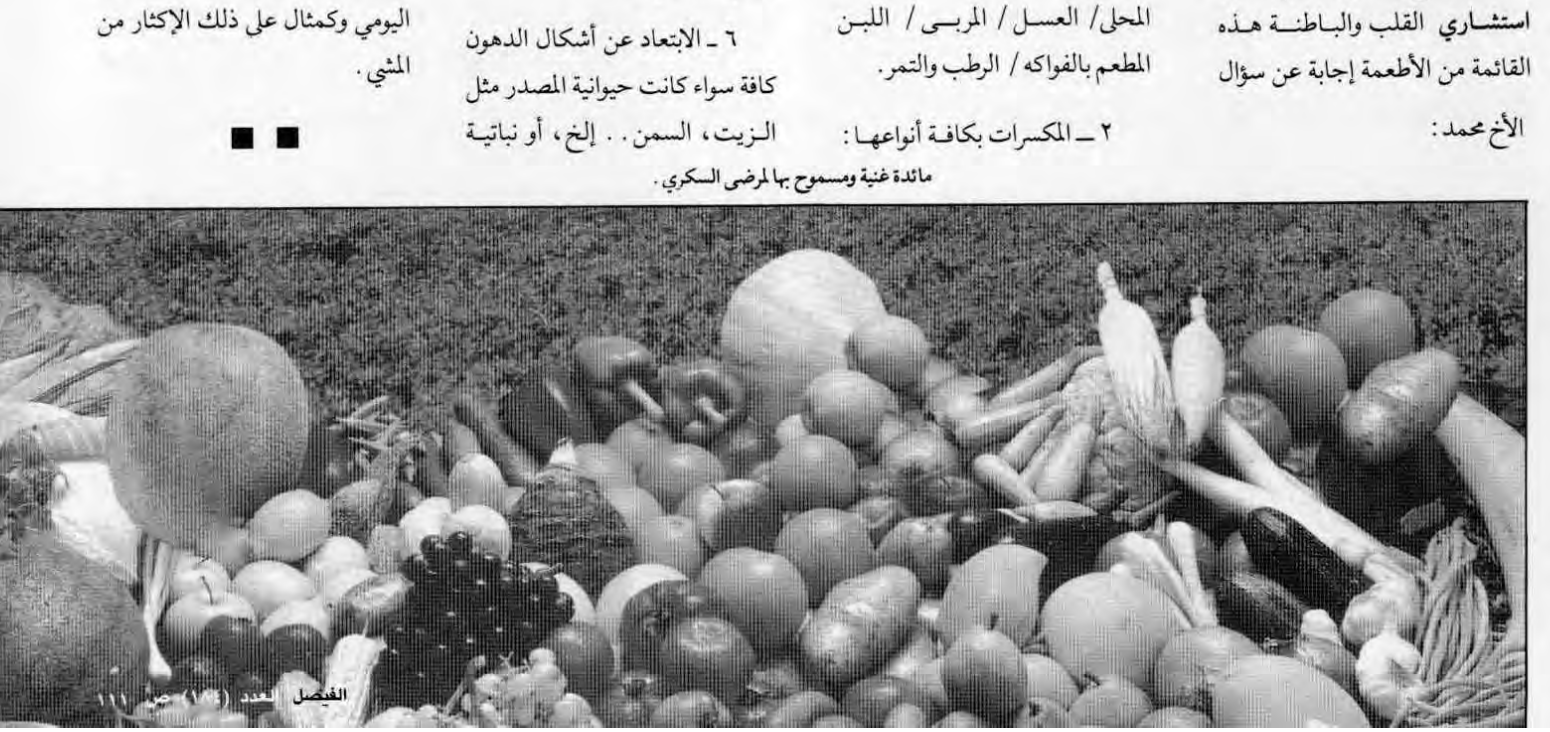
٨ ـ لا تستعمل الصلصات الصناعية مثل الكتشب المايونيز وغيرها.. لاحتوائها على الدهون.. وعند شرائك أية معلبات عليك بقراءة البطاقة الملصقة على العلبة والابتعاد عن المحتوية على الدهن منها.

٩ ـ عند شعورك بالجوع بإمكانك أن تتناول ما تشاء من السلطة الخضراء ولكن بدون إضافة الزيت لها.

١٠ ـ حاول أن تزيد من نشاطك اليومي وكمثال على ذلك الإكثار من المشي.

■ ■

مائدة غنية ومسموح بها لمرضى السكري.



كتب وردت إلى المجلة

الموقف من الحداثة ومسائل أخرى (ط ٢)



تأليف الدكتور **عبد الله الغذامي**. يتناول الكتاب بعض المسائل النقدية المعاصرة مع اهتمام بالعلاقة بين النص والقارئ، واعتبار أن المؤلف لا وجود له بينهما، ويعبر عن ذلك بـ «موت المؤلف».

الكتاب يتكون من مقدمة وثمانية فصول يتحدث في الثاني منها عن الموضوع الرئيس تحت عنوان الكتاب نفسه «الموقف من الحداثة».

يقع الكتاب في ١٦٠ صفحة، وهذه هي طبعته الثانية عام ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م.

حلم الزمان المستحيل



تأليف **خالد الصفيان**، ويجمع المؤلف في هذا الكتاب **مجموعة من كتاباته الصحفية التي تجمع بين الفكرة والخاطرة والكتابة التأملية**. يقع الكتاب في ١٤١ صفحة من الحجم المتوسط، وهذه هي طبعته الأولى. وصدرت هذه السنة.

اليهودي حرزان (رواية)



تأليف **عقيل عصين الأشجعي**. من نوع الروايات الطويلة ـ إلى حدٍّ ما ـ تقع في ٣٩٧ صفحة «مقسّمة إلى ثلاثة أبواب كل باب يحوي عددًا من الفصول.

يدخل الكاتب إلى موضوع روايته مباشرة من غير تقديم، أو مقدمة، ولكنه يقدم لكلّ فصل من فصول الكتاب بما يشبه قائمة بمحتويات الفصل.

صدر الكتاب عن دار صبري للنشر والتوزيع بالرياض في طبعته الأولى، عام ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م.

كيف تعامل المراهقين؟

تأليف الدكتور **زهدي صبري الخواجا**.



يتنقل المؤلف في هذا الكتاب بين عدد من الآراء العلمية في كيفية معاملة المراهقين وبين الحديث المباشر مع المراهقين عبر تقديم بعض النماذج العربية والإسلامية والإنسانية في شكل قصص أو حكايات تحمل في طياتها دعوة إلى الالتزام بالقيم الإسلامية الرفيعة والأخلاق الإنسانية العالية.

صدر الكتاب عن دار صبري للنشر والتوزيع بالرياض، ويقع في ٢٥٧ صفحة من القطع الكبير.

أدب الأطفال: تربية ومسؤولية



يتناول فيه مؤلفه الأديب محمد حسن بريغش أدب الأطفال كجزء من الاهتمام بالأطفال وضرورة من ضرورات تربيتهم وتنشئتهم بشكل صحيح على العقيدة الإسلامية والخُلق السليم والآداب السامية..

من أبواب الكتاب: الطفولة أهميتها ونظرة الإسلام لها، الأهداف الرئيسية لأدب الأطفال، السمات الرئيسية لأدب الأطفال، موضوعات أدب الأطفال..

صدر عن مطابع الوفاء في المنصورة/ مصر:

الوسطية العربية: مذهب وتطبيق



يقدم **الدكتور عبد الحميد إبراهيم** عميد كلية الدراسات العربية والإسلامية بالمنيا الجزء الثالث من مشروعه «الوسطية».

هذا الكتاب الذي يفتتحه بإهداء: «إلى النبي محمد ﷺ أول من بعث عبقرية الصحراء»..

يتناول المؤلف أصول التاريخ العربي، والوسطية العربية والنموذج الإسلامي وتطبيقاته في الزمان والمكان خلال استعراض شامل لتطور الفكر العربي..

الأمن الغذائي والعمل العربي المشترك



تأليف **الدكتور. عبد الله الثنيان. الذي يعالج فيه المشكلة الغذائية من منظور عربي جماعي وإقليمي مبني على الواقع العربي**، ويستشرف مستقبل الأمن الغذائي العربي معتمدًا على التجارب السابقة والراهنة لممارسات العمل العربي في هذا المجال؛ يشمل الكتاب سبعة عشر بابًا، فيها:

كفاية استغلال الموارد الزراعية العربية، العمل العربي المشترك في ميدان الأمن الغذائي: الأطر العامة، مؤسسات العون المالي العربي... إلخ.

ألحق المؤلف بكتابه نص الاتفاقية الاقتصادية الموحدة بين دول مجلس التعاون الخليجي. الكتاب يقع في ٦٥١ صفحة من القطع الكبير وهذه هي طبعته الأولى عام ١٩٩٠م ١٤١٠هـ.

ملحمة الجهاد الأفغاني



تأليف الدكتور **عدنان علي رضا النحوي، الذي** يفتتح كتابه بعدد من الآيات الكريمة والأحاديث النبويّة الشريفة التي توضّح منزلة الجهاد في الإسلام، ثمَّ يشرع بعد ذلك في التمهيد للموضوع بتقديم معلومات عن التاريخ العام لأفغانستان وتاريخها السياسي، ثم يفرد فصلاً للحديث عن أفغانستان في الفترة الحالية

بعد ذلك يتناول انطلاقة الجهاد والدروس المستقاة منه. ثم يختتم الكتاب في فصله الخامس بالملحمة الشعرية التي نظمها في هذا السِّياق.

هذه هي الطبعة الثالثة للكتاب.

متاهة الوحدة



صدر للكاتب المكسيكي **أوكتابيو بات** الحاصل على جائزة نوبل للآداب عام ١٩٩٠ كتاب «متاهة الوحدة» عن دار سعاد الصباح للنشر بترجمة للدكتورة نادية جمال الدين.

يعتبر الكتاب دراسة لنفسية المواطن في أيّ زمان ومكان..

كامليّة الإسراء.



قصيدة طويلة للشاعر المغربي **حسن الأمراني** رئيس تحرير مجلة «المشكاة» الأدبيّة صدرت في كتيب يقع في ٢٢ صفحة من القطع الصغير. يبث فيها الشاعر مشاعره الإسلامية تجاه ذكرى الإسراء معارضًا بها قصيدة شوقي الشهيرة:

«ولد الهدى فالكائنات ضياء»

وهي من البحر «الكامل» لذلك أسماها الكامليّة.

ويقول في القصيدة مخاطبًا الرسول الكريم ﷺ:

اخترتُ دربك، والمكاره جمّةٌ

دون اختياري والبلاءُ بلاءُ

نسب أضاء لي الطريق ودعوةٌ

ولي انتماءٌ تاجه الإسراء

الجهاد: المنطلق السعودي لنصرة الحق



أصدرت الوكالة الأهلية للإعلام (نبراس) هذا الكتاب الوثائقي، وتناولت فيه مفهوم الجهاد العام وأثره في منهج تأسيس المملكة العربية السعودية.

ومن خلال أربعة أبواب طرح الكتاب أهم قضايا العالم الإسلامي التي كان للقيادة السعودية دورٌ بارزٌ في دعمها ماديًّا ومعنويًّا، يقع الكتاب في مئة وأربع صفحات من القطع المتوسط.

التميز السعودي في التنمية الدولية



يناقش هذا الكتاب عبر أربعة أبواب وَضْعَ المملكة العربية السعودية بوصفها عضوًا في المجتمع الدولي، ودولة تدرك أنّ أهداف التنمية الوطنية لا يمكن أن تتحقق إلاّ في إطار من «التعاون الدولي» مع المجتمع العالمي في الإطار الذي أقرّه ديننا الإسلامي الحنيف..

صدر عن الوكالة الأهلية للإعلام «نبراس» عام ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م في ١١٣ صفحة من القطع المتوسط.

■ ■ ■

ردود قصيرة

● **الأخ عيد جريس - الخرج:**

شكرًا على مشاعرك الأخوية نحو المجلة وتهنئتها بدخول عامها السادس عشر.

أما الأعداد التي تنقصك من المجموعة الكاملة فسوف يرد القسم المختص على استفسارك.

وبالنسبة لمجلدات «الفيصل» فسيصلك إيضاح مكتوب حول كيفية الحصول عليها.

والمجلة على استعداد لتزويد القراء - أينما كانوا - بالإيضاح المذكور.

● **الأخ سراج الحسن - نيودلهي - الهند:**

نشكرك على مراسلتنا، وأفضل طريقة للاطلاع على المجلة بصورة منتظمة هي الاشتراك فيها. ومرحبا بك قارئا وصديقا لـ «الفيصل».

● **الأخ ليث فخري حسين - عمّان - الأردن:**

اهتمامك بالمجلة محل تقديرنا، والاقتراحات التي تلطفت بإرسالها ندرسها حاليًا ضمن أفكار أخرى عديدة، نرجو أن يرى المناسب منها النور قريبا إن شاء الله.

● **الأخ حلوزي إبراهيم - ميضار - الناضور - المغرب:**

شكرًا على مشاعرك الكريمة، ونأمل أن نلبي طلبك قريبا، أما ملاحظتك حول كمية التوزيع المخصصة لقريتك فهي في محلها وهي قيد المتابعة، ونرجو مواصلة ملاحظاتك.

● **الأخ عبد العزيز رشوان - كفر الدوار - البحيرة - مصر:**

كتابتك إلينا نعتز بها كثيرا. أما الطلب الذي ذكرته في رسالتك فهو شخصي جدًا، ويصعب علينا - مع كل أسف - تحقيقه. مع تمنياتنا بالتوفيق.

الرجاء منك ومن جميع قرائنا الأعزاء إرسال الأصل عند المراسلة لا نسخة مصورة عنها، وشكرا للجميع.

● **الأخ بُسَّاني (أو بستاني) محمد - البليدة - الجزائر:**

مشاعرك الطيبة تجاه المجلة وسؤالك عنها أمرٌ يسرنا كثيرا. واقتراحاتك جيدة ونأمل أن يتيسر تنفيذها والله الموفق.

● **الأخ حسن حلمي عبد العظيم - الإسكندرية - مصر:**

متابعتك للمجلة منذ العدد الأول نعتز بها أيما اعتزاز، والطلب الذي ذكرته في خطابك محل اهتمامنا. وشكرا.

● **الأخ أحمد براهيمي - الجزائر:**

مرحبًا بك صديقًا لـ «الفيصل»، والمجلة ترحب بكل قلم يمكن أن يضيف شيئًا إلى ثقافتنا، نحن بانتظار رسائلك. ولك تحياتنا.

● **الأخوين محمد فواجلية وحمداني عبد القادر - الجزائر:**

مرحبًا بكما صديقين للمجلة. ونعتذر لعدم تمكننا من تلبية رغباتكما في الوقت الحاضر. وشكرًا.

□ **يرجى من الإخوة والأخوات الذين يودون مراسلة المجلة كتابة الاسم والعنوان على ورقة المراسلة نفسها وعدم الاكتفاء بكتابتهما على الظرف. وشكرا للجميع** □

ليس الرافعي المنسيّ الوحيد



أسعدتنامجلة «**الفيصل**» في عـددهـا رقم ١٧٩ الصـــادر في جمادى الأولى ١٤١٢هــــ بنشر ملف خـاص عن الأديب الكبير المرحـوم **مصطفى صادق الرافعي** أحد الرواد الذين لم ينـالوا حظهم من التقدير والتكـريم رغم الجهـد الكبير الـذي بـذلـه في سبيل إضفـاء لمسات الجمال على مـلامح الأدب العـربي في الثلث الأول من القرن العشرين.

ولا نملك في هذا الصدد سوى توجيـه الشكر على المجهود الرائع للمجلة في تغطية جوانب مهمة من أعمال الأديب الكبير وإلقاء الضوء على إنجازاته وما خلّفه من تراث لخدمة النفس البشرية التوّاقة إلى الجمال.



وفي رأينا فإن آخرين من الأدباء قد نالهم النسيان أيضا، ومنهم من عاصر الـرافعي وتـرك آثـارًا رائعـة أغنت الأدب العـربي في الـربع الأول من القـرن العشرين، نـذكر منهم الأديب الكبير مصطفى لطفي المنفلـوطي الذي عـاش أقل من نصف قرن ومات منذ أكثر من نصف قرن مخلفًا آثارًا أدبية رائعة.

فقد ولد المنفلـوطي بقرية «منفلوط» في صعيـد مصر في السابع من جمادى الأولى ١٢٩٣هـ يـونيو ١٨٧٦م وتـوفي في الثاني عشر من يـوليو ١٩٢٤ م عن ثمانية وأربعين عاما فقط حافلة بالأحداث والأعمال العظيمة. فقد كتب الشعر والمقالة والقصة والـرواية، ومن أهم أعماله كتاب «**النظرات**» وهو يضم مجموعة مقالات كتبها في مجلة «**المؤيد**» التي كان يصدرهـا الأديب الشيخ علي يوسف وجمعها في هذا الكتـاب. وأصدره من ثلاثة أجـزاء، وكذلك «**العبرات**» وهي مجموعة قصص نشرت عام ١٩١٤م، ثم أصدر رواية بعنوان «**في سبيل التاج**» وكـذلك قصة مترجمة بعنـوان (**ماجـد ولين**)، وغيرها. وقـد حاز المنفلـوطي إعجـاب كثير من أدبـاء عصره وكـان يكتب الشعر لكنـه كـان أديبـا ولم يكن شاعرا، وقد عمل في كنف الزعيم سعد زغلول حيث أسند إليه بعض المناصب الكبرى في وزارتي المعارف والعدل وكذلك مجلس الشيوخ.

ولم ينل المنفلوطي في مـوته الاهتمام الكافي، فقـد صادف يوم وفاتـه إطلاق الرصاص من مجهول على الزعيم سعد زغلـول في القاهرة وانشغل الناس بذلك عن تشييع جنازته، وقال الشاعر أحمد شوقي في ذلك:

اخترت يـوم الهـول يوم وداع   ونعاك في عصف الرياح الناعي

وكأنه كان يقصد أن يترك رسالة احتجاج على عدم الاهتمام بالأدب ورجاله في هذا الزمان المادي.

كامل حلمي أبو زيد
القاهرة ـ مصر

عن مصطفى صادق الرافعي
مرة أخرى

نشرت مجلـة «الفيصل» في عددهـا ١٧٩ لشهر جمادى الأولى ١٤١٢هـ ملفًا عن الرافعي، وقد كتبتُ تعليقًـا على هذا العدد نشر في العدد ١٨١ لشهر رجب. وأود أولاً أن أصحح ما ذكرتُهُ في بعض ذلك التعليق من أن إعلانًا نُشِرَ في مجلة «**اللطـائف المصـورة**» **عن دواء راسبـوتين، والصحيح أن ذلك نُشِرَ في مجلة «المصـور» بعددهـا ٢٤٤** الصـادر في ١٤/٦/١٩٢٩م وهـو عن دواء الفوسفـورين، وجاء الخطأ من خيـانة الـذاكرة سامحهـا الله. وبرفقـة الإعلان المذكور (أرجو نشره).

إعلان منشور في «المصور» المصرية بتاريخ ١٤/٦/١٩٢٩م عن الفوسفورين تضمن شهادة بخط يد مصطفى صادق الرافعي.





غلاف ديوان الرافعي (الجزء الأول) الذي طبع بالمطبعة العمومية في مصر سنة ١٣٢١هـ.

أما ديوان الرافعي (الذي سهوت عن إرسال صورة غلافه) فها هو ذا مرفق ومعه مقـدمة الناظم ومقدمـة الشارح وفهرس لقصـائد الديوان أعددتُـه لعدم وجود فهرس للديوان الذي طبع عام ١٣٢١هـ، ويوضح الفهرس طرافة بعض القصائد أو غرابتها، ولعل الشاعر نظمهـا في صباه، وفي آخر الديوان تقاريظ للديوان من بعض الشعراء.

وأود التنبيـه إلى أن مقدمـة النـاظم بليغة وتكـاد تكـون شعرًا، وتعليقـات الشارح محمد كامل الرافعي أيضًا جيدة وبها لفتات رائعة وطريفة. وقد ذكر في آخر الديوان أنه الجزء الأول، ولم أعثر على الجزء الثاني ولا أدري هل طبع آنذاك أم لا؟!

وقبل أن أختتم تعليقي أود أن أوضـح أن مقـاليَّ نُشِرَا في العــددين ١٧ و ٣٦.

محمد بن عبد الله الحمدان
الرياض

* الفيصل: نعتـذر عن نشر المقدمتين وفهـرس الديوان لطـول كل منهما ولضيق المساحة. ونأمل أن تتاح فرصة لذلك في المستقبل.

نقوش على حبة القلب

شعر : يس الفيل

بمن أزدهي ، ولمن أكتبُ ؟ وأنت الذي بالهوى تلعبُ
أحبك حباً .. إذا هو ألقى عليك السلام ، صفا المتعبُ
وأهواك .. حتى وإن روعتني دروبٌ .. وروعني المطلبُ
فأنت ليّ الابن ، أرنو بشوق ولو قد بخلت ، وأنت الأبُ
عشقتك قبل التقاء العيون عيوناً .. بها الحب لا ينضبُ
عشقتك نهراً وشمساً وظلاً يجيىء بيَ العمر ، أم يذهبُ
عشقتك .. والعشق بعض الجنون إذا ما اعتراني ، فلا مهربُ
عشقتك ياأيها المستبد فأين الفكاك لمن يغضبُ ؟
وأين اجتيازك حد المحال بقلبي ، وأين الذي أرغبُ ؟
عطاءً هو الحب .. يامن تحب فأين العطاء ، لمن يطلبُ ؟
أناديك .. حتى ولو غبت عَني وغاب الذي فيك أستعذبُ
وأحمل قلبي على راحتيَّ وأقهر بالصدق من يكذبُ
سأحمل سيفي وآتيك جهراً فلا «بَكْرُ » تبقى ولا «تَغْلِبُ»
هواك بقلبي نشيد الحياة تغيب .. فكيف إذا أطربُ ؟
وكيف إذاً يزدرينا زمانٌ ونحن به الشمس لا تغربُ ؟
تألق عطاءً ، وته في زماني فمنك الخلاص الذي أرقبُ
وجئني بكل اجتياح السنين وكن في وريدي لظىً يسكبُ
أجئك بغيضٍ من العشق، يعلو على من أساءوا ومن أذنبوا
وأرحل فيك ارتحال النجوم إذا هي لاحت .. فمن يحجبُ ؟

مسابقة مجلة الفيصل

١ ـ الإخوة القراء الأعزاء :

جوائز قيمتها ٤٥٠٠ ريال تقدمها المجلة لأصحاب الحلول الفائزة، على النحو التالي :

أ ـ جائزتان قيمة كل جائزة ٣٥٠ ريالاً

ب ـ جائزتان قيمة كل جائزة ٣٠٠ ريال

ج ـ جائزتان قيمة كل جائزة ٢٥٠ ريالاً

د ـ جائزتان قيمة كل جائزة ٢٠٠ ريال

هـ ـ جائزتان قيمة كل جائزة ١٥٠ ريالاً

و ـ ٢٠ جائزة قدر كل منها ١٠٠ ريال

٢ ـ شروط المسابقة :

أ ـ المطلوب :

الإجابة عن جميع الأسئلة، وإرفاق الإجابات مع قسيمة العدد الخاصة بالمسابقة موضحًا عليها الاسم ثلاثيًا أو رباعيًا ـ إن أمكن ـ مع وضع العنوان بوضوح لضمان وصول قيمة الجائزة إلى المشترك في المسابقة حالة الفوز.

ب ـ ترسل الإجابات على العنوان التالي :

مسابقة مجلة «الفيصل»
ص . ب ٣ الرياض ١١٤١١ المملكة العربية السعودية
(مع ذكر رقم المسابقة على الظروف)

جـ ـ أية إجابة تصل بعد ٤٥ يومًا (حسب التقويم الهجري) من صدور العدد لا يلتفت إليها .

د ـ من حق القارئ أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة على شرط إرفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة .

هـ ـ الأسئلة لم تعد مأخوذة من الموضوعات المنشورة بالمجلة وذلك لإفساح مجال البحث لدى القارئ في مصادر معلومات أخرى .

● أجوبة مسابقة العدد (١٧٧) ●

ج ١ : يقع **مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف في المدينة المنورة**، وقد تم افتتاحه في شهر صفر ١٤٠٥هـ، وقد أنشئ هذا الصرح الحضاري من أجل عدة أهداف هي :

● **طباعة القرآن الكريم**، وطباعة ترجمات معانيه بمختلف اللغات .

● **تسجيل القرآن الكريم مرتلاً** بأصوات أشهر المقرئين، مع **ترجمة تفسيره إلى** مختلف اللغات، على أشرطة مسموعة (كاسيت)، ومرئية (فيديو) .

● **طباعة علوم القرآن الكريم**، من تفسير وقراءات وتجويد .

● **حصر مخطوطات ومصادر السُّنَّة والسيرة النبوية الشريفة**، والعناية بتحقيقها وطباعتها، مع تسخير التقنية الحديثة لخدمة هذا الغرض، عبر تخزين السُّنَّة والسيرة بعد تصنيفها وتبويبها في الحاسب الآلي .

ج ٢ : من أعراض **أنيميا البحر المتوسط** :

١ ـ **الأنيميا الملحوظة** : وفيها يبدو وجه الطفل شاحبًا، وعادة ما تلحظ الأم ذلك فتلتمس العلاج لدى الطبيب .

٢ ـ **أعراض بالوجه والرأس** : مثل بروز عظمة الجبهة، والعظمة الجدارية بالرأس .

٣ ـ **أعراض أخرى** : وتشمل تضخم الطحال أو الكبد، كما قد يعاني الطفل من تضخم بعض الغدد الليمفاوية في منطقة الرقبة والمنطقة الأربية، وقد يعاني من نقص الوزن، ويبدو متأخرًا في النمو عن أقرانه .

ج ٣ : الصورة **للمركز الإسلامي الثقافي في مدريد** ـ عاصمة أسبانيا ـ وقد أمر بإنشائه خادم الحرمين الشريفين الملك **فهد بن عبد العزيز**، يحفظه الله، وقد بلغت التكلفة الإجمالية له ما يقارب ١٤,٧٥ مليون دولار أمريكي .

ج ٤ : غبار كوني : هو عبارة عن جسيمات دقيقة لعناصر مختلفة مبثوثة في الفضاء بين النجوم، ويعتقد أن بعضها جزيئات عضوية .

ثقب أسود : آخر مراحل عمر أي نجم، حيث تنضغط نوى ذراته جميعها بموجب جاذبية مركزية هائلة ناجمة عن تقلص قلبه المركزي، ولا يعود حتى الضوء قادرًا على الانعكاس منه، ولا يمكن كشفه إلا من خلال الأشعة السينية الصادرة عنه، أو من خلال مراقبة الأجرام السماوية القريبة منه، أو المارّة به والمتعرضة لجاذبيته العالية . وقد نسجت حوله أساطير كثيرة لم تثبت صحتها، وهو مقبرة نجمية للنجم ذاته وما يدور حوله .

تمركز كوني شمسي : هو المفهوم الذي توصل إليه كوبرنيكوس، ودعمه نيوتن بنظريته عن الجاذبية، ومفاده أن الأرض تدور حول الشمس، وأن الشمس هي مركز الكون، وقد أثبتت الاكتشافات الفلكية الحديثة أن الشمس مجرد نجم في مجرة كبيرة هي مجرّة درب التبانة، أو الطريق الحليبي .

ج ٥ : أسماء مؤلفي الكتب التالية :

أي بني : **د . عبد العزيز بن عبد الله الخويطر**

المزيد من رأيي المتواضع : **د . غازي عبد الرحمن القصيبي .**

زائر الأمس : **علي حسين الفيفي .**

سنوات كثيرة فيما بعد : **خوسي أنطونيو جابرييل .**

نتائج مسابقة العدد (١٧٧)

● فازت بالجائزة الأولى، وقيمتها (٧٥٠) سبعمائة وخمسون ريالاً سعودياً، الأخت نورة عثمان محمد التويجري - الرياض - المملكة العربية السعودية.

● وفازت بالجائزة الثانية، وقيمتها (٥٠٠) خمسمائة ريال سعودي، الأخت خديجة إبراهيم الدويري - تونس - الجمهورية التونسية.

● وفاز بالجائزة الثالثة، وقيمتها (٣٥٠) ثلاثمائة وخمسون ريالاً سعودياً، الأخ عطية الله أبو زيد حاج أحمد كاسر - كسلا - السودان.

□□□

● وهناك سبع جوائز مالية قدر كل جائزة منها (٢٠٠) مائتا ريال سعودي، فاز بها الإخوة والأخوات التالية أسماؤهم:

من المغرب، الدار البيضاء، الأخت الورّاق خديجة محمد المعطي.

من مصر، الشرقية، الأخ محسن محمود سيف الدين سليمان.

من المملكة العربية السعودية، الطائف، الأخت فاطمة عبيد الله حامد الحميَّاني.

من الأردن، عمّان، الأخ زياد محمد خميس شاكر إدريس.

من الجزائر، المسيلة، الأخت سُميَّة سيد علي.

من البحرين، المنامة، الأخ عبد العزيز عبد علي عبد النبي.

من السودان، حنتوب، الأخ يوسف أحمد علي التوم.

□□□

● إلى جانب عشر جوائز أخرى كل منها اشتراك مجاني لمدة عام (١٢ عدداً) في مجلة «الفيصل» فاز بها الإخوة والأخوات التالية أسماؤهم:

من مصر، الغربية، الأخت الجليلة مصطفى البديوي.

من المملكة العربية السعودية، القصيم، الأخ عبد الله عبيلان عبد الله.

من المغرب، الدار البيضاء، الأخت مريم سيف عبده اليمني.

من الأردن، عمّان، الأخت منال أمين الزق.

من تونس، قفصة، الأخ، بلقاسم بن المولدي برهومي.

من المملكة العربية السعودية، الطائف، الأخ شاكر شوكت محمد علي بخاري.

من الجزائر، المسيلة، الأخ ثامر عيسى.

من السودان، المناقل، الأخت شادية عوض محمد أحمد.

من المملكة العربية السعودية، الرياض، الأخ سليمان الصالح الجبرين.

من مصر، الزقازيق، الأخت وفاء سمير عواد عطية.

مع تمنياتنا بحظ أوفر للإخوة والأخوات المشتركين في المسابقات القادمة.

أسئلة مسابقة العدد (١٨٤)

● السؤال الأول:

أول فدائي في الإسلام، حاز مكانة عالية عند المسلمين، ولقَّبه رسول الله ﷺ بأبي تراب. فمن هو؟

● السؤال الثاني:

من قائل هذين البيتين؟ وعن أي شيء يتحدث؟:

وزائرتي كأن بها حياء
فليس تزور إلا في الظلام
بذلت لها المطارف والحشايا
فعافتها وباتت في عظامي

● السؤال الثالث:

إمام مجتهد، ومحدّث كبير عالم بالصحاح والسنن، وسيف صارم مصلّت على أهل البدع. نال جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام. من هو؟ وفي أي سنة حاز الجائزة؟

● السؤال الرابع:

اكتب نبذة عن صلاة الجنازة.

● السؤال الخامس:

الفول السوداني، نبات عشبي حولي من الفصيلة القرنية. اذكر موطنه الأصلي، وبعض استخداماته.

● ●

الحركة الثقافية

متابعة شاملة للحركة الثقافية ومجرياتها في العالم؛ نقدمها لك من خلال هذا الرصد للأحداث والمناسبات والندوات الفكرية والعلمية والأدبية والفنية والإصدارات الجديدة في مجالات المعرفة

- ☐ مسابقة أدبية في نادي أبها.
- ☐ معرض للخط العربي في عمان.
- ☐ موسوعة للحضارة الإسلامية في لبنان.
- ☐ معرض لآثار العالم في الأندلس.
- ☐ جائزة «لوتيس» لأديب مغربي.



السعودية

الملك فهد يفتتح المرحلة الثانية لتطوير منطقة قصر الحكم:

تواصل الماضي العريق بالحاضر الزاهر

رعى خادم الحرمين الشريفين **الملك فهد بن عبد العزيز** - يحفظه الله - في السابع من شهر رمضان المبارك الماضي افتتاح **المرحلة الثانية من برنامج تطوير منطقة قصرالحكم** الذي تنفذه الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض.

ويعبر المشروع - كما قال صاحب السمو الملكي **الأمير سلمان بن عبد العزيز أمير منطقة الرياض** في كلمته التي ألقاها بهذه المناسبة - عن **تواصل الماضي العريق بالحاضر الزاهر**، كما يجسد اتصال التاريخ بالتاريخ من خلال وفاء الأبناء لأمانة الآباء، لما يمثله قصر الحكم من معان نبيلة في الوجدان السعودي عبر الأجيال والسنين، فقد كان هذا القصر منطلقًا لتأسيس الدولة السعودية الثانية بقيادة **الإمام تركي بن عبد الله**، وملتقى للمواطنين بولاة الأمر.

ويمثل برنامج التطوير - والكلام لسمو **الأمير سلمان** - عملية إصلاح عمراني كبرى لوسط عاصمة المملكة.

تشتمل المرحلة الثانية المشروع على مبنى قصر الحكم، وجامع الإمام تركي ابن عبد الله والمباني الملحقة به، وميدان العدل، وساحة الصفاة، وساحة الإمام محمد بن سعود، وساحة المصمك، وبوابتي الثميري ودخنة، وبرج الديرة، وأجزاء من سور المدينة القديم. فضلاً عن شبكات المرافق العامة والطرق.

وقد روعي في المشروع أن يربط **الماضي** بالحاضر، **حيث انطلق البرنامج من عدة اعتبارات من أبرزها أهمية المنطقة التاريخية والدينية، إذ إنها كانت المنطقة التي تقوم على معظمها مدينة الرياض، عندما استعادها** الملك عبد العزيز آل سعود - طيب الله ثراه - كما كانت ملتقى لطلاب العلم حينما احتضنت لعقود طويلة حلقات الدرس التي اتخذت من مساجدها رحابًا لها، كذلك قامت المنطقة بدور المركز التجاري لمدينة الرياض لسنوات طويلة، وماتزال.

من هنا نبع الحرص في التخطيط الجديد للمنطقة على **الحفاظ على النمط التقليدي للعلاقة بين المباني والميادين والساحات العامة في المنطقة،** فميدان العدل - وهو الميدان الرئيسي للعاصمة - تحيط به المباني الرئيسية مثل قصر الحكم وجامع الإمام تركي بن عبد الله وتتصل به من جهته الشرقية ساحة المصمك، ومن جهته الغربية ساحة الصفاة، ثم ساحة الإمام محمد بن سعود، وتحيط بهذا الميدان والساحات أنشطة مكتبية وأخرى تجارية. إلى جانب مجمع سويقة التجاري.

لقد أعيد بناء **قصر الحكم** في موقعه السابق نفسه على أرض مساحتها ١١ ألفًا و٥٠٠ متر مربع، ويشتمل على جناح ملكي، وجناح لأمير الرياض، وجناح لنائبه، ويضم كل جناح مكاتب ومجالس وقاعات استقبال، إضافة إلى ذلك هناك مكاتب وقاعات اجتماعات ومحاضرات وغيرها.

وقد استلهم تصميم القصر من ملامح العمارة المحلية، التي تتجلى في توزيع الفراغات والتشكيل المعماري، والزخارف والواجهات.

ويتصل القصر **بجامع الإمام تركي بن عبد الله** بجسرين على مستوى الدور الأرضي - محاكاة لما كان في السابق، ورمزًا لنهج الدولة في استناد الحكم على الشرع الحنيف.

وبُني جامع الإمام تركي في موقعه السابق نفسه - أيضا - ليتسع لنحو ١٧ ألف مصل، ويشتمل على سرحة ومكتبتين فضلاً عن سكن للإمام والمؤذن، وألحق به عدد من المحلات التجارية، ويعكس تصميمه الطابع المعماري لمدينة الرياض.

وتمثل الميادين والساحات المفتوحة عنصر الربط الرئيسي في المنطقة، ويتوسطها **ميدان العدل** الذي تتناثر مع أطرافه صفوف من أشجار النخيل متتبعة حركة المشاة، وقد زرعت الأرض بجوار **ساحتي الصفاة والإمام محمد بن سعود** بأشجار وشجيرات زهور، وزينت بالنوافير، وكذلك ساحة المصمك التي أقيمت لإبراز هذا الحصن بالشكل اللائق.

شملت هذه المرحلة أيضا إعادة بناء **بوابتي دخنة والثميري، وبرج الديرة إضافة إلى أجزاء من سور المدينة القديم،** وجميعها أقيمت على أنماطها الأصلية من حيث الشكل والمظهر، واستخدمت في بنائها مواد البناء التقليدية، وأظهرت مواقع بعض البوابات والأبراج ومسار السور على الأرض في الشوارع والأرصفة التي تعذر إعادة بناء هذه العناصر فيها باستخدام نوع من الحجر ذي لون مميز كمادة للرصف.

وقد بدأت أعمال التخطيط تمهيدًا لتنفيذ **المرحلة الثالثة** التي ترمي إلى توفير المرافق التجارية والمكتبية والسكنية.



نيابة عن خادم الحرمين الشريفين:

الأمير عبد الله يرعى حفل تسليم جائزة الملك فيصل العالمية

نيابة عن خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز ـ يحفظه الله ـ رعى صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز، ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني الحفل الذي أقامته مؤسسة الملك فيصل الخيرية مساء السبت ١١ رمضان الماضي لتسليم جائزة الملك فيصل العالمية للفائزين بها لعام ١٤١٢هـ ١٩٩٢م.

بدئ الحفل بآي من الذكر الحكيم، ثم ألقى صاحب السمو الملكي **الأمير خالد الفيصل المدير العام لمؤسسة الملك فيصل الخيرية ورئيس هيئة الجائزة** كلمة نوه في مطلعها برعاية خادم الحرمين الشريفين وسمو ولي عهده الأمين وتقديرهما للمخلصين الذين خدموا الإسلام فكرًا وعملاً، وكرسوا جهودهم لخدمة لغة القرآن الكريم دراسة وبحثًا، وسخّروا إمكاناتهم العلمية لتقدم الإنسانية تنظيرًا وتطبيقًا.

وأشار سموه إلى أن الاحتفال بتسليم الجائزة هذا العام يأتي متزامنًا مع أكثر من مناسبة، منها توقيته في شهر رمضان المبارك، ومنها الاحتفال بتحرير الكويت، ومنها مرور عشر سنوات على تولي خادم الحرمين الشريفين مقاليد الحكم، وصدور أنظمة الحكم والشورى والمناطق التي تؤكد على حقيقة أن المملكة منذ ميثاق الدرعية وهي تحكم بالدستور الإسلامي.

واختتم سموه كلمته بالإشارة إلى أن ما تنعم به المملكة ما كان ليكون لولا تطبيق الشريعة الإسلامية.

بعدها قام د. **عبد الله صالح العثيمين** الأمين العام للجائزة بتقديم الفائزين مشيرًا إلى تاريخهم العلمي والجهات التي رشحتهم، ومقدمًا شكر الأمانة العامة لصاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز لتفضله برعاية الحفل.

ثم تفضل صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز بتسليم الفائزين جوائزهم. وألقى كل فائز كلمة تعبر عن الشكر والتقدير للفوز بالجائزة فأكد الدكتور **حامد الغابد** الفائز بجائزة خدمة الإسلام أن المملكة بإرسائها هذه الجائزة الدولية تخليدًا لذكرى **الملك فيصل بن عبد العزيز** ـ يرحمه الله ـ قد أقامت الدليل مجددًا على تعلقها بكل ما من شأنه ضمان الإشعاع الإسلامي وقيمه السامية، وعلى التزامها برفاهية الشعوب الإسلامية وازدهارها

أما د. **محمد مصطفى بدوي** (جائزة الأدب العربي) فأعرب عن فخره لفوزه بالجائزة، مشيرًا إلى أنها تعتبر ـ بحق ـ أعظم جائزة يصبو إليها الباحث في ميدان الأدب العربي في شتى أنحاء العالم.

وقال د. **عبد الفتاح شكري محمد عياد** (جائزة الأدب العربي) في كلمته التي أُلقيت نيابة عنه: إذا عد العرب مآثرهم كانت المشاعر الكريمة النبيلة أعظمها، أن النهضة العلمية التي رعتها قيادة هذه البلاد منذ أن كانت نبتة صغيرة في هذا الوطن المبارك، حتى تمثلت مدينة علمية لا نظير لها في مختلف أرجاء العالم العربي، هذه النهضة العلمية التي نأمل أن نبلغ بها ما بلغته الأمم القوية في هذا العصر لا تنسينا أن السمو الروحي هو المقوم الأول لحضارتنا والميراث العظيم لأسلافنا.

وأكد د. **محمد يوسف نجم** (جائزة الأدب العربي) أن الجائزة بهذه الصفة التي تميزت بها، وبما توحيه من معاني الإخاء والألفة والتعاون في سبيل خير الإنسان وسعادته كانت تجول في ضمير الراحل الشهيد ـ **الملك فيصل** ـ وأشار إلى لقائه مع الملك فيصل ـ يرحمه الله ـ في شباط (فبراير) ١٩٦٥م، وما لمسه خلال اللقاء من اهتمامه ـ يرحمه الله ـ وتطلعه للنهوض بالأمة. وتمنى د. نجم أن يقام في عالمنا العربي مركز عالمي للتعريب والترجمة يكون طريقًا إلى استشراف رياض الأدب وقرائح الفكر ومآثر الحكمة.

أما د. **أثيليو مسري** (جائزة الطب) فقال: إن جائزة الملك فيصل العالمية هي أعظم تشريف أناله، وتأتي في مرحلة بالغة الأهمية من حياتي المهنية، واستعرض د. أثيليو إنجازات الفرق التي عمل معها. ثم قدم الشكر لأمانة الجائزة مشيرًا إلى أنها برهنت على عدم وجود حدود في مجال البحث العلمي.

ونوه د. **سيدني بيرنر** (جائزة العلوم) بالجائزة مشيرًا إلى أنه شرف كبير أن يحظى بها، وتناول في كلمته نبذة عن جهوده البحثية، واختتمها بتوجيه الشكر لهيئة الجائزة على اختيارها له.

جائزة عالمية لخدمة المعاقين



الأمير سلطان بن سلمان

تعتزم الجمعية السعودية الخيرية لرعاية الأطفال المعاقين تخصيص **جائزة عالمية تمنح لمن يقوم بالخدمات الإنسانية أو البحوث العلمية في مجال الرعاية الصحية للمعاقين.**

صرح بذلك صاحب السمو الملكي الأمير **سلطان ابن سلمان بن عبد العزيز** رئيس مجلس إدارة الجمعية خلال استقبال سموه لضيوف المهرجان الوطني السابع للتراث والثقافة.

جائزة فهد بن سلطان للتفوق العلمي



الأمير فهد بن سلطان

يقام في السادس والعشرين من شهر شوال الجاري حفل **جائزة الأمير فهد بن سلطان للتفوق العلمي في تبوك.**

يقام الحفل في مدينة الملك عبد العزيز العسكرية، وقد تم حصر أسماء المدرسين المثاليين والطلاب المتفوقين بالمنطقة لتكريمهم.

معجم جبال الجزيرة العربية



عبد الله بن خميس

انتهى الأديب والباحث الأستاذ **عبد الله بن خميس** من إعداد **الجزء الرابع من معجم جبال الجزيرة العربية،** الذي تكفل خادم الحرمين الشريفين **الملك فهد ابن عبد العزيز** ـ يحفظه الله ـ بنفقات طباعته.

يضم الجزء أسماء الجبال التي تبدأ بأحرف «ع، غ، ف، ق، ك، ل» ويقع في ٤٩٥ صفحة من القطع المتوسط.

ويذكر أن دراسة ابن خميس شملت الجبال الممتدة من اليمن جنوبًا حتى أواسط تركيا شمالاً، المشهورة منها وغير المشهورة.

مسابقة ثقافية مفتوحة

أعلنت الرئاسة العامة لرعاية الشباب عن **مسابقة بحثية ثقافية مفتوحة للسعوديين من الجنسين** تحت عنوان «الرئاسة العامة لرعاية الشباب ودورها في خدمة أهداف مجلس التعاون لدول الخليج العربية».

الحركة الثقافية

واشترطت الرئاسة تميز البحث بالأصالة التي تنم عن قدرة الباحث، وألا يقل حجم البحث عن خمسين ورقة فولسكاب، ولا يزيد على ١٥٠ ورقة، مكتوبة على الآلة الكاتبة من أصل وصورتين، وألا يكون قد سبق نشر البحث أو تقديمه للحصول على درجة علمية.

وتحدد يوم ٢ / ١٢ / ١٤١٢هـ آخر موعد لاستلام البحوث المشاركة.

وقد رصدت الرئاسة جوائز قيمة للفائزين بالمراكز الخمسة الأولى هي على التوالي ١٠ آلاف ريال، ٩ آلاف، ٨ آلاف، ٧ آلاف، ٦ آلاف.

تعليم مسلمي آسيا الوسطى

تبنت الندوة العالمية للشباب الإسلامي مشروعًا **لتحفيظ القرآن الكريم وتعليم اللغة العربية** للطلبة المسلمين في جمهوريات آسيا الوسطى.

يجيء المشروع في إطار رغبة الندوة في إحلال اللغة العربية محل اللغة الروسية في المنطقة، وتحفيظ المسلمين القرآن الكريم، بما يقوي الهوية الإسلامية في المنطقة.

من ناحية ثانية اقترحت **المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (الإيسيسكو)** تشكيل بعثة متخصصة تضم رابطة العالم الإسلامي وجمعية الدعوة الإسلامية العالمية والبنك الإسلامي للتنمية للقيام بدراسة **الأوضاع التربوية والعلمية والثقافية للدول الإسلامية في آسيا الوسطى وأوروبا الشرقية** وقد أعدّت (الإيسيسكو) دراسة أولية للمشروع.

موسوعة الطب النبوي

صدر الكتاب الرابع من موسوعة «**الطب النبوي بين الإعجاز والعلم الحديث**» للدكتور **حسان شمسي باشا**.

عنوان هذا الجزء «**قبسات من الطب النبوي والأدلة العلمية الحديثة**» ويعد أول كتاب من نوعه يجمع بين الأبحاث والتجارب المخبرية والأدلة العلمية الحديثة وبين أحاديث الرسول ﷺ في الطب.

ويذكر أن د. حسان بريطاني الجنسية سوري الأصل، ويعمل مستشارًا لأمراض القلب في مستشفى الملك فهد للقوات المسلحة بجدة.

عالم الرياضة

صدرت ـ مؤخرًا ـ عن الشركة السعودية للأبحاث والنشر العدد الأول من مجلة «**عالم الرياضة**» الرياضية الأسبوعية.

يرأس تحرير المجلة الزميل الأستاذ عادل عصام الدين.

الترشيح لجائزة مكتب التربية

بدئ ـ مؤخرًا ـ في استقبال الأعمال المشاركة لنيل **جائزة مكتب التربية العربي لدول الخليج** في مجالات: اللغة العربية والدراسات الإسلامية، العلوم الاجتماعية والإنسانية، والعلوم والتقنية.

وتحدد يوم التاسع والعشرين من شهر ربيع الأول المقبل ١٤١٣هـ الموافق ١٩ / ٩ / ١٩٩٢م موعدًا نهائيًا لاستقبال الأعمال المرشحة.

ويذكر أن الترشيح للجائزة يقتصر على أبناء الدول الأعضاء في المكتب وهي دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية بعدما ألغيت عضوية النظام العراقي.

مؤتمر رؤساء الأندية الأدبية

يعقد في النصف الثاني من شهر شوال الجاري في مدينة الدمام **المؤتمر الثامن لرؤساء الأندية الأدبية السعودية**.

ويبحث المؤتمر على مدى ثلاثة أيام أفضل السبل لتطوير الأداء في الأندية، ووسائل تنمية القدرات الأدبية لدى الشباب، بما يدفع مسيرة الأدب السعودي إلى الأمام.

ويذكر أن المؤتمر كان مقررًا عقده في العام الماضي ١٤١١هـ إلا أن نشوب أزمة الخليج حالت دون انعقاده.

ندوة عن أمراض الدم الوراثية

تنظم كلية الطب بجامعة الملك سعود بالتعاون مع مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية ومنظمة الصحة العالمية خلال الفترة ما بين ١٥ ـ ١٧ شوال الجاري ندوة بعنوان «**أمراض الدم الوراثية: أساسيات المرض وطرق العلاج**».

ويشارك في أعمال الندوة أخصائيون من داخل المملكة العربية السعودية ومن خارجها.

معرض جراحات المسلمين

نظمت الندوة العالمية للشباب الإسلامي في مركز دراسة الطالبات في الرياض **معرض «الأقليات الإسلامية: جراحات وآمال»**.

محاضرات وندوات

- «**إطلالة على القصة القصيرة في المملكة العربية السعودية**»، عنوان أمسية نظمها **اتحاد كتّاب وأدباء الإمارات**، شارك فيها د. **أمل الصباغ**.
- **نظمت مؤسسة الثقافة والفنون بالمجمع الثقافي في أبو ظبي أمسية شعرية للشاعر اللبناني محمد علي شمس الدين.**
- «**الإسلام والنظام العالمي**»، عنوان ندوة نظمتها **مؤسسة المدينة للصحافة بجدة**، حاضر فيها د. **حامد الرفاعي**.
- **أقيمت** على هامش معرض القاهرة الدولي للكتاب **أمسية شعرية للشعر العربي والإنجليزي**، شارك فيها من الشعراء الإنجليز **توني هارسيون وكريج رين**. ومن الشعراء العرب **أحمد عبد المعطي حجازي، وفاروق شوشة، وفاروق جويدة**.
- «**وهج العبقرية العسكرية في حياة الملك عبد العزيز**» عنوان محاضرة ألقاها في نادي مكة الثقافي الأدبي **محمد بن أحمد العقيلي**.
- «**واجب الشباب المسلم**» عنوان محاضرة ألقاها في الجامع الشمالي بالزلفي الشيخ **إبراهيم بن صالح الخضيري**.
- «**مستقبل الصحافة العلمية في مصر**» عنوان ندوة أقيمت في نقابة الصحافيين بالقاهرة، بمناسبة ذكرى وفاة رائد الصحافة العلمية **صلاح جلال، وشارك فيها عدد من العلماء ومحرري صفحات العلوم بالصحف**.
- أقام المجلس الثقافي **بمؤسسة الأمير عبد الرحمن السديري** الخيرية بالجوف **أمسية شعرية نبطية**، شارك فيها عدد من شعراء المنطقة.
- «**حال الناس في رمضان في الماضي والحاضر**» عنوان محاضرة ألقاها في جامع حلة آل سعيدان بالدلم الدكتور **زيد بن عبد الكريم الزيد**.
- «**أمراض القلوب وعلاجها**» عنوان محاضرة ألقاها في جامع وردان

اشتمل المعرض على خرائط وصور فوتوغرافية وأشرطة وثائقية وكتب ومطبوعات عن واقع المسلمين في أكثر من مكان منها: **فلسطين، أفغانستان، كشمير، الصومال، إريتريا، الفلبين، سيرلانكا، كردستان، ويوغسلافيا**.

ندوة استخدام العربية في تقنية المعلومات

تنظم مكتبة الملك عبد العزيز العامة بالرياض خلال الفترة ما بين ٨ ــ ١١ من ذي القعدة المقبل **ندوة عن استخدام اللغة العربية في تقنية المعلومات**.

وتدور محاور الندوة حول خصائص اللغة العربية، واستخدام الحاسب في العلوم الشرعية، وتعريب برامج وأجهزة الحاسب، وتعريب المصطلحات، ومعالجة النصوص والنشر المكتبي، وموضوعات أخرى في إطار موضوع الندوة.

مسابقة نادي أبها الأدبي

أعلن نادي أبها الأدبي عن فتح باب الترشيح **لمسابقته الثقافية الحادية والعشرين في مجالات القصة والشعر والبحث**.

واشترط النادي لقبول الترشيحات في مجال الشعر ألا تقل المجموعة الشعرية عن خمس قصائد، وفي مجال القصة ألا تقل المجموعة عن خمس قصص قصيرة، أما في مجال البحث فللمشترك أن يختار الموضوع الذي يناسب ميوله: علميًا أو أدبيًا أو تاريخيًا أو جغرافيًا، على ألا يقل عن ثلاثين صفحة.

والمسابقة مفتوحة لكافة المثقفين العرب من الجنسين، وتحدد آخر موعد لقبول المشاركات نهاية شهر صفر ١٤١٣هـ.

وقد خصص لكل موضوع ثلاث جوائز على النحو التالي: ٢٠٠٠، ١٥٠٠، ١٠٠٠ ريال، ولا يجوز الحصول على أكثر من جائزة.

فهرس المخطوطات العربية بمكتبة تشيستربيتي

تصدر قريبًا ترجمة لفهرس المخطوطات العربية في مكتبة تشيستربيتي بإيرلندا في ثمانية أجزاء.

قام بترجمة الفهرس إلى اللغة العربية الدكتور **محمود شاكر سعيد**، عضو هيئة التدريس في قسم اللغة العربية بكلية إعداد المعلمين في أبها.

والفهرس المترجم عبارة عن فهرسة وصفية لأكثر من ثلاثة آلاف مخطوطة عربية في مختلف فنون المعرفة، وقد استغرقت عملية الترجمة ثلاث سنوات.

كتب جديدة

● **دراسات في آثار المملكة العربية السعودية، جـ ١**، تأليف د. **محمد أحمد بدين، وعبد الرحمن بكر كباوي**.



عبدالله شباط

● **الأحساء: أدبها وأدباؤها المعاصرون**، تأليف **عبد الله أحمد الشباط**. صدر عن الدار الوطنية الجديدة للنشر والتوزيع.

● **الرقم ٧ ومكانته في المعتقدات الدينية والمأثورات الشعبية وفي التاريخ واللغة**، تأليف **مصطفى أمين جاهين**، تقديم **محمد حسين زيدان**، صدر عن مطابع الفرزدق التجارية بالرياض.



د. إبراهيم الجوير

● **«النزعة الإسلامية في الشعر السعودي المعاصر»** تأليف د. **حسن بن فهد الهويمل**.



د. حسن الهويمل

● **الألعاب الشعبية في المملكة العربية السعودية**، تأليف د. **محمد كامل عفيفي**.

● **الأسرة والمتغيرات التنموية في المملكة العربية السعودية**، تأليف د. **إبراهيم بن مبارك الجوير**.



مصطفى جاهين

● **تاريخ وآثار منطقة القويعية**، إعداد **محمد بن مسعود الصنداح**.

● **حديث الصور**، مجموعة موثقة بالتواريخ والمناسبات من صور الملك عبد العزيز، إعداد د. **حسين محمد الغامدي**.

صدرت الكتب الستة السابقة عن المهرجان الوطني السابع للتراث والثقافة.

بالأفلاج الشيخ **سعدون بن عبد الله المفلح**.

● **«فضل شهر رمضان»** عنوان محاضرة ألقاها بجامع حي الجزيرة في المجمعة الشيخ **إبراهيم بن عبد الله الغيث**.

● **«أعمال الكاتبة فوزية مهران»** موضوع ندوة نظمتها في القاهرة جمعية الكاتبات المصريات، تحدثت فيها د. **نهاد صليحة**.

● «المجامع اللغوية في العالم العربي» عنوان محاضرة ألقاها في النادي الأدبي الثقافي بجدة **إبراهيم الترمزي**.

● **«إشكالية ترجمة بعض جوانب النص العربي»** عنوان محاضرة ألقاها في معهد اللغات والترجمة بجامعة الملك سعود بالرياض **د. عادل هلال عناني**.

● **«الفقه في الدين»** عنوان محاضرة ألقاها في جامع الغنام بالزلفي الدكتور **عبد الكريم العقل**.

● **«فضاء التفكير الفلسفي في المغرب»** عنوان ندوة نظمها فرع اتحاد كُتّاب المغرب في أغادير، وشارك فيها عدد من المفكرين.

● **«الإنسان وحدة موضوعية للدراسة»** عنوان محاضرة ألقاها في مستشفى الملك خالد للحرس الوطني في أم السلم ــ بين جدة ومكة ـ الداعية **يوسف إسلام**.

● **«مذكرات رائد فضاء»** عنوان محاضرة ألقاها في المركز الثقافي في حلب، رائد الفضاء السوري **محمد فارس**.

● **«السمات الأخلاقية لرجل الأمن ووسائل اكتسابها وصفاتها ومردودها الإيجابي على طبيعة عمله»** عنوان محاضرة ألقاها في المعهد العالي للدعوة الإسلامية بالمدينة المنورة **العقيد مرزوق بجاد الروقي**.

● **«التأثيرات الثقافية الغربية في فن السينما المصرية»**، عنوان ندوة أقيمت في كلية الفنون الجميلة بجامعة المنيا تحدث فيها: **د. هشام أبو النصر، د. مصطفى محمد علي، أشرف على الندوة د. منى مرزوق**.

■ ■

الحركة الثقافية

● **محادثة برية شمال شرق الوطن**، مجموعة قصصية للقاصة **قماشة السيف**، صدرت عن نادي القصة السعودية.

الإمارات

معرض للفن الاستشراقي

نظم المجمع الثقافي الإماراتي بالتعاون مع جاليري لندن **معرضًا للفن الاستشراقي** ضم ٦٠ لوحة زيتية ومائية لسبعة وعشرين فنانًا أوروبيًا.

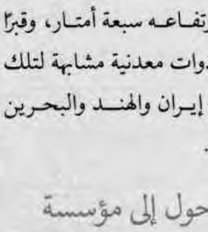
أقيم المعرض في أبو ظبي وافتتحه وزير الإعلام والثقافة الإماراتي **خلفان محمد الرومي** بحضور عدد من أعضاء السلك الدبلوماسي الأجنبي.

بلدة أثرية

اكتشف فريق آثاري أسترالي في أم القوين **بلدة تاريخية أثرية تعود إلى ما قبل ستة آلاف سنة**.

تضم الآثار المكتشفة برجًا جداريًا يعتقد أنه الأضخم من نوعه في منطقة الخليج، وقطعًا من السيراميك المستورد، وأوعية حجرية، وأثقالاً من الحجارة، وأختامًا أسطوانية الشكل، وبناءً محصنًا دائري الشكل قطره أربعة أمتار وارتفاعه سبعة أمتار، وقبرًا دائريًا عند قاعدة البناء، وأدوات معدنية مشابهة لتلك التي كانت مستخدمة في إيران والهند والبحرين وباكستان وبلاد ما وراء النهر.

جائزة العويس تتحول إلى مؤسسة



سلطان العويس

أعلن في الشارقة أن **جائزة سلطان العويس** قد استقلت عن اتحاد كتّاب وأدباء الإمارات وتحولت إلى مؤسسة مستقلة ذات صفة قانونية تحت اسم «**مؤسسة العويس الثقافية والعلمية**».

وتتضمن أنشطة المؤسسة إلى جانب الجائزة منح مساعدات مالية للجامعات العربية ومراكز البحوث والمنظمات والهيئات والاتحادات الأدبية والثقافية والعلمية، فضلاً عن إنشاء المؤسسات والشركات الثقافية لخدمة الإنسان العربي.

يرسم سياسة المؤسسة ويشرف عليها **مجلس أمناء مكون من شخصيات ثقافية**.

البحرين

من الكتب الجديدة

● **الشوارق**، مجموعة قصصية للكاتب **عبد القادر عقيل**، صدرت ضمن سلسلة مجلة كلمات.

عمان

مراكز ثقافية

يُعد حاليا في سلطنة عمان لافتتاح عدد من **المراكز الثقافية في أمهات المدن العمانية**.

ينتظر أن تستضيف هذه المراكز عددًا من رجال الثقافة والفكر، وتنظم مواسم ثقافية وأمسيات ومحاضرات وندوات علمية وأدبية وثقافية وفكرية.

معرض للخط العربي

استضافت مسقط ـ مؤخرًا ـ **معرضًا للخط العربي** لعدد من الخطاطين الأتراك، نظمته وزارة التراث القومي والثقافة العمانية بإشراف مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية في إسطنبول.

اشتمل المعرض على **ثلاثين لوحة مختلفة** لأنواع الخط العربي المعروفة، احتوت على آيات قرآنية وأحاديث نبوية شريفة، فضلاً عن الأقوال المأثورة.

تكريم السيابي

يقيم المنتدى الأدبي العماني يومي ٢٠ و٢١ من (أبريل) نيسان الجاري حفلاً تكريميًا للأديب العماني **خلفان بن جميل السيابي**.

يتضمن الحفل ندوة عن أعمال المحتفَى به يشارك فيها أربعة من المهتمين بأعماله.

ويذكر أن الحفل يقام في إطار البرنامج الذي بدأه المنتدى منذ ثلاث سنوات للاحتفاء برموز الثقافة العمانية وإعادة عرض أعمالهم الأدبية.

الكويت

فهرس للمخطوطات العربية بالباكستان

أصدر مركز المخطوطات والتراث والوثائق في الكويت كتاب «**فهرس المخطوطات العربية في الباكستان**».

يأتي هذا الإصدار الذي يعد الرابع من نوعه في إطار سلسلة من الفهارس وضعها الدكتور **عدنان جواد الطعمة**.

والفهارس السابقة هي: «**فهرس المخطوطات العربية في الفلك والحساب والهندسة** في مكتبة جامعة براتسلافا في تشيكوسلوفاكيا»، و«**فهرس المخطوطات العربية في** المكتبة الوطنية النمساوية: الرياضيات»، و«**فهرس المخطوطات العربية في الطب والصيدلة** المحفوظة في خزانة المكتبة الملكية في كوبنهاجن».

مصر

هل تختفي الأهرامات وأبو الهول؟



زعم علماء جيولوجيون **اختفاء أهرامات الجيزة وتمثال أبي الهول بعد مائة ألف عام** لعوامل مناخية.

وقال د. **محمد البهي عيسوي** إن الحسابات تؤكد أن معدل تآكل أحجار الأهرامات وأبي الهول يبلغ سنويا ٠,٠١٪ مما يعني اختفاءها تمامًا لو استمرت ذات العوامل التي تحدث التآكل بنفس بمعدلها الحالي نفسه.

وأوضح د. عيسوي أن مشكلة المنطقة تكونها من أربعة تكوينات صخرية مختلفة من الحجر الجيري، من بينها ثلاثة تكوينات ضعيفة وهشة وسريعة التآكل، الأمر الذي يساعد على تأثرها بالعوامل المناخية.

وأضاف العالم المصري الذي كان يتحدث أمام **المؤتمر الدولي لترميم أبي الهول** أن تأثير المشكلة أوضح في تمثال أبي الهول، حيث بدأ معدل التآكل على رقبته المصنوعة من حجر أقوى من حجر الجسم يؤثر في الرقبة والصدر مما يعرض الرأس للسقوط من على الجسم.

وحول الحل الذي يقترحه د. عيسوي علاجًا لهذه المشكلة دعا إلى بحث إمكان تثبيت مسمار من الحديد أو الصلب يربط ما بين رأس التمثال وجسمه بما يمنع سقوطه.

وقد أثارت آراء د. عيسوي جدلاً بين العلماء في المؤتمر، الذين قالوا بأن تحديد زمن معين لاختفاء الأهرامات وأبي الهول غير مؤكد فمن الممكن أن تطول المدة أو تقصر طبقًا لاستمرار العوامل المناخية أو تغيرها، إلا أنهم أجمعوا على أن أعمال الترميم سوف يكون لها دور أساسي في الحيلولة دون تلاشي تلك الآثار إذا ما استمرت بطرق علمية.

اقتراح إنشاء مجلس إعلامي إسلامي

اختتم ـ مؤخرًا ـ في القاهرة **المؤتمر الثاني لوزراء إعلام البلدان الإسلامية**.

ناقش المؤتمرون عددًا من الموضوعات الإعلامية المهمة من أبرزها ورقة عمل كويتية تدعو إلى إنشاء مجلس إعلام إسلامي تناط به مهمة دراسة الحلول والمقترحات الخاصة بمواجهة التقنية المتطورة في مجال الاتصالات والبث التلفازي عبر الأقمار الصناعية بصفة عامة، والقمر الصناعي الإسرائيلي بصفة خاصة.

مؤسسة عربية لنقل العلوم والمعجمات

أوصى **مجمع اللغة العربية** بالقاهرة في ختام دورته الثامنة والخمسين بإنشاء **مؤسسة عربية تتولى نقل العلوم والمعجمات المتخصصة**.

جاء ذلك ضمن التوصيات النهائية للدورة التي أسفرت عن عدة توصيات أخرى مهمة من بينها ضرورة التزام وسائل الإعلام باللغة العربية الفصحى، والدعوة لتوحيد المصطلحات في جميع العلوم في الوطن العربي، والتأكيد على توصيته السابقة بضرورة إصدار قوانين بكتابة اللافتات على المحال التجارية والفنادق باللغة العربية، وحظر كتابة الأسماء الأجنبية عليها بحروف عربية، والعناية بالتدريس للناشئة وفي جميع وسائل الإعلام بالفصحى، وتوصيات أخرى لا تقل أهمية.

القاهرة مقرًا للمؤرخين العرب

اختيرت مدينة القاهرة لتكون مقرًا دائمًا لاتحاد المؤرخين العرب.

جاء ذلك خلال اجتماعات الاتحاد بالعاصمة المصرية التي اتخذت فيها عدة قرارات مهمة من أبرزها **المطالبة بتنقية التاريخ العربي مما لحق به من شوائب**، واعتماد مشروع اللائحة الأساسية الدائمة للاتحاد، التي من بين بنودها أن تكون مدة الرئاسة ثلاث سنوات فقط قابلة للتجديد لمدة واحدة.

متحف لحضارة النوبة

يعد حاليًا لافتتاح **متحف النوبة بأسوان** الذي تكلف إنشاؤه ٣٠ مليون جنيه **ويعتبر أضخم متحف عن الحضارة النوبية**.

ينتظر أن يضم المتحف جميع ما تم إنقاذه من تماثيل وقطع أثرية خلال القرن الأخير بمنطقة النوبة التي غرقت تحت مياه السد العالي.

النقد الاجتماعي بين الأدب وعلم الاجتماع

نظمت كلية الدراسات الإنسانية فرع البنات بجامعة الأزهر ندوة بعنوان «**النقد الاجتماعي بين الأدب وعلم الاجتماع**».

دارت الندوة حول **ثلاثة محاور**، أولها يعالج مضمون النقد الاجتماعي، والنقد السوسيولوجي، ومسؤولية المثقف الملتزم وتحديات الواقع الاجتماعي، وناقش **المحور الثاني** الإبداع الأدبي الروائي، والوعي بأهمية النقد الاجتماعي، والنقد الاجتماعي في الأدب: نماذج روائية وفواصل الزمن ودوره في تأسيس حركة التنوير.

أما **المحور الثالث** فكان حول النقد الاجتماعي والنقد الاجتماعي السوسيولوجي، والقدرة على استشراف ملامح المستقبل، والنقد الاجتماعي في الأدب، والأديب المصري المرغوب فيه، والمجتمع المصري المرغوب فيه بين التزام الأديب ووعي الباحث السوسيولوجي.

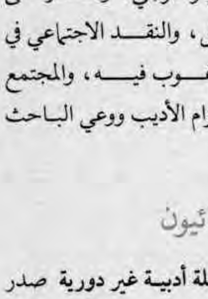
الأربعائيون

هذا هو اسم أحدث **مجلة أدبية غير دورية** صدر عددها الأول مؤخرًا في مدينة الإسكندرية.

تعنى المجلة بالأدب الحديث، وتصدرها مجموعة من الأدباء والمهتمين بالأدب، جمع بينهم صالون الأربعاء بمنزل الشاعر **عبد العظيم ناجي**، حيث يلتقون أسبوعيًا منذ عام ١٩٨٧م

تضمن العدد دراسات إسلامية متنوعة فضلاً عن القصائد والقصص القصيرة.

جائزة محمد تيمور للإبداع المسرحي


محمدتيمور

أعلنت ـ مؤخرًا ـ أسماء الفائزين **بجائزة محمد تيمور للإبداع المسرحي**.

وتقاسم الجائزة التي تبلغ قيمتها ثلاث آلاف جنيه كل من **سعيد محمد حجاج** عن مسرحية **«احتفال خاص على شرف العائلة» وسيد خالد جمال الصاوي** عن أوبريته «**الدرافيل**».

متحف طه حسين

اشترت وزارة الثقافة المصرية فيلا عميد الأدب العربي طه حسين من ورثته بمبلغ ٩٠٠ ألف جنيه تمهيدًا لتحويلها **إلى متحف ومركز للإبداع الفكري باسم الأديب الراحل تقام** فيه الحلقات الدراسية والندوات الثقافية.

وقد أهدى الورثة للوزارة جميع أثاث الفيلا، وكذلك الأوسمة واللوحات والصور الخاصة بالدكتور **طه** حسين، لتكون ضمن محتويات المتحف.

منبر الشرق

ذلك هو عنوان أول **دورية إسلامية** تصدر عن المركز العربي الإسلامي للدراسات.

احتوى العدد على ملف كامل عن الحركات الإسلامية: الدور والمستقبل، ودراسات فكرية واستراتيجية، يدير التحرير د. **رفعت سيد أحمد**.

مؤتمر للشعر العامي

تحت رعاية **حسين مهران** رئيس هيئة قصور الثقافة والمستشار **محمود بهي الدين** محافظ دمياط، استضافت مدينة دمياط ــ مؤخرًا ــ **المؤتمر الأدبي الثالث لشعراء العامية** بالمحافظة.

بحث المؤتمر قضايا الشعر العامي، وشارك في مناقشاته عدد كبير من النقاد والباحثين والشعراء من مختلف محافظات مصر.

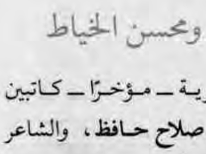
وفاة د. الطحاوي

توفي في شهر شعبان الماضي الدكتور **إبراهيم الطحاوي** رئيس جمعيات الشبان المسلمين السابق عن عمر يناهز «٧٣ عامًا».

ويعد د. الطحاوي أحد الذين أسهموا في الحركة الإسلامية والحياة السياسية في مصر، حيث شغل منصب **الأمين العام لهيئة التحرير**، وهي أول تنظيم سياسي في مصر بعد إلغاء الأحزاب، كما شغل منصب **الأمين العام للمؤتمر الإسلامي**.

وفاة صلاح حافظ ومحسن الخياط

فقدت الصحافة المصرية ــ مؤخرًا ــ كاتبين شهيرين: الكاتب الصحافي **صلاح حافظ**، والشاعر الصحافي **محسن الخياط**.


صلاح حافظ

ولد صلاح حافظ عام ١٩٢٥م وترك دراسة الطب من أجل التفرغ للصحافة، حيث برز اسمه ومضت به الأيام بين الارتفاع والانحدار، وتولى رئاسة تحرير مجلة «**آخر ساعة**» عام ١٩٦٤، وشارك الروائي فتحي غانم في رئاسة تحرير مجلة «**روز اليوسف**» عام ١٩٧٣م.

أما **محسن الخياط** الذي توفي عن عمر يناهز ٦٥ عامًا، فقد عُرف برعايته أدباء الأقاليم في مصر من خلال عمله في جريدة «**الجمهورية**»، وحصل على وسام الدولة في الفنون والآداب عن أشعاره خلال العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦م، كما أسهم بأشعاره

الحركة الثقافية

وإبداعاته خلال حرب الاستنزاف وحرب رمضان ١٣٩٣هـ.

وفاة عميد أساتذة القانون الدولي

انتقل إلى رحمة الله تعالى **الدكتور حامد سلطان**، عميد أساتذة القانون الدولي بالشرق الأوسط عن عمر يناهز ٨٠ عامًا.

ويعد د. **حامد سلطان** من أنبغ أساتذة القانون الدولي في المنطقة، وعلى يديه تتلمذ العديد من الأساتذة في هذا المجال، من بينهم رئيس الوزراء المصري الحالي د. **عاطف صدقي**، ورئيس مجلس الشعب د. **فتحي سرور**.

وقد تولى العديد من المناصب من أبرزها رئاسة الجمعية المصرية للقانون الدولي، وعضوية محكمة القضاء الإداري للأمم المتحدة، وكان المستشار القانوني للرئيس الأسبق **جمال عبد الناصر** خلال مفاوضات الجلاء عام ١٩٥٣م وفي السودان عام ١٩٥٤م كما اختير ممثلاً لمصر في هيئة التحكيم بشأن طابا، وهو حاصل على **جائزة الدولة التقديرية** في العلوم الاجتماعية عام ١٩٨٣م.

دار أسيوط للتراث

يجري حاليا في مدينة **أسيوط** العمل في إنشاء **دار للتراث** تضم مؤلفات أبناء المحافظة في الفكر والفن، ومكتبة خاصة لرسائل الماجستير والدكتوراه، وقاعة للأطفال والمعاقين.

وصرح محافظ أسيوط اللواء **حسن الألفي** أن الدار سيجرى تزويدها بأحدث أجهزة الميكروفيلم كما ستنتقل إليها محتويات مكتبة الملك فاروق بالجامعة.

وقد وافقت **مكتبة الكونجرس الأمريكية والمجلس الثقافي البريطاني والمركز الثقافي الفرنسي** على تزويد الدار بالأجهزة والمخطوطات التي تدعم أنشطتها، كما تبرعت بعض الأسر الكبيرة بالمحافظة بمكتباتها الخاصة لصالحها.

ويذكر أن الدار تقام على مساحة قدرها ألفا متر مربع، بتكاليف إجمالية نحو عشرة ملايين جنيه مصري، ومن المتوقع افتتاحها خلال عام.

كتب جديدة

- **النملة التي أكلت الأسد**، بقلم **عواطف المشنب**، صدر ضمن سلسلة «ماذا تعلم عن...؟».



د. كرم شلبي

- **الإذاعات التنصيرية الموجهة إلى المسلمين العرب**، تأليف دكتور **كرم شلبي**، صدر عن مكتبة التراث الإسلامي.
- **والحب كان الثمن**، ديوان للشاعر **عبد الجواد طايل**، صدر عن المكتب المصري الحديث.
- **السادات الذي عرفته**، تأليف **عبد الستار الطويلة**، صدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- **كتاب التراث في رؤية عصرية**، للدكتور **محمد حسن عبد الله**. صدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب.



إبراهيم نافع

- **الفتنة الكبرى: عاصفة الخليج**، تأليف **إبراهيم نافع**، صدر عن مركز الأهرام للترجمة والنشر بالقاهرة.
- **وكالة عطية**، رواية جديدة **لخيري شلبي**، صدرت عن دار شرقيات في القاهرة.



خيري شلبي

- **طلاق**، مسرحية للأديبة **هدى الرشيد**، صدرت في القاهرة.
- **ابنة بيرجر**، للكاتبة **نادين جورديمر**، ترجمها للعربية **محمود مسعود**، صدرت ضمن «روايات الهلال».
- **المسلمون بين الأزمة والنهضة**، تأليف د. **عبد الحي الفرماوي**.
- **محاكمة جلجامش**، تأليف د. **عبد الغفار مكاوي**، صدر عن دار الهلال.
- **رحيل الحلم**، ديوان شعر جديد للشاعر **حامد الجوجري**، صدر في القاهرة.
- **أدباء روس منشقون**، تأليف د. **رمسيس عوض**.
- **مسيرة عبقرية**: رحلة في عقل نجيب محفوظ، تأليف د. **مصري حنورة**، صدر بالقاهرة.
- **نهاية مدينة فرعونية**، تأليف **الحسيني صالح**، مراجعة الدكتور **ضياء أبو غازي**، صدر عن مكتبة مدبولي بالقاهرة.

رسائل جامعية

- **«نتاج مدرسة عبيد شعر الجاهلية في ضوء مفهوم النظم عند عبد القاهر الجرجاني»**، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في **جامعة المنيا** في مصر، تقدم بها **جميل عبد المجيد حسن**.
- **«اللاشعر في مسرح صموئيل بيكيت»** عنوان رسالة دكتوراة نوقشت في قسم اللغة الفرنسية **بكلية الآداب بجامعة الإسكندرية**، تقدمت بها **ماجدة البحراوي**.
- **«الحب والزواج في روايات إليوت وجاسكل»** عنوان رسالة دكتوراة نوقشت في قسم اللغة الإنجليزية **بكلية الآداب في سوهاج**، تقدمت بها **سلوى زخاري**.
- **«المصطلحات في رسائل إخوان الصفا»** عنوان رسالة ماجستير نوقشت في قسم اللغة العربية **بكلية الآداب في جامعة المنيا**، تقدم بها **موسى إبراهيم موسى**.
- **«عامل الزمن في روايات إحسان عبد القدوس»** عنوان رسالة ماجستير نوقشت في **كلية الآداب بجامعة القاهرة**، تقدمت بها **إيمان سمير كامل**.
- **«التعليم الخاص والإرشاد النفسي»** موضوع رسالة دكتوراة» نوقشت في **جامعة إنديانا** بالولايات المتحدة الأمريكية، تقدم بها **طارش مسلم سليمان الشمري**.
- **«الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد عبدالوهاب وطريقته في تقرير العقيدة مع دراسة وتحقيق كتابه في الرد على ابن جرجيس»** عنوان رسالة ماجستير نوقشت في **كلية أصول الدين بالرياض**، تقدم بها **خالد بن عبد العزيز الغنيم**.
- **«العقاد كاتبًا إسلاميًا»** موضوع رسالة دكتوراة نوقشت في قسم

● **فكيهة وموسم الاعتقالات**، مجموعة قصصية للقاص والروائي **بهجت فرج**، صدرت عن الدار العربية للطباعة والنشر والتوزيع.

الأردن

طلبات إصدارات جديدة

تلقت وزارة الإعلام - مؤخرًا - نحو ٧٩ طلبًا لإصدار **صحف ومجلات مختلفة** جديدة في الأردن.

وأوضحت مصادر وزارة الإعلام أن الطلبات تتضمن ١٤ طلبًا لإصدار صحف يومية، و٣٧ لمجلات أسبوعية، و٢٨ لمجلات شهرية وفصلية.

وينتظر أن تتم دراسة هذه الطلبات بعد إعداد القانون الجديد للمطبوعات والنشر المعروض حاليًا على مجلس النواب.

من الكتب الجديدة

● **ديمة والنجمة**، مجموعة قصصية للأطفال للكاتبة **منيرة شريح** صدرت عن دار ديمة للنشر في عمان.

سورية

الفائزون في مسابقة أصدقاء دمشق

أعلنت - مؤخرًا - أسماء الفائزين في مسابقة أصدقاء دمشق الأدبية في مجالات: القصة، الرواية، الدراسات الأدبية، والشعر.

فاز بجائزة **القصة** مناصفة: **محمد أبو معتوق، وعبد الله علي سعيد**.

ومنحت جائزة **الرواية** للأديبة **ماري رشو**، وتحصل على **جائزة الدراسات** الشاعر **وفيق سليطين**، أما جائزة **الشعر** فتقاسمها الشاعران: **محمد منذر لطفي، وعلاء الدين عبد المولى**.

وفاة المارديني



زهير المارديني

توفي - مؤخرًا - الصحافي السوري المعروف **زهير المارديني** عن عمر يناهز ٦٢ عامًا.

وقد عرف المارديني على مدى أكثر من ثلث قرن بأسلوبه الساخر، وتقلب في مناصب الصحافة المختلفة كاتبًا ومؤلفًا ورئيسًا للتحرير.

كانت بدايته في صحافة الحزب الوطني السوري في الخمسينيات كما عمل مديرًا لمكتب مجلة «**الأسبوع العربي**» في دمشق، وانتقل إلى بيروت حيث عمل في مجلة «**الجديد**» كما كتب في صحف بيروت المختلفة مثل «**النهار**» و«**صدى لبنان**».

ولعشقه لحرية الكلمة دخل السجن أكثر من مرة حتى اضطر للرحيل إلى بيروت، وفيها بقي نحو عشرين عامًا أصدر خلالها قرابة خمسة عشر كتابًا.

كتب جديدة

● **قضايا خاصة جدًا**، للمحامية الأديبة **فادية الغزي**، صدر عن دار طلاس في دمشق.

● **أجمل قصص الأطفال**، للدكتور **عبده عبود وفريزة النجار**، صدر ضمن منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي.

● **حافظ الأسد وقضية فلسطين**، للباحث **جورج جبور**، صدر عن دار المعرفة بدمشق.

● **مواويل برية**، مجموعة قصصية للقاص **محمود حسن الحاج**، صدرت عن دار العلم في دمشق.

● **النشيد الناقص**، مجموعة شعرية للشاعر العراقي **فاضل السلطاني**، صدرت عن دار حطين للدراسات والترجمة والنشر في دمشق.

● **مختارات من الشعر الكردي المعاصر**، ترجمة وتقديم **صلاح براوري**، صدر في دمشق.

لبنان

موسوعة الحضارة العربية الإسلامية

صدرت في لبنان موسوعة عن الحضارة العربية الإسلامية في **ثلاثة مجلدات**.

تتضمن الموسوعة فصولاً عديدة عن الدين والفقه والعقل والقرآن والحديث وعلومه، وأبوابًا عن الكيمياء والصيدلة، والفيزياء، وعلم النبات، والنقد والبلاغة، وعلم العروض، وفن الحرب في الجاهلية والإسلام، وجوانب أخرى تهم الباحثين في مختلف فنون المعرفة.

معجم لأسماء مدن وقرى فلسطين

صدر في بيروت - مؤخرًا - **معجم يؤكد عروبة القدس من خلال الاستقراء اللغوي**.

يحمل المعجم اسم «**معجم معاني وأصول وأسماء المدن والقرى الفلسطينية**» ومؤلفه يدعى فرج الله صالح ديب.

تكمن أهمية المعجم في أنه يكشف التزوير المتعمد الذي أخضع له تاريخ فلسطين، ومحاولات الصهاينة

الطالبات بكلية اللغة العربية بالرياض، تقدمت بها **دلال الشريف شاكر هزاع العبدلي**.

● «**قواعد الاستنباط من ألفاظ الأدلة عند الحنابلة وآثارها الفقهية**» عنوان رسالة دكتوراة نوقشت **في كلية الشريعة بالرياض**، تقدم بها **عبد المحسن عبد العزيز الصويغ**.

● «**أثر الحرية الاقتصادية على الاستثمار في الاقتصاد الإسلامي**» عنوان رسالة ماجستير نوقشت **في كلية الشريعة بالرياض**، تقدم بها **عبد الرحمن بن إبراهيم الشبانات**.

● «**موقع المدينة الحربية زارو**» موضوع رسالة دكتوراة نوقشت **في جامعة ليل في فرنسا**، تقدم بها **محمد عبد المقصود**.

● «**مظاهر تغيير خصائص السكان في منطقة الباحة خلال الفترة من ١٣٩٤هـ وحتى عام ١٤٠٢هـ: دراسة جغرافية للسكان**» عنوان رسالة دكتوراة نوقشت **في كلية الآداب للبنات في الرياض**، تقدمت بها فاطمة بنت عبد العزيز الحمدان.

● «**دراسة هيستو باثولوجية وهيستو كيميائية على بعض الأمراض الجلدية التي تتأثر ببعض مشتقات فيتامين أ**» عنوان رسالة دكتوراة نوقشت **في كلية الطب بجامعة القاهرة**. تقدمت بها د. **أميرة فضل فاروق**.

● «**السياسة السعودية في الدائرة الحربية في الفترة ما بين ٧٩ - ١٩٩٠م**» عنوان رسالة ماجستير نوقشت **في جامعة الإسكندرية**، تقدم بها **أحمد خضير الزهراني**.

● «**الدولة العثمانية والغزو الفكري حتى عام ١٣٢٧هـ في التاريخ الحديث**» عنوان رسالة دكتوراة نوقشت **في قسم التاريخ بجامعة أم القرى** في مكة المكرمة، تقدم بها **خلف دبلان الوذيناني**.

■ ■

الحركة الثقافية

المستمرة لمحو الذاكرة الفلسطينية عبر تزوير الآثار وعبرنة أسماء الأماكن.

رتب المعجم طبقًا للترتيب الهجائي العربي، وتضمن مع إيراد الأسماء شرحًا لجذورها ومعانيها في القاموس.

كتب جديدة

- **تناسخ،** مجموعة شعرية للشاعر **محمد وليد المصري،** صدرت عن دار مكتبة الحياة في بيروت.
- **بحيرة وراء الريح، رواية للأديب** يحيى يخلف، صدرت عن دار الآداب في بيروت.
- نوعية **الحياة في الوطن العربي،** تأليف **د. نادر فرجاني،** صدر عن مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت.

المغرب

حماية التراث الثقافي للقدس

أنشأت **المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (الايسيسكو) وحدة لشؤون القدس الشريف** تنفيذًا لقرار مؤتمرها العام الرابع.

وترمي هذه الوحدة إلى حماية الممتلكات الثقافية في القدس، وستتولى إنشاء صندوق لهذا الغرض من إسهامات الأفراد والمؤسسات

ويذكر أن القرار دعا أيضا إلى عقد ندوة عالمية في إطار الحوار الإسلامي ـ النصراني، من أجل الحفاظ على التراث الثقافي لمدينة القدس.

ملتقى شعري

نظم المجلس البلدي لمدينة فاس المغربية **الملتقى الشعري السادس لمدينة فاس** يومي ١٨ ــ ١٩(فبراير) شباط الماضي ١٩٩٢م.

شارك في الملتقى عدد من شعراء الوطن العربي، ولوحظ غياب مشاركة شعراء الجزائر.

أسبوع ثقافي صيني

استضافت عدة مدن مغربية ــ مؤخرًا ـ أسبوعًا ثقافيًا صينيًا نظمته جامعة ابن زهير في أغادير بالتعاون مع السفارة الصينية في الرباط.

ضم المعرض إيقاعات من الحضارة والفن والأدب الصيني، تمثلت في فنون تشكيلية، وعروض سينمائية وثائقية، وتحف صينية تجسد معالم حضارة الصين عبر العصور.

من الكتب الجديدة

- **الموازنات الصوتية في الرؤية البلاغية،** تأليف د. **محمد العمري،** صدر عن دار سال للنشر ضمن منشورات «دراسات سينمائية».

السودان

من الكتب جديدة

- **وا أسفاه،** مجموعة قصصية للدكتور **فيصل محمود،** صدرت عن معهد سكينة لتعليم وتأهيل الأطفال المعاقين.

تركيا

مؤسسة للثقافة الكردية

أسس ١٨ مثقفًا كرديًا ــ مؤخرًا ــ في إسطنبول مؤسسة للثقافة الكردية.

ترمي هذه المؤسسة إلى **«الحفاظ على اللغة والثقافة الكرديتين** وتطويرهما بعد أن تعرضتا طويلا للقمع والمنع».

وتنوي المؤسسة العمل حالما تحصل على ترخيص رسمي من السلطات العمل على فتح مدارس لتعليم اللغة الكردية، وتنظيم دراسات في التاريخ والحضارة واللغة الكردية ونشر كتب عن الأدب والأدباء الأكراد.

باكستان

من أحدث الكتب

- **المعاملات،** تأليف الشيخ **سيد سابق،** صدر عن الغرفة الإسلامية للتجارة والصناعة وتبادل السلع بكراتشي.

أثيوبيا

مؤسسة للدراسات الإسلامية

أنشئت في **مدينة «ديسي»** عاصمة منطقة «ولو» الأثيوبية **مؤسسة إسلامية لرعاية الدراسات الإسلامية عمومًا والتعليم القرآني بصفة خاصة.**

تحمل المؤسسة اسم **«مركز البرهان لتعليم القرآن الكريم»،** ويرأس المركز الداعية الشيخ **يحيى محمد العنسي.** وهو معروف بإشرافه على عدد كبير من المؤسسات والمدارس الإسلامية في المنطقة.

أسبانيا

افتتاح المركز الإسلامي



د. عبدالله عمر نصيف

يفتتح في شهر شوال الجاري ١٤١٢هــ **المركز الإسلامي في مدريد،** الذي أقيم بدعم من المملكة العربية السعودية.

وتجرى حاليًا بالمركز وضع اللمسات الأخيرة تمهيدًا لافتتاحه بحضور الدكتور **عبد الله عمر نصيف،** الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي.

وفاة محمد أسد

توفي في مدينة ميناس بالأندلس المفكر المسلم **محمد أسد** عن عمر يناهز ٩٢ عامًا.

وُلد **محمد أسد، واسمه الأصلي قبيل إسلامه** «ليوبولدفايس» عام ١٩٠٠م في **مدينة «ليفو»** بالنمسا التي أصبحت ــ فيما بعد ــ تابعة لبولندا، لأبوين يهوديين، وتلقى علومه في **جامعة فيينا.**

وفي سن الثانية والعشرين ارتحل إلى منطقة الشرق الأوسط حيث عمل مراسلاً صحافيًا **لمجلة «فرانكفورتر زايتونج»** حيث كانت بداية تعرفه على الدين الإسلامي، ولم يلبث أن اعتنق الإسلام في سن السادسة والعشرين. ومن يومها أخذ يسعى لطلب العلوم الإسلامية والدعوة إلى الإسلام، مقدمًا القدوة الحسنة للداعية المسلم.

التقى **محمد أسد** في الشرق الأوسط بالعديد من المسلمين، الذين أدوا خدمات جليلة لبلادهم، وفي مقدمتهم **الملك عبد العزيز آل سعود** ـ طيب الله ثراه ـ والمفكر الإسلامي الشاعر **محمد إقبال** الذي استطاع إقناعه بالبقاء في الهند، ليسهم بفكره في إقامة دولة باكستان الإسلامية التي كانت ـ وقتها ــ حلما يداعب مخيلة مسلمي الهند.

وبعد تأسيس باكستان طُلب منه البقاء لتأسيس **دائرة إسلامية** مهمتها وضع الخطوط والأطر الإسلامية اللازمة للدولة، ثم انتقل رئيسًا لدائرة الشرق الأوسط في وزارة الخارجية الباكستانية ثم مندوبًا للباكستان لدى الأمم المتحدة، وكانت هذه آخر وظيفة رسمية تولاها حتى تقاعده عام ١٩٥٢م بناء على طلبه.

بعد التقاعد قضى عدة سنوات في أوروبا، ثم استقر في **طنجة** بالمغرب لمدة تسعة عشر عامًا، تفرغ خلالها للتأليف، وبعدها أقام أربع سنوات في البرتغال، ثم استقر به الحال في مدينة **ميناس** الأندلسية عام ١٩٨٧م وظل بها حتى وفاته في الأسبوع الأخير من شهر شعبان الماضي ١٤١٢هـ.

وقد أسس محمد أسد **مجلة** شهرية أسماها **«عرفات»** كما ألف العديد من الكتب بلغات متعددة منها العربية والألمانية والإنجليزية لعل أشهرها **«الطريق إلى مكة»**، **«الإسلام في مفترق الطرق»**، **«رسالة القرآن»**، **«منهج الإسلام في الحكم»**، **وترجم القرآن الكريم** إلى اللغة الإنجليزية، ونشر أربعة أجزاء من **ترجمة صحيح البخاري** إلى اللغة الإنجليزية. **وسوف تقدم «الفيصل» إن شاء الله في العدد القادم قصة إسلامه في باب «الطريق إلى الله».**

معرض لآثار العالم

يقام في مدينة إشبيلية الأندلسية في الفترة ما بين ٢٠ من (أبريل) نيسان الجاري إلى ٢٣ من تشرين الأول (أكتوبر) المقبل **معرض دولي للآثار الفرعونية والقبطية واليونانية والرومانية والإسلامية** في إطار الاحتفالات بمرور **٥٠٠ عام على اكتشاف القارة الأمريكية.**

تشارك في المعرض معظم بلدان العالم بنماذج من إسهاماتها الحضارية والثقافية.

جائزة للقسم العربي بالإذاعة الأسبانية

منحت **جائزة جمعية الصحافيين العرب** في أسبانيا لعام ١٩٩١م **للقسم العربي في إذاعة أسبانيا** الخارجية المملوكة للدولة.

وجاء في حيثيات منح الجائزة أن القسم الذي يبث برامجه منذ أكثر من أربعين عامًا يمثل الرابط الثقافي الأكثر استقرارًا واستمرارًا وفاعلية بين أسبانيا والعالم العربي.

بريطانيا

ترجمة أمهات كتب التراث

وقّع الشيخ **محمد بن حمد آل ثاني**، رئيس مجلس أمناء **مركز الإسهام الإسلامي في الحضارة** عقدًا مع **دار نشر غارنت** لطباعة الكتب الإسلامية.

تضمن العقد **ترجمة وطباعة أمهات الكتب في التراث الثقافي الإسلامي**، والعمل على نشرها في البلدان التي تتحدث اللغة الإنجليزية.

وفاة أنجيلا كارتر

توفيت ـ مؤخرًا ـ في لندن الكاتبة الروائية **أنجيلا كارتر** إثر مرض خبيث عن عمر يناهز ٥٢ عامًا.

انجيلا كارتر روائية وكاتبة مسرحية، قدمت مسرحيات للتلفاز والإذاعة، وقصصًا قصيرة، وكتبًا للأطفال، ومن أبرز أعمالها رواية «متجر اللعب السحري» التي فازت عنها **بجائزة ليويلين** رايس عام ١٩٦٧م، ورواية **«عدة ملاحظات»** التي فازت عنها **بجائزة سومرست موم**، و«الليالي السيرك».

أحدث الكتب


يوسف الشاروني

● **مختارات**، مجموعة قصص مختارة للقاص **يوسف الشاروني**.

● **سرايا بنت الغول**، رواية **لإميل حبيبي**.

صدر الكتابان عن دار رياض الريس للنشر في لندن.

● **«سويسرا.. الأرض والشعب»**، تأليف **ايجلي**.

● **«الدليل الملوّن للحيوانات المائية الخطيرة في العالم»**، تأليف وإعداد **هالستيد**.

صدر الكتابان عن دار نورثكوت هاوس في بلايموث.

الولايات المتحدة

ندوة الحوار بين الإسلام والنصرانية

تستضيف مدينة شيكاغو الأمريكية في السادس عشر من شهر(مايو) أيار المقبل ١٩٩٢م **ندوة كبرى عن الحوار بين الإسلام والنصرانية.**

تنظم الندوة التي يشارك فيها مائة شخصية إسلامية ونصرانية **الهيئة الأمريكية للأبحاث والحوار بين الإسلام والنصرانية.**

افتتاح مكتبة إسلامية

افتتحت ـ مؤخرًا ـ **في ولاية نيوجرسي الأمريكية مكتبة إسلامية** حديثة تضم كتبًا إسلامية، إلى جانب فنون المعرفة الأخرى بلغات شتى من بينها اللغة العربية.

تضم المكتبة أيضا قسمًا خاصًا لأشرطة الفيديو المسجل عليها ندوات ومحاضرات دينية.

وفاة مؤلف «الجذور»


اليكس هيلي

توفي في مدينة سياتل الكاتب الأمريكي الأسود **إليكس هيلي** مؤلف رواية **«الجذور» و «سيرة مالكولم إكس»** عن عمر يناهز ٧١ عامًا.

ولد إليكس هيلي في ١١/٨/١٩٢١م في إيتاكا بولاية نيويورك، واحترف الكتابة بعد انتهائه من الخدمة الإلزامية في الجيش الأمريكي.

وقد حصل على **جائزة بوليتزر** عام ١٩٧٧م عن روايته «الجذور» التي حققت شهرة واسعة، وتحولت إلى مسلسل تلفازي مدته ١٢ ساعة. شاهده **١٣٠ مليون نسمة.**

بولندا

مصادرة «كفاحي»

صادرت السلطات البولندية نسخ من أول ترجمة لكتاب **«كفاحي»** الذي يتضمن السيرة الذاتية للزعيم النازي **أدولف هتلر.**

جاءت المصادرة للحيولة دون انتشار الأفكار الفاشستية في البلاد.

ويواجه ناشر الترجمة عقوبة يمكن أن تصل إلى السجن لمدة ثماني سنوات.

فرنسا

جائزة لوتيس لأديب مغربي

فاز الأديب المغربي **محمد بن علي** بالجائزة الثانية للأكاديمية الدولية الفرنسية **(لوتيس)** فرع الأدب عن روايته المكتوبة بالفرنسية «يوم الاقتراع».

والفائز يبلغ من العمر ٣٧ عامًا، وهو معاق يتنقل بواسطة كرسي متحرك، ولم يتلق في حياته تعليمًا نظاميًا، وبدأ في تعلم اللغة الفرنسية وهو في العشرين من عمره.

أحدث الكتب

● **طيور العودة**، قصص بالعربية والفرنسية لمجموعة من الأدباء الفلسطينيين، **صدرت عن دار ميسيدور فارندول.**

● **قصص الخيال العلمي في الأدب العربي**، تأليف **د. نجيب التلاوي**، **صدرت عن دار المتنبي بباريس ولندن**

إيطاليا

وفاة عميد الناشرين

توفي الناشر الإيطالي المعروف **فالنتينو بومبياني** إثر التهاب رئوي عن عمر يناهز ٩٣ عامًا.

ويعد **بومبياني** أحد أبرز الناشرين الإيطاليين، وقد أسس داره للنشر التي تشكل حاليًا جزءًا من مجموعة دور فابري للنشر عام ١٩٢٩م.

وقام بنشر نتاج كبار أدباء إيطاليا وكتابها مثل **ألبرتو مورافيا، بيوفيني، برانكاتي، وفلايانو،** كما قدم للإيطاليين كتّابًا أجانب منهم **كالدويل، وكرونان** في فترة ما قبل الحرب العالمية الثانية، ثم **جان بول سارتر، أندريه جيد، تي سي. إليوت، ألبير كامو، جراهام**

الحركة الثقافية

جرين، وجان أنوى، بعد الحرب.

المكسيك
كشفان أثريان

عُثر في مدينة أوكوتيلولكو بجنوب المكسيك على بقايا آثار تتضمن رسومًا قديمة يقدّر عمرها بـ ٢٣٠٠ عام تقريبًا.

تكمن أهمية الكشف - كما يقول العلماء - في أن هذه الرسوم تلقي الكثير من الأضواء حول تاريخ الحضارات القديمة في القارة الأمريكية، للتشابه الكبير بينها وبين رسومات مماثلة تم اكتشافها في مناطق نائية، مما يقطع بوجود صلة تبادل ثقافي وحضاري بين تلك الحضارات في القدم.

كما تقدم هذه الرسوم فكرة عن المستوى الثقافي لشعوب تلك الحضارات من حيث مضمونها، فإحداها - مثلاً - تمثل مصطبة لإحياء الحفلات والمراسيم يبلغ طولها حوالي سبعة أمتار، وارتفاعها ٦٤ سنتيمترًا. كما عثر على «مذبح» طوله ٥٨ سنتيمترا وعرضه ٧٨ سنتيمترًا.

من ناحية أخرى كشفت أعمال حفريات آثارية عن مدينة قديمة في ولاية فيزاكوز بالمكسيك، هجرها سكانها حوالى عام ١١٠٠م.

وتدعى هذه المدينة «التاخين» كما عرفت أيضا باسم «مدينة الرعد» و تبعد عن مدينة مكسيكو بحوالى خمسة كيلومترات.

تضم المدينة المكتشفة شوارع ممهدة بالحصباء وأكثر من مائة مبنى.

الصين
أعمال نجيب محفوظ بالصينية

قامت جمعية بحوث الأدب العربي في الصين بترجمة أعمال الأديب نجيب محفوظ إلى اللغة الصينية، فضلاً عن ترجمة أكثر من ٣٥٠ عملاً أدبيًا عربيًا إلى الصينية.

ويذكر أن الجمعية تشكلت عام ١٩٨٤م، وتضم مائة وخمسين عضوًا من الكُتّاب والباحثين الصينيين المهتمين بالآداب والثقافة العربية.

بوليفيا
مركز إسلامي

يفتتح قريبًا في العاصمة البوليفية «لاباز» أحدث مركز إسلامي.

ويذكر أن سكان بوليفيا يبلغ تعدادهم ٧ ملايين نسمة منهم عدد لا بأس به من المسلمين، معظمهم من المهاجرين الذين قدموا إلى تلك البلاد التي عرفت قديمًا بحضارة الانكا.

سويسرا
قرينات الزعماء في قمة عالمية

استضافت جنيف خلال شهر شعبان الماضي أول مؤتمر قمة عالمي للسيدات الأوليات في الدول الأعضاء في منظمة الأمم المتحدة.

شاركت في المؤتمر معظم قرينات رؤساء دول العالم وقادتها، حيث بحثن الأوضاع الاقتصادية للمرأة الريفية في المجتمعات الزراعية، وكيفية حماية النساء الريفيات من خطر الفقراء الذي يهددهن بسبب تحملهن مسؤولية إعالة الأسر بمفردهن.

ألمانيا
جائزة للأدب العربي

قررت إذاعة صوت ألمانيا (دويتشي فيلا) منح جائزتها هذا العام للأدب العربي.

تبلغ قيمة الجائزة خمسة آلاف مارك. وستمنح لأفضل قصة قصيرة أو تمثيلية إذاعية، شريطة ألا يكون قد سبق نشرها أو إذاعتها.

ويذكر أن الجائزة قد منحت في الدورات السابقة لأدب أفريقيا، وأمريكا اللاتينية، وأوربا الشرقية.

باكستان
أحدث الكتب

● صدرت الكتب التالية في إسلام أباد بالإنجليزية:

* «المبادئ الأساسية في إلكترونيات الموجات متناهية القصر (الميكروويف)»، تأليف الدكتور أحمد جاويد.

* «الكومبيوتر (بلغة أوردو)»، تأليف مشتاق أحمد.

* «الاقتصاديات الزراعية في الباكستان»، تأليف علي أصغر.

* «التسويق في الدول النامية»، تأليف ك. ناصر الدين.

* «التعليم والثقافة» تأليف محمد حسين.

* «التعليم التقني في الباكستان»، تأليف محمد علي مير.

* «التعليم في الأردن»، تأليف يوسف التال.

* «الحركة الوهابية»، تأليف أحمد قيام الدين.

* «موقف إسلامي من العلم والتعليم المعاصرين»، تأليف أحمد وحيد.

مسلمو الهند استخدموا قذائف صاروخية في حربهم على الإنجليز قبل مائتي عام

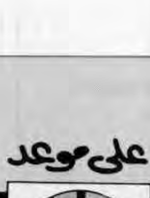
دلهي الجديدة:
د. ظفر الإسلام خان:

ذكر مدير مختبرات الأبحاث بوزارة الدفاع الهندية الدكتور عبد الكلام الذي اخترع وصمم عددًا من الصواريخ الحربية التي أجرت الهند التجارب عليها خلال السنوات القليلة الماضية أن الهند بدأت باستخدام الصواريخ الحربية قبل مائتي عام. وقال في محاضرة ألقاها في جمعية الأمين التعليمية ببنغالور عن الحاكم المسلم تيبو سلطان الذي خاض كفاحا بطوليا ضد القوات الاستعمارية البريطانية واستشهد خلال معركة معها (سنة ١٧٩٩) إن القوات البريطانية استولت على عدد كبير من هذه الصواريخ في معركة سرى رانغا باتام الحاسمة مع قوات تيبو سلطان التي كانت قد استخدمتها لأول مرة في تاريخ الحروب وهي موجودة حتى الآن في أحد المتاحف الحربية البريطانية.

وأضاف أن عبوة محرك هذه القذيفة الصاروخية كانت عبارة عن أنبوب من الصلب معبأ بالذخيرة الحية والشفرات الحادة التي كانت تنطلق بمجرد الضغط على الزناد. وكان وزن الصاروخ كيلوغرامين، وأن القوات البريطانية استولت على ٩٠٠ قذيفة صاروخية ونجح خبير أسلحة بريطاني في الكشف عن تقنيتها ثم تصنيعها بعد إجراء بعض التعديلات والتحسينات عليها.


الجزيرة
الجزيرة
تكفيك
المسائية
تثري
مساءك
تصدران يوميا عن «مؤسسة الجزيرة «للصحافة والطباعة والنشر». ص.ب: ٣٥٤ الرياض: ١١٤١١ هاتف «٤٠٢٥٥٥٥» ..تلكس ٤٠١٤٧٩ جزاتي اس جي.

على موعد



غزو تلفازي

صرعة سيطرت على العقول وأخذت بالألباب وأصبحت ظاهرة ذات أبعاد خطيرة راحت جذورها تضرب وتمتد في عمق النسيج الاجتماعي لدول المغرب العربي عندما بدأت (الصحون) أو (الهوائيات المقعّرة) antennes paraboliques المتخصصة باستقبال البث التلفازي عبر الأقمار الصناعية تغزو أسطح المنازل والمباني والفنادق حتى بعض الدوائر الرسمية وتنتشر فوقها بأسرع من انتشار الطحالب والفطور في وسط غذائها المفضل!!

وقبل ثلاث سنوات فحسب لم يكن عددها يزيد على المئات، أما اليوم فيقدر بمئات الآلاف بحيث لا يكاد يوجد بيت واحد في المدن الكبرى إلا ويستقبل البرامج التي تبثّها العديد من القنوات التلفازية الغربية. وفي العام الماضي، أورد أحد الباحثين الجزائريين إحصائية في رسالته لنيل درجة الماجستير في العلوم الاجتماعية تقدم بها لجامعة فرنسية أثبت من خلالها أن ٨٢٪ **من الجزائريين يتابعون البرامج التلفازية الفرنسية بمعدّل ساعتين على الأقل يوميا.** وقد لا تختلف النسبة عن هذه في المغرب الأقصى وتونس.

وتحتلّ القنوات التلفازية الفرنسية المرتبة الأولى في اهتمامات سكّان المغرب العربي بالرغم من إمكان استقبال البث التلفازي المرسل من القنوات الأمريكية والعربية والألمانية والإنجليزية وغيرها بالتحكم بتوجيه الهوائي نفسه، ولا شك أن هذا يعود لاعتبارات لغويّة وتاريخية، فقلّما تقع في هذه الدول على إنسان يجيد الإنجليزية أو الألمانية أو الأسبانية في حين أخذت اللغة الفرنسية أكثر من حظها المعقول في الانتشار والجريان على ألسن شعوب هذه الدول

وقد يكون من المناسب أن نتعرّض في هذه العجالة لأهم القنوات الفرنسية التي تحظى بمتابعة قطاع عريض من سكان المغرب العربي مع الإشارة المقتضبة لتخصصاتها:

- **القناة الأولى TF1** : قناة حكومية متخصصة بالألعاب والمسابقات الترفيهية والنشرات الإخبارية المصوّرة. ومن أشهر برامجها: **(نادي دوروتيه) Club Dorothée** المخصص للأطفال، **و(السعر الصحيح) Just prix** الذي يبث يوميا في منتصف النهار ويقدمه النجم التلفازي الشهير **(باتريك روا)** ويتسابق فيه أربعة مشاركين في تقدير سعر جهاز أو سلعة ما تباع في الأسواق يفوز منهم من يكون تقديره أقرب إلى الحقيقة، ويقدم هذا البرنامج جوائز مالية وهدايا تتجاوز مائة ألف فرنك فرنسي يوميا.

- **القناة الخامسة La 5** : تبث برامجها دون انقطاع، وهي من أكثر القنوات الفرنسية شهرة، وتكاد تتخصص بالنشرات الإخبارية والنقاشات السياسية والاجتماعية والاقتصادية المنقولة مباشرة. وتهتم أيضا بتغطية التظاهرات والدورات الرياضية المهمة.

- **القناة السادسة M6** : تبث دون انقطاع، وهي متخصصة ببثّ الأغاني الفرنسية والعالمية، ومن أشهر برامجها: **(شارع الأغاني)** الذي يُبثُّ ثلاث فترات يوميا، كما أنها متخصصة ببث المسلسلات الاجتماعية ذات الشهرة العالمية.

- **القناة الإضافية + Canal** : متخصصة بعرض الأفلام ذات المستوى العالي بحيث تعرض منها عدة أفلام في اليوم الواحد، ومن اهتماماتها الأخرى إجراء استطلاعات يومية عبر شبكة **(المينيتيل)** الإلكترونية للتعرف على رأي المشاهدين في الأغاني التي تبث عبر القنوات التلفازية الغربية كافة ومدى تفضيلهم لبعضها على البعض الآخر. وتبث نتائج الاستطلاع يوميا عبر برنامج **(٥٠ في القمة) Top 50** حيث تصنف فيه الأغاني الخمسون التي فازت بأكثر الأصوات بالإضافة لبث كامل للأغنيات الثلاث الأولى الفائزة.

ولعل أول ما يلمسه المتابع لبرامج هذه القنوات هو أنها **ذات طابع ترفيهي** بحت **بحيث تكاد تغيب عنها المادة التثقيفية أو التعليمية تماما.** ونادرا جدا ما تبادر إحدى هذه القنوات إلى بث برنامج علمي أو استطلاع مصوّر يعرّف المشاهد ببلاد الله الواسعة وبعادات شعوبها، ولولا النشرات الإخبارية التي تقدمها هذه القنوات والتي تنقل المشاهد بواسطة الصوت والصورة إلى أماكن الأحداث الساخنة في العالم لأمكن اعتبار هذه **القنوات مغلقة تماما على فرنسا وشعبها.**

وقد لا يتطلب الأمر إلا القليل من التركيز والمتابعة بالنسبة للمشاهد حتى **يلمس من برامج هذه القنوات الطابع العنصري ضد العرب.** خاصة في نشرات الأخبار والنقاشات والتحليلات السياسية التي تبث يوميا، كما يتضح للوهلة الأولى مدى تغلغل الطروحات الصهيونية واختراقها لغرف التحرير في معظم هذه القنوات **وخاصة منها (القناة الأولى) و (القناة الخامسة).**

وتبقى الإشارة الأكثر أهمية من كل ما ذكرنا والمتعلقة بما تعرضه يوميا بعض القنوات الفرنسية وخاصة منها (القناة الإضافية) و(القناة السادسة) و(القناة الخامسة) من **أفلام فاضحة** غاب منها الحياء والخجل لدرجة لا يكاد يتصورها العقل، ولقد أثارت هذه المسألة جدلا اجتماعيًا واسعًا في المغرب العربي بعد أن اخترقت هذه الأفلام عفاف البيوت لتفاجئ الأسرة بشيوخها وأطفالها ونسائها ورجالها، ولم يمض وقت طويل حتى سكت الجميع وقبل الرأي العام السكوت عن هذه المشكلة بعد أن عجز عن إيجاد الحل المناسب. ولعل الأخطر من كل ذلك أن الناس اعتادوا أن يقبلوا ما يرونه، وأصبح أطفالهم لا يرون ضرًا فيما يشاهدون!!! **وهنا يكمن الخطر الكبير.**

عدنان عضيمة